التغيُّر
الاجتماعي والثقافي
عند قبيلة الميدوب

دراسات*

التغيُّر الاجتماعي والثقافي عند قبيلة الميدوب

عثمان إبراهيم جامع

ISBN 9789773120184

© Willows House 2021

الطبعة الأولى: 2021 منشورات ويلوز - جوبا

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين أو الاسترجاع، دون إذن خطّيّ من الناشر.

All copyrights are reserved to the publisher, and no person, institution or entity has the right to reissue this book, or part of it, or transfer it, in any form or medium of information transmission, whether electronic or mechanical, including copying, recording or storing Or, without written permission from the publisher

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي النَّاشر

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

جنوب السودان، جوبا، كاتور، مربع ٨ جوار مركز جيران

www.willowshouse.net
www.jubabok.com
gatawillow@gmail.com
willowshouse3@gmail.com
+211927302302

دراسات*
عثمان إبراهيم جامع

التغيُّر الاجتماعي والثقافي عند قبيلة الميدوب

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

إهداء

إلى الحاجة آمنة؛ الشمس التي أستمد منها الضوء

فبعثرت في نفسي روح المثابرة والاجتهاد.

إلى روح الأسلاف والأجداد الذين علموني كيف أثابر وأكافح في مسيرة حياتي.

إلى إخواني وأخواتي الذين علموني أن الحياة بغير علم لا طعم لها، فدفعوني بذلك إلى طريق البحث والمعرفة.

إلى جميلتيَّ إلين أيلين وأخي الثاني هيثم.

شكر وعرفان

أتـشرف بتقديـم جزيـل الشـكر لإدارة جامعـة النيلـين؛ كليـة الدراسـات العليـا، ولجميـع الأسـاتذة الكـرام وجميـع المكتبـات وجميـع العاملـين فيهـا، وأخـص بالشـكر د. إليـاس سـعيد سـعد وأسرتـه الـذي شرفـني بإشرافـه عـلى هـذه الكتـاب بمـا غمـرني بـه مـن التواضـع وغـزارة العلـم والخـبرة الواسـعة في دقـة الملاحظـة والتوجيـه، ويمتـد شـكري إلى السـيد جامـع محمـد الصيـاح جامـع؛ وكيـل الملـك ونائبـه لإدارة الميـدوب الأهليـة، ولا يسـعني إلا أن أشـكر الأسـتاذ أتيـم سـايمون دي مـا بيـور، لعونـه لي في إعـداد الكتـاب، والبروفيسـور عصـام عبـد الوهـاب بـوب، لتشـجعي دومًـا في الكتابـة عـن الميـدوب. والإخـوة طـارق آدم النحلـة، وسـعادة المقـدم الهـادي عبـد الله سـدة، والأسـتاذ الجليـل عبـاس إسـحاق بيديـه، والعـم إسـماعيل عبـد الله كبـش، والأخ طـه البشـير، وللأخـوات: سـارة حامـد، سـناء دفـع الله، وبهجـة جامـع، عـلى المسـاعدة وأنهـن كانـوا يـد العـون لي في هـذا الكتـاب، شـكرًا لحسـن تعاونهـم معـي، وإلى كل مـن سـاعدني بـأي فكـرة أو ملاحظـة أو عمـل أو طباعـة لإخـراج هـذا الكتـاب.

وأخـيرًا شـكري وتقديـري وحـبي إلى المغفـور لـه الوالـد العزيـز، وللوالـدة العزيـزة الغاليـة الـتي أحاطتـني بالعـون والتشـجيع والصـبر والتحمـل.

والشـكر أجزلـه إلى رفـاقي الذيـن كانـوا لي شـعلة وسـندًا في هـذه الحيـاة، وأتقـدم بالشـكر أجزلـه لـكل مـن سـاعدني وفاتـني أن أذكـر اسـمه، فلـه مـني كل العفـو والشـكر والتقديـر.

تقديم

في عـام ٢٠٠٣م بـدأت الحـرب في دارفـور بإعـلان عـدد مـن الحـركات المسـلحة تمردهـا على النظـام الحاكم مـن الخرطوم، ومـن ثـم بـدأوا في شـنِّ عـدد مـن الهجمـات عـلى المـدن ومراكـز تجمـع الجيـش السـوداني. تسـببت الحـرب في خسـائر ماديـة هائلـة، كمـا أدت إلى نـزوح غالبيـة سـكان الإقليـم، خاصـة مـن ذوي الأصـول الإفريقيـة. قَـدَّرت الأمـم المتحـدة في عـام ٢٠٠٨م عـدد القتـلى بأكـثر مـن ٣٠٠ ألـف ضحيـة. ظلـت الخرطـوم عـلى الـدوام تشـكك في ذلـك الرقـم، رغـم أن الحـرب لـم تتوقـف حـتى الآن.

الحقيقـة يمكـن قـول الكثـير عـن هـذه الحـرب المدمـرة مـن حيـث الخسـائر والضحايـا، وسـكب الكثـير مـن الحـبر عـن هـذه المأسـاة الإنسـانية بالغـة السـوء. إلا أن هـذا الكتـاب يحـكي قصـة أخـرى للحـرب لـم يروِهـا الآخـرون، تنـاول باحـث شـاب مـن سـكان المنطقـة الأصليـين الجوانـب الـتي لـم يتطـرق إليهـا الباحثـون مـن حيـث التغـيرات العميقـة الـتي أحدثتهـا الحـرب في الأنسـاق الاقتصاديـة، السياسـية، القرابيـة، القضائيـة. .. إلـخ للمجتمعـات الـتي مثلـت مـسرح الحـرب وميدانهـا.

وعلى الرغم من أن الدراسة يمكن أن تمثل إضافة وإسهامًا مقدرًا في سوسيولوجيا الحروب، فإنه يمكنني القول إن الدراسة لا تقتصر فائدتها على دراسة الآثار التي أحدثتها الحرب فحسب، وإنما تمثل دراسة أنثروبولوجية هامة قدمت وصفًا إثنوجرافيًّا بالغ الأهمية لمجتمع ظل بعيدًا عن التأثر بعوامل التغير الاجتماعي السريع، وذلك بحكم عزلته الجغرافية أقصى شمال دارفور، ولقد ظلت الصحراء الكبرى التي احتضنت قبيلة الميدوب في جبالها تمثل على الدوام مانعًا وحاجزًا بيئيًّا كبيرًا عزل سكان هذه المنطقة سنوات طويلة من التاريخ الإنساني، ووقف أمام تدفق العناصر الثقافية. ومع الوضع في الاعتبار التغيرات التكنولوجية الهائلة في عالم اليوم يصبح تغير المجتمعات وفقدان خصائصها الثقافية أمرًا بديهيًّا لن يتجاوز عدة سنوات في أغلب الأحوال، ومن ثمَّ يصبح تقديم مثل هذا الوصف الدقيق لتجربة إنسانية تمثل قيمة تراثية وإنسانية على درجة عالية من الأهمية والفائدة، ومن ثَمَّ تعتبر هذه الدراسة سجلًا إثنوجرافيًّا دقيقًا وموضوعيًّا لقبيلة الميدوب أقصى شمال دارفور، خاصة في محلية المالحة.

في هذه الدراسة استخدم الباحث المدخل الأنثروبولوجي الشموليMethod (Holistic) في وصف السياق الثقافي لمجتمع الميدوب من حيث التقاليد والأعراف وأشكال التعبير الفني، كذلك اهتمت الدراسة بوصف الكثير من الأدوات والتكنولوجيا المادية المستخدمة في جميع الاحتياجات المعيشية كالملبس،

والمسـكن، وأدوات الإنتـاج، مـع إرفـاق الصـور المناسـبة. كذلـك وصـف الباحـث وحلَّـل المكونـات البنائيـة للمجتمـع كالنظـم الاقتصاديـة، والسياسـية، والقرابيـة... إلـخ. حللـت الدراسـة أيضًـا كيـف اسـتطاع مجتمـع الميـدوب مـن التأقلـم مـع الحـرب بإنتـاج أنمـاط سـلوكية اجتماعيـة وثقافيـة تتناسـب مـع المتغـيرات الجديـدة الـتي أصابـت مجتمعهـم، طبعًـا هـذا لا ينفـي الثمـن الغـالي الـذي دفعتـه المنطقـة، ولكنهـا كمجتمـع قـد اسـتطاعت المحافظـة عـلى بقائهـا بالتكيـف مـع الحـرب ومتطلباتهـا.

هـذا الكتـاب يمثـل إضافـة إلى الـتراث النظـري لعلـم الاجتمـاع والأنثروبولوجيـا في السـودان وفي المنطقـة، وهـو جديـر بـأن يأخـذ مكانـه في المكتبـة الأكاديميـة أو مركـز البحـوث.

إلياس سعيد سعد أشول

سبتمبر ٢٠٢٠م

مقدمة المؤلف

عـرف الفلاسـفة والمفكـرون قضيـة التغـير الاجتماعـي منـذ قـرون طويلـة واهتمـوا بهـا؛ فهـذا "هيراقليطـس" - أحـد فلاسفة اليونـان القدامى - اعتمـد التغـير القضيـة الأساسـية في فلسـفته؛ فإيمانـه بقضيـة التغـير وعـدم ثبـات الوجـود جعلـه يؤكـد حقيقـة تغـير كل شيء مـا عـدا شيء واحـد هـو التغـير ذاتـه، وقـد ضرب مثـلًا لذلـك: "بـأن الشـخص ذاتـه لا يمكـن أن يغتسـل مـن النهـر نفسـه مرتـين، لأن مـاء النهـر في تغـير دائـم، والشـخص نفسـه معـرض للتغـير[1]، ممـا سـبق ذكـره لـم يسـتخدم إلا في أوائـل القـرن العشريـن بصـورة محـددة وذلـك بعـد اسـتخدام "وليـم أوجبـيرن" للمصطلـح ذاتـه التغـير الاجتماعـي في كتابـه الـذي يحمـل العنـوان ذاتـه، والـذي نـشر عـام ١٩٢٩م، ويرجـع السـبب في اسـتخدام مصطلـح التغـير الاجتماعـي إلى اختـلاط مفاهيـم التطـور والتقـدم والنمـو الاجتماعـي في النظريـات السوسـيولوجية الأولى ولجـوء بعـض المفكريـن إلى محاولـة الربـط بـين هـذه المفاهيـم جميعًـا في مفهـوم واحـد يتضمـن معانيهـا جميعًـا أو يكـون محايـدًا، لـذا اسـتخدم مصطلـح التغـير الاجتماعـي[2].

١ حسين عبد الحميد أحمد رشوان التغير الاجتماعي والمجتمع، كلية الآداب جامعة أسيوط، ط٢٠٠٧، ص٤٥.

٢ فاروق زكي يونس علم الاجتماع الأسس وأساليب التطبيق، عالم الكتب:١٩٧٢م، ص ٢٨٨.

التغـير الاجتماعـي سـمة طبيعـة للمجتمعـات الإنسـانية منـذ فجـر التاريـخ، ويعتـبر مـن الموضوعـات الرئيسـية في الدراسـات الاجتماعيــة والأنثروبولوجيــة، وجــاء الاهتمــام بهــا في أوائــل هـذا القـرن بدراسـة النظـم لوصـف مكونـات البنـاء الاجتماعـي لمجتمـع معـين في حقبـة زمنيـة معينـة. والتغـير الاجتماعـي عمليـة مسـتمرة تخضـع لهـا بيئـة الفـرد الاجتماعيـة الداخليـة والخارجيـة، فـكل مـا في المجتمـع مـن مظاهـر ماديـة روحيـة جغرافيـة اجتماعيـة اقتصاديـة ثقافيـة دينيـة تقدمهـا وانتكاسـتها تعـود إلى التغـير الاجتماعـي.

مجتمـع الميـدوب مجتمـع معـزول عقـودًا طويلـة، ويُعـزى ذلك إلى طبيعـة المنطقـة الصحراويـة والجبليـة، ولا يندمجـون مـع المجموعـات الأخـرى سـوى العلاقـات التاريخيـة بينها وبـين بقية المكونـات القبليـة الأخـرى، وحفاظهـا عـلى موروثاتهـا وقيمهـا الاجتماعيــة ولغتهــا. ومــن الغريــب أن عــددًا مــن الدراســات والبحـوث الـتي قـام بهـا الدارسـون مـن علمـاء الأنثروبولوجيـا الإنجليـز، وأيضًـا عـدد مـن العسـكريين الذيـن خدمـوا وعملـوا في السـودان قدمـوا كتابـات عميقـة عـن حيـاة قبائـل الصحـراء بمـا فيهـا الميـدوب - موضـوع الكتـاب - وتركـوا دراسـات إثنوجرافيـة دقيقــة لبعــض القبائــل الــتي أتيــح لهــم أن يعملــوا فيهــا ويتصلـوا بهـا، وإنـني أكتـب هـذا الكتـاب وأود أن يُنظـر إليـه عـلى أنـه كتـاب رائـد في أكـثر مـن ناحيـة: قلـة الكتابـات الـتي كتبـت أو لـم تكتـب عـن هـذه المجموعـة النوبيـة الـتي مـا زالت محافظـة عـلى نظامهـا الأمومـي والاجتماعـي، ومـن ناحيـة رائـد

في الدراسات الميدانية والحقلية في المجتمع الرعوي الذي لم ينشر حوله حتى الآن الكثير من الدراسات كغيرها من كتابات أو دراسات السلالات العرقية التي تُجنِّب الكثيرين التعرض لصعوبتها وحساسيتها، وأشير هنا إلى الباحث علي يوسف آدم الذي اغتيل غدرًا من قبل نظام الإنقاذ قبل أن يرى كتابه النور. وإذا كان الكثيرون من الكتاب الأجانب الذين أسهموا بدور فعَّال في دراسة المجتمعات الإفريقية أمثال "إيفانز بريتشارد" و"إميرسي بيترز" قد تركوا لنا نتائج لدراساتهم وبحوثهم الميدانية، وتشغل الآن مكانًا مرموقًا في المكتبة الخاصة بالدراسات والبحوث للمجتمعات الصحراوية، وأقدم لكم كتابي الجزء الأول عن مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي عند قبيلة الميدوب. مجتمع الميدوب مجتمع معزول منذ عقود طويلة، ويُعزى ذلك إلى طبيعة المنطقة الصحراوية والجبلية ووقوعها الجغرافي في آخر المناطق لإقليم شمال دارفور من الناحية الشمالية، ويقوم نظام البناء الاجتماعي على النظام الأمومي، ويمارسون حرفة رعي الإبل والضأن، ويعتمدون عليها اعتمادًا كليًّا في نشاطهم الاقتصادي، ويجاورون قبائل الكبابيش شرقًا والزيادية الجنوب الشرقي والبرتي جنوبًا والماهرية والأبالة البدو غربًا محلية كتم. ففي العام ٢٠٠٣م أصبحت المنطقة مسرحًا للصراع بين الحركات المسلحة والحكومة السودانية وقبلها المعارضة التشادية بقيادة إدريس دبي، وبرغم ذلك أدى إلى تماسكهم وعدم نزوحهم إلى الداخل واستغل فيها الشباب

في الـصراع الدائـر مـن قبـل الحكومـة، وللتطـور التكنولوجـي والتجـارة الحدوديـة مـع ليبيـا وتشـاد ومـصر، ووفـدت إليهـا مجموعـات أخـرى كقبيلـة الفـور والزغـاوة والجموعيـة مـن أجـل التجـارة، وحدثـت تغـيرات عـلى نواحـي الحيـاة بالمنطقـة وترتب ذلـك التغـيرات في القيـم الاجتماعيـة والأوضـاع الاقتصاديـة والثقافيـة، وهـذا مـا كان لـه الأثـر الإيجابي والسـلبي عـلى مجتمع الميـدوب. هـي إضافـة مـادة علميـة في الدراسـات الاجتماعيـة والبحـوث العلميـة الـتي أجريـت حـول الموضـوع وتُسـهِم بدورهـا في المجـال الأكاديمـي والـتراث النظـري لدراسـات التغـير الاجتماعـي. وترجـع الأهميـة العمليـة عـلى أن التغـير في البنـاء الاجتماعـي في داخـل مجتمـع قبيلـة الميـدوب والاسـتفادة مـن الدراسـة في العلاقـات التاريخيـة مـع المجموعـات الإثنيـة الأخـرى والحضريـة في الاسـتقرار السـياسي والتعايـش السـلمي والتنمـوي، تتمثـل في أن هـذه الدراسـة سيسـتفيد منهـا العاملون في مجـال التنميـة والإدارة والمهتمـون بهذا الشـأن. تقـع المنطقة جغرافيًّـا في الجـزء الشـمالي الـشرقي لولايـة شـمال دارفـور وهـي منطقـة صحراويـة تتخللهـا بعـض الأوديـة والمرتفعـات الجبليـة وتقـع إداريًّـا لمحليـة المالحـة ويسـكنها قبيلـة الميـدوب وتعتـبر العاصمـة الإداريـة لـكل المناطـق جبـال الميـدوب. مـن خـلال سردنـا محتويـات هـذا الكتـاب الـذي احتـوى عـلى خمسـة فصـول أوضحنـا فيـه أصـل الميـدوب وفروعهـا، بحيـث اشـتمل الفصـل عـلى عـرض توضيحـي واضـح ومحـدد عـن الخلفيـة التاريخيـة والطبوغرافيـة لمناطـق جبـال الميـدوب وعـن أصـل

الميـدوب، ومحاولـة الكاتـب في معالجـة تناولـه موضـوع مظاهـر التغـير الاجتماعـي، بالإضافـة إلى أهميـة هـذا الكتـاب بالنسـبة إلى العاملـين في مجـال التنميـة والإدارة العامـة وللمسـتفيدين. أمـا المبحـث الثـاني النشـاط الاقتصـادي والوحـدات الاقتصاديـة وتكويـن القطيـع وصـور التضامـن والعمـل المشـترك، إضافـة إلى المـوارد الطبيعيـة؛ بـئر المالـح والعطـرون وواحـات النخيلـة والسـلم. الفصـل الثالـث تناولـت فيـه النسـق القـرابي في النظـام الأمومـي عنـد الميـدوب وتوريـث العـرش لابـن الأخـت، ودور الطواطـم في النظـام الأمومـي وكيفيـة التنشـئة الاجتماعيـة للطفـل. الفصـل الرابـع عـن النظـام السـياسي والإداري والملوك الذيـن تعاقبـوا عـلى حكـم القبيلـة عـبر النظـام الأمومـي وعـن النحـاس كرمزيـة للميـدوب وعلاقتهـم بمملكـة الفـور عـبر المقاديـم. الفصـل الخامـس عـن النسـق الثقـافي وطقـوس العبـور وعـادات وتقاليـد الكنـوس عنـد الميـدوب، وعـن أقـدم رحلـة حـج إفريقـي طقـس البـازا. والديـن والأماكـن الدينيـة والأثريـة. الفصـل السـادس عـن مظاهـر التغـير الاجتماعـي والثقـافي عنـد الميـدوب.

عثمان إبراهيم عثمان جامع - المالحة

أكتوبر ٢٠٢٠م

مجتمع الدراسة

المبحث الأول: الخلفية التاريخية والطبوغرافية والنشاط الاقتصادي:

تقع منطقة الميدوب في الجزء الشمالي الشرقي من ولاية شمال دارفور، في مساحة ٣٦٠٠٠ كم٢ تقريبًا، وتحدها من الشمال الولاية الشمالية وليبيا، وشرقًا ولاية شمال كردفان، وجنوبًا محليتا الكومة ومليط، والجنوب الشرقي محلية أم كدادة وغربًا محلية كتم. تعتبر محلية المالحة العاصمة الإدارية لمناطق جبال الميدوب[٣] وقد كان لبعد جبال الميدوب وانتشار الصحراء القفرة من حولها أثر بعيد في عزلة سكانها، والميدوب مركزهم جبل ميدوب على بعد ثلاثة أميال إلى الشمال الشرقي من جبال تقابو، وتعني بلغة الميدوب الطريق الوعر، ويقتنون الإبل والخيل والضأن وهم في طريق الأربعين[٤].

يرجع تاريخ المنطقة حسب الروايات الشفاهية والمدونات التاريخية إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وسكانها ضمن المجموعات الحامية بالسودان ذات الأصول النوبية في عصر

٣ النشرة التوضيحية لمحلية المالحة,٢٠١١م، ص١-٢.

٤ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، مطبعة النجوى، دار الثقافة بيروت، ٣٤.

كـوش[٥]، ويبلـغ عـدد سـكان جبـال الميـدوب حسـب التعـداد السـكاني للعـام ٢٠٠٨م- ٢٠٠٩م نحـو ٨٣٥,١٦٥ ألـف نسـمة.

تعتـبر جبـال الميـدوب مـن أكـثر مناطـق الصيـد في السـودان، وأكـثر أنـواع الصيـد انتشـارًا الغـزلان في المناطـق الرمليـة حـول الجبـال والهضـاب، إضافـة إلى الحبـارى والمها الإفريقي، وأشـهر مناطـق الصيـد في وادي مجـرور ووادي هـور العليـا وهضبـة جبـال تيقـا[٦] أمـا الطقـس في منطقـة شـمال دارفـور، فهـو ملائـم لرعـي الإبـل وخـالٍ مـن الأمـراض، لـذا نجـد مجموعـات البـدو الرحـل يعيشـون في هـذه المنطقـة واعتـادوا بيئتهـا، حيـث تحلـو حريـة التجـوال في سـهولها ووديانهـا الخـضراء بحثًـا عـن المـاء والـكلأ، وتتجـه معظـم قبائـل البـدو عنـد حلـول الشـتاء إلى أرض الجـزو، حيـث ينمـو نبـات أخـضر كثيـف يحتفـظ بخضرتـه ورطوبتـه بهضبـة (تيقـا) في مناطـق جبـال الميـدوب، ولـه القدرة عـلى مقاومـة الجفـاف بعـد توقـف الأمطـار، ثـم إنـه غـني بالمـاء والرطوبـة، فـلا تـكاد الحيوانـات تحتـاج إلى شرب المـاء طـوال وجودهـا في الجـزو مـن أواخـر أكتوبـر إلى أوائـل فبرايـر، وتُحسَـب الأيـام عنـد الميـدوب وذلـك مـن خـلال عـد الأيـام الـتي تـرد فيهـا الإبـل والبهائـم البـئر، وذلـك بغـرض القـدوم لحضـور جلسـة مـن القضايـا أو حضـور مناسـبة مـن المناسـبات الاجتماعيـة وتتـم كالآتي:

---

٥ الحسن موسى المبارك، تاريخ دارفور السياسي ١٨٨٢م- ١٨٩٨م، ط الثانية ١٩٩٥م، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم.

٦ ادم عبد الله حسن، الميدوب تحت المجهر، كتاب غير منشور، ١٩٨١م، ص١٥.

١.بوكـولي أول يـوم الـشرب والطلـوع مـن البـئر قبـل الغـروب نحـو المرعـي.

٢.توير أوود اليوم الثاني من شرب الماء.

٣.توير أوود سنقجي اليوم الثالث لشرب الماء.

٤.توير أوود كوريه اليوم الرابع لشرب الماء.

٥.إيديدني أوود سنقجي اليوم الخامس لشرب الماء.

٦.إيديدني أوود كوريه اليوم السادس لشرب الماء.

٧.أول تيـدي اليـوم السـابع لـشرب المـاء ونـزول البـئر، أول بلغـة الميـدوب بمعـنى البـئر. وتعـرف أسـماء الشـهور عنـد الميـدوب كالآتي:

سادنقي الضحية.

آرني منتصف الصيف وتساقط أوراق الشجر.

بري الصيف.

إيجي الشتاء.

سيي الخريف.

أورنقل الربيع.

ظاهرة الفلك والنجوم عند الميدوب:

١. نجوم الصيف:

الزرافة أو العنقريب، وتسمى بلغة الميدوب (تيدين آرقيتي)، وتظهر في الناحية الشمالية.

٢. الرسن (بيتين آرقيتي)، وتظهر في الناحية الجنوبية.

٣. العقرب (أوودي كونجي)، وتظهر في السماء من الناحية الجنبية أيضًا.

٤. الدلو (تولي)، وتظهر في منتصف السماء.

نجوم الشتاء:

الثريا أو الثريا (بورودي): وتظهر في منتصف السماء في شهر (٥)، وتأتي العطش، وكذلك تسمى أبو ريا باللغة المحلية للميدوب (آراراكا تونجين أونجدي). الأيسا آراراكا.

الشارة اليمانية: وتظهر في الناحية الشمالية، وتأتي ماشيات مع بعض ومنها كانت رحلة الشتاء والصيف، وهي للاهتداء بها في السفر، خاصة عندما كان المشي على ظهور الإبل إلى ليبيا.

الجدي: وهي النجمة التي لا تغيب أبدًا، واسمها بلغة الميدوب (بودران أونجيدي).

عنقريب الحق: وتأخذ هذا الشكل (: :) ويقال إنها من الأنجم التي وضع بها سيدنا إبراهيم قوائم البيت الحرام في بكة. كل نجمة فيها تتخذ ركنًا من أركان البيت، وتقع في منتصفها الكعبة المشرفة، وتتخذ كذلك بوصلة للصلاة نحو القبلة.

الشعرى اليمانية الشعرى الشامية: وهي النجمتان اللتان كانوا يهتدون بها في رحلة الشتاء والصيف. وأتت الكلمتان من الآتي:

اليماني من الساعد الأيمن.

الشامي من الساعد أو اليد الأيسر.

سنجلو: وهي نجمة الزهرة، تظهر في كل الأوقات ولا تشق من منتصفها وتظهر بعد غرب الشمس، وهي نجمة للتفاؤل والتشاؤم عند الميدوب، إذا ظهرت في بعض شهور السنة مثلًا في فصل الخريف يكون العام ممطرًا ومليئًا بالخيرات، أما إذا غابت تأتي (الصبنة) أي الجفاف والقحط.

بوردي أو الثريا: إذا ظهرت من الشرق عند نهاية الصيف وبداية الشتاء في وقت صلاة الصبح نعرفها من خلال أن النمل لا يخرج من بيوته، ويوم طلوعها من بيتها هذا النمل وتسمى (كوار). وكذلك الإبل إذا كنَّ راقدات اتجهن نحو الشرق معناه ظهرت نجمة الثريا، وتقوم الإبل وقوفًا (مطأطئات راقدات) خاصة بعد السقي في البئر. تكون البلد

كلهـا في عطـش وقلـة المـاء بظهـور نجمـة البـورودي.

السـنجلو: همـا نجمتـان في الصبـاح والمسـاء، وعنـد الصبـاح تظهـر مـن الـشرق نحـو السـاعة ٤-٥ صباحًـا أول طلـوع الشـمس تغيـب، وعنـد مغيـب الشـمس تظهـر مـرة أخـرى، وهـي للتفـاؤل.

الشـقاق: وهـي نجمـة المريـخ تجـيء ماشـية مـن الـشرق إلى الغـرب في شـهر ٨ شرقًـا أو غربًـا، ويكـون الخريـف فيهـا مبـشرًا بالأمطـار. وسُـمِّيَتْ بهـذا الاسـم لأنهـا تشـق السـماء مـن منتصفهـا إذا ظهـرت مـن الناحيـة الشـمالية وتأخـذ خمسـة وأربعـين يومًـا لتظهـر مـرة أخـرى، أمـا إذا ظهـرت مـن الناحيـة الجنوبيـة تأخـذ سـتة أشـهر.

آري تـوون أوود: أي وادي السـماء، وتظهـر فيهـا الحصـان في شـهر ٦-١٠ وهـي فصـل الخريـف، وتظهـر الجمـل في شـهر ٥ وهـي عـز فصـل الصيـف، وتكـون مـن الناحيـة الجنوبيـة، وفي حالـة ظهـر انتصافـه لبطـن الـوادي لا تجـري الميـاه في الوديـان.

الصقـر المكتـف: وتظهـر مـن الناحيـة الشـمالية وكذلـك الصقـر الطائر.

والأبـراج سـبعة عنـد الميـدوب تسـمى تيديـن آرقيـتي تكـون مـن الناحيـة الشـمالية.

أمـا مـن الناحيـة الجنوبيـة سـتة وتسـمى بيتـين آرقيـتي، وقيـل

إنهـا كانـت سـبعة ووقعـت واحـدة في قبيلـة الـبرتي وانتهـى منهـم.

حكايـة العقـرب والتريـا (بـورودي): وقيـل إنهـنَّ كانتـا ضرتـان وزوجهمـا العـصي (آراركا) ويقـال إنـه كان في بيـت العقـرب وفي طريقـه لبيـت آراركا لدغتـه العقـرب قبـل أن يصـل إلى بيـت بـورودي فتـوفي في الحـال وفيـه تفصيـل واضـح لأعضائـه التناسـلية.

تيديـن آرقيـتي: بلغـة الميـدوب وبالعربيـة بنـات النعـش وكذلـك الزرافـة أو العنقريـب، وتعـرف مـن خـلال أربعـة نجـوم في الأمـام وثلاثـة في الـوراء ـ وكل نجـم لـه اتجـاه جغـرافي ويأخـذ شـكل العنقريـب بأرجلـه.

نجـم السـهيل، والـذي تقـوم بـه دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة بإطـلاق قمـر صناعـي نحـوه، وتسـمى بلغـة الميـدوب (آراركا تونجـين أونجيـدي).

تودنيـه تيـلي: وهـي مـن أشـهر الشـتاء، والـتي تعـرف بهـا الأم بحمـل ابنتهـا أم لا[٧].

والأبـراج عنـد الميـدوب تسـتخدم للترمـل، وتسـمى بلغـة الميـدوب (كوجـي)، وتسـتخدم في خـط التنجيـم، لمعرفـة المسـتقبل وكـوارث الطبيعـة أو مـا وراء الطبيعـة والسـفر ومواسـم الفصـل والمواسـم.

٧ إسماعيل سلطان تكراس، العمر ٨٥ سنة، معلم بالمعاش، مقابلة بمنزله بالمالحة ٢٠١٩/٨/١م.

وهي سبعة:

الطريـق (تـاه) ٢. الـسرة (بـودي) ٣. جودلـة ٤. التقـل للسـواد ٥. جبـار أو جليـدي أي النحـس ماسـك الأثـر (جليـدي أوتيـه أنديـم) ٦. الرسـن (آل تيقيـدي).

رسم توضح طريقة التنجيم

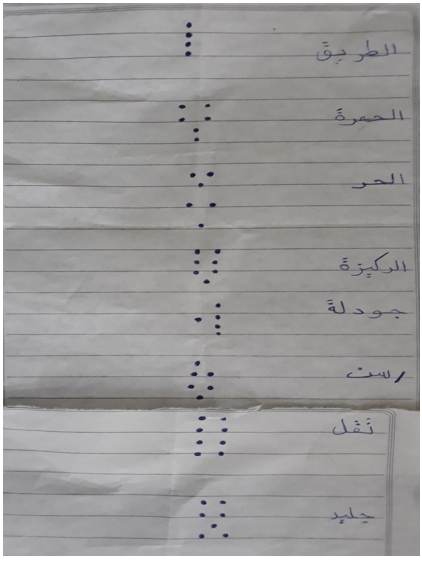

خرائـط توضـح الحـدود الجغرافيـة لحاكـورة الميـدوب وحدودهـا الجغرافيـة مـع القبائـل المجـاورة لهـا تاريخيًّـا.

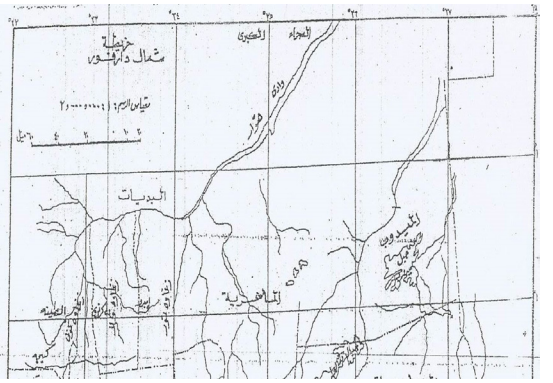

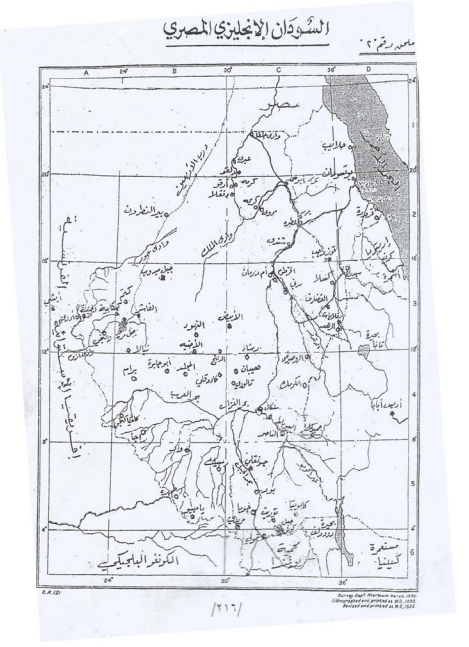

السودان
الجمهورية العربية المتحدة
ليبيا
المديرية الشمالية
مديرية دارفور
مديرية النيل الازرق
مديرية كردفان

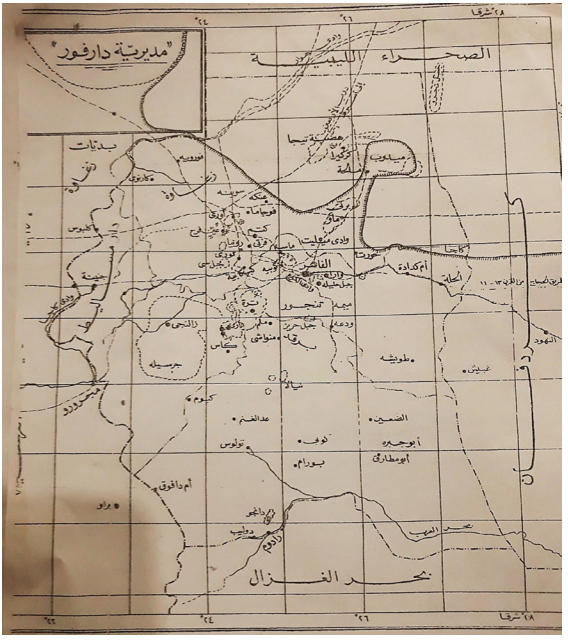
"مديرية دارفور"
الصحراء الليبية
بلدات
الفاشر
نيالا
الضعين
أبوجميزة
أبومطارق
بحر العرب
بحر الغزال

المبحث الثاني: المالحة العاصمة الإدارية لجبال الميدوب ووحداتها الإدارية:

أسس قرية المالحة الملك محمد الصياح جامع بعد استيلائه على الحكم من والده الملك جامع خير من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي، ونقل مقر الحكم الملكي من أدرور في منطقة شخاخة، وقد سميت بعدة أسماء منها: عقلية، لكثرة ما كان تعقل فيها الإبل، وحلة الملك، وتحاط به العديد من الجبال خاصة الفوهة البركانية بئر المالحة وتعتبر من أكبر محليات ولايات شمال دارفور مساحة، وتقدر بنحو ٣٦،٦٠٠ كم٢ بين خطي الطول ١٥ش و٢٥ شرقًا، وتبعد عن عاصمة الولاية الفاشر بنحو ٢٢٠ كيلو متر وعن الخرطوم نحو ٨٥٠ كيلومترًا، طريق رملي غير معبَّد، وتحدها من الناحية الشرقية ولاية شمال كردفان مع الكبابيش والشمالية الشرقية الولاية الشمالية وشمالًا الجماهيرية الليبية وغربًا الماهرية محلية كتم والشمال الغربي وادي هور العليا، وجنوبًا محلية مليط البرتي مع محلية الكومة الزيادية والجنوب الشرقي محلية أم كدادة، ونوضح فيها كيف تطور من قرية صغيرة نائية تنقطع عن عاصمة الولاية والمركز في فصل الخريف لتصبح مركزًا إداريًّا وتجاريًّا وتوفر فرص عمل جيدة للتجارة الحدودية مع ليبيا وتشاد للسكان المحليين والوافدين من كل أنحاء البلاد. خاصة في الأعوام بتجارة البوكو حرام للسيارات وما تجود به أراضيه الخصبة للزراعة، ومنها مشروع أم

بياضة الزراعي القومي ووفرة المياه الجوفية، وأشهرها الحوض النوبي في الجزء الشمالي التي اكتشفتها وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، ومياه الأمطار غير المستفاد منها لانعدام السدود والخزانات المائية والمراعي الجيدة منذ القدم، والمحميات الطبيعية للصيد، ويعيشون في قرى صغيرة حول المالحة، وقد ساعدت الموارد الطبيعية في المنطقة من حقل العطرون وواحات السلم والنخيلة ومشروع أم بياضة الزراعي والتنقيب الأهلي عن الذهب من الناحية الشمالية في جبال تقرو وراهب المعادن التي لم تكتشَف، وكذلك البترول في مربع ١٢ وموقعها الإستراتيجي من حيث وقوعها على طريق الاتصال لدرب الأربعين إلى مصر وكذلك ليبيا وتشاد. وهنالك كتابات عارية عن الصحة دون الرجوع للمصادر والوثائق التاريخية منها كتاب رحلة إلى وداي يناير ١٨٧٣ إلى أغسطس ١٨٧٤م مؤلفه دكتور "جوستاف نافختال" ترجمه من الألمانية إلى الإنجليزية "الن. ب. فيشر"/ "همفري ح. فيشر" تعريب الأستاذ سيد علي محمد ديدان المحامي، بحيث ذكر هناك الميدوب في الحدود الشمالية الشرقية للبلاد على طريق كوبي، ثم عبر الصحراء إلى أسيوط، وهم فرع من البرتي ويمثلون مرحلة انتقالية للبديات والزغاوة، والعزلة التي فرضتها طبيعة بلادهم الجبلية في عمق الصحراء جعلت اعتناقهم الإسلام وثقافته أمرًا اسميًّا فقط. صفحة٢٨٢ وليس هنالك أي تشابه لغوي أو ثقافي بين الميدوب والمجموعات التي ذُكِرَتْ سوى البرتي مجاورة

للميـدوب مـن الناحيـة الجنوبيـة في منطقـة مـدو، وكتابـات حديثـة لخدمـة أغـراض وأهـداف تعمـق مـن الـصراع مـن دون معرفـة الحـدود الجغرافيـة بـين الميـدوب والقبائـل المجـاورة لهـا تاريخيًّـا وحـدود إقليـم دارفـور في كتابـه صراعـات الأرض بـين أعـراف السـلطنة وقوانـين الدولـة في دارفـور للكاتـب محمـد بـدوي، بحيـث ذكـر فيهـا في صفحـة ٦٥ دور العـرف في فـض الـنزاع، يتجـلى في صراع الـبرتي والميـدوب الـذي اندلـع في العـام ١٩٩٧م، وإنمـا كانـت في العـام ٢٠٠٠م، وذكـر أيضًـا بـوادي الزيادية في المجـرور ووادي راهـب في بـوادي الكبابيش، ويسـتمر في شـق الصحـراء الـتي تفصـل بـين ليبيـا والسـودان صفحـة ٨٦. نجـد حقبـة الجفـاف الأخـير في الثمانينيـات مـن القـرن المـاضي تسـببت في اضطرابـات اجتماعيـة وصدامـات مسـلحة أكـبر حجمًـا بمـا لا يقـارن مـع الجفـاف الأول، وأدى إلى قتـال عـالي الوتـيرة وإلى نـزوح الآلاف بدرجـة تتجـاوز كثـيرًا آثـار جفـاف العقـد السـابع مـن القـرن العشريـن. ونظـام الحكومـات الإقليميـة الـذي طبـق في العـام ١٩٨٢م قـد أدى عمليًّـا إلى تكريـس تخلـف التنميـة الاقتصاديـة في المنطقـة والعزلـة السياسـية والثقافيـة النسـبية في هـذا القطـر المترامـي الأطـراف.[٨] الأرض ليسـت سـلعة، ولكنهـا عنـصر أسـاسي لإعمـال حقـوق إنسـان كثـيرة، الأرض قضيـة شـاملة تؤثـر تأثـيرًا مبـاشرًا في التمتـع بعـدد مـن حقـوق الإنسـان. والأرض مصـدر رزق بالنسـبة إلى كثيريـن مـن النـاس، وهـي عنـصر محـوري في الحقـوق الاقتصاديـة.

٨ محمد سليمان محمد، السودان حروب الموارد والهوية، تحقيق صلاح آل بندر، ط٢، الخرطوم دار عزة للطباعة للنشر والتوزيع ٢٠٠٦م.

والأرض وثيقة الصلة بهويات الشعوب، ومن ثَمَّ فإنها مرتبطة بالحقوق الاجتماعية والثقافية، والمنازعات المتعلقة بالأرض كثيرًا ما تكون سبب النزاع العنيف وتحدث عقبات تعترض سبيل استعادة السلام المستدام. وبإيجاز فإن ما تتضمنه الأرض من جوانب خاصة بحقوق الإنسان يؤثر في طائفة من القضايا من بينها الحد من الفقر وتحقيق التنمية، وبناء السلام، والمساعدة الإنسانية، ومنع الكوارث والتعافي منها، والتخطيط الحضري والريفي، على سبيل المثال لا الحصر. والقضايا العالمية الناشئة مثل: انعدام الأمن والأمن الغذائي أفضت أيضًا إلى إعادة تركيز الاهتمام على كيفية استخدام الأرض والتحكم فيها وإدارتها من جانب الدولة والإدارة الأهلية. وتظل الأرض عنصرًا حاسمًا في سياقات النزاع وما بعد النزاع. وعندما ينتهي النزاع يشكل رد الحقوق وأراضيهم جزءًا أساسيًّا من بناء السلام والتنمية المستدامة.

تعتبر المالحة العاصمة الإدارية لمناطق جبال الميدوب، وتضم في داخلها ست وحدات إدارية وأربعة عشر مجلس قرية، وهي:

١. وحدة المالحة الإدارية.

٢. وحدة العطرون والحارة الإدارية.

٣. وحدة ماريقا الإدارية.

٤. وحدة عين بسارو الإدارية.

٥. وحدة الحلف جبل عيسى الإدارية.

٦. وحدة أبو قران الإدارية.

وتأسست كمحلية في العام ٢٠٠٧م وتعاقب على إدارتها عدد من أبناء المنطقة، وهم:

الأستاذ/ التجاني عبد الله صالح.

العمدة/ جامع محمد الصياح.

رائد شرطة/ آدم الأمين إسماعيل.

الأستاذ/ مبارك عبد الله فضل.

عقيد شرطة/ إسماعيل محمد جمعة.

أسس المالحة الملك محمد الصياح جامع بعد استيلائه على الحكم من والده الملك جامع خير وتغيره لنظام الحكم والإدارة من الأمومي إلى الأبوي، ونقل مقر الحكم الملكي من جبل (ادرور) في شخاخة إلى المالحة، وسميت بأسماء عدَّة حلة الملك عقلية، لكثرة ما كانت تعقل فيه الإبل، وتحاط به الجبال من الاتجاهات الأربعة، وتوجد فيها رئاسة المحلية، وإدارة للتعليم المدرسي، وجمارك المالحة، والمطار العسكري، وشبكة الاتصالات سوداني، زين، أريبا ربطت كل المحلية من شرقها لغربها ومن شمالها إلى

جنوبهـا، ومستشـفى المالحـة الريفـي ومركـز للتأمـين الصحـي إضافـة إلى ٩ مـن الشـفخانات والمحاجـر الصحيـة والوحـدة البيطريـة وتوجـد بهـا ٦٤ مدرسـة، الرحـل ٣١ مدرسـة مختلطـة، ٣٣ مدرسـة ثابتـة، ٨ مـدارس خاصـة، وفي داخـل المالحـة ١٨ مدرسـة أسـاس ٩ بنـين، ٩ مختلطـات، مدرسـتان خاصتـان، إضافـة إلى مدرسـتين ثانويتـين للبنـين ومدرسـة ثانويـة واحـدة للبنـات، ومدرسـة ثانويـة واحـدة خاصـة مختلطـة، مكتـب لرئاسـة مـشروع أم بياضـة الزراعيـة. ومكتـب للزراعـة والغابـات.

ومعسـكر للقـوات المسـلحة، ومركـز للشرطـة الجنائيـة، ومركـز للاحتياطـي المركـزي القطـاع، ٣٣ محكمـة جزئيـة برئاسـة قـاضٍ، ونيابـة المحليـة، وعـدد مـن المحاكـم الريفيـة تبلـغ عددهـا نحـو ١٧ محكمـة ريفيـة، توجـد منهـا ثلاثـة في المالحـة، ومكتـب للاسـتخبارات العسـكرية وجهـاز الأمـن، ومقـر لبعثـة الأمـم المتحـدة والاتحـاد الإفريقـي، والسـوق المركـزي، وسـوق للماشـية، وهيئـة لتوفـير الميـاه بُـنِيَ مـن قبـل الإنجليـز وبعـده اليوغسـلافيين، ومعظـم مبانيهـا مـن البنـاء الثابـت والمـواد المحليـة (٩). وأصبـح سـكان الريـف ينظـرون إلى هـذه المراكـز بوصفهـا (مركـزًا للقـوة)، حيـث يوجـد بهـا كبراؤهـم: الملـك نفسـه، وبقيـة رجـال الإدارات الأهليـة والمعتمـد، والأجهـزة التشريعيـة والتنفيذيـة، والصحـة، والتعليـم، والميـاه. ولمـا كانـت المنظومـة التعليميـة موجـودة في المراكـز الحضريـة

٩ جامع محمد الصياح جامع معتمد سابق ووكيل أول إدارة الميدوب الأهلية، مقابلة الخرطوم، ٢٠١٨/١١/١٥م.

الصغـيرة، وحيـث تخضـع لتنظيـم وإدارة الموظفـين الكبـار، فقـد أصبحـت أداة مفيـدة جـدًّا لدعـم السـيطرة السياسـية والأيدلوجيـة لنمـط الإنتـاج الاقتصـادي الـذي يتحكَّـم فيهـا المركـز، وذات أهميـة إسـتراتيجية فيمـا يتعلـق بالجانـب الأمـني والعمالـة والمعلومـات والحصيلـة الضريبيـة، كمـا تسـاعد أيضًـا في نقـل الأوامـر والقـرارات والسـلع في الاتجـاه المعاكـس. وقـد أدت الضرائـب أو الإتـاوات إلى التفكير في مـد الخدمات للمنطقة. ونتيجـة لهـذا النـوع مـن الحضـور الحكومـي - رغـم ضعفـه - حصلـت المالحـة عـلى صـورة المنطقـة شـبه الحضريـة. أمـا هيئـات منظمـات ريفيـة للتنميـة ومنظمـات الشـباب والطـلاب والاتحـادات، فقـد سـيطر عليهـا المتعلمـون الذيـن خاضـوا تجربـة الهجـرة أو المنتمـون إلى التيـارات السياسـية.

تكـون المجتمعـات في مرحلـة الانتقـال مصـدرًا للغـط، إذ تكتسي بخصائـص ملتبسـة مـن حيـث الشـكل والمضمـون، وهـي تمثـل مـن الناحيـة التاريخيـة لقـاءً دراميًّـا بـين الاسـتمرار والتغـير.

وتعـد المراكـز الحضريـة الصغـيرة هـي المواقـع الأكـثر التباسًـا في ثنائيـة الريـف - الحـضر، حيـث تمثـل النقطـة الرئيسـية للالتقـاء بـين الاسـتمرار والتغـير (١٠).

١٠ مجلة Africa، المجلد ٤٩، العدد الثالث، ١٩٧٩م

صورة لقرية من قرى جبال الميدوب

صورة توضح مصادر نقل المياه بمناطق جبال الميدوب

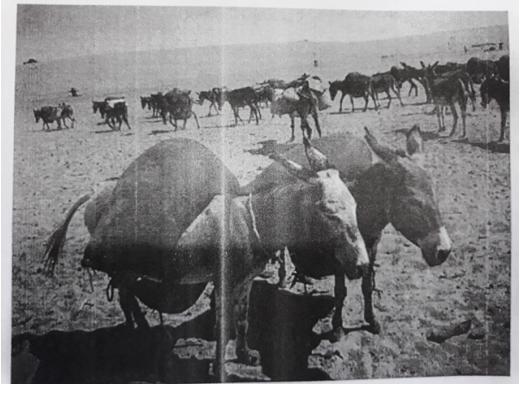

المبحث الثالث: أصل الميدوب

يسكن الميدوبيون منطقة جبال الميدوب، وتوحدهم سماتهم المتشابهة في اللغة والثقافة وسبل المعيشة والمظهر البدني، وإن كانت لغتهم تنقسم إلى قسمين والمعنى واحد. وذكر البروفيسور علي عثمان محمد صالح أن العزلة جعلت الميدوب تحتفظ بلغتها وعاداتها وتقاليدها. فمعنى كلمة تلي تعني الإله وتكتب TEAA وفُقِدَتْ الكلمة عند النوبيين وحلت محلها كلمة نوور وهو رب السماوات والأرض، وورد ذكر "الإله تلا" في المسلات والمقابر للحضارات السابقة لتلك الحقبة لم نجد كلمة مرادفة للمعنى، وكلمة "تلي" تعني الآلهة من اللغة النوبية، رغم وجودها في الكتابات القديمة بالمعنى نفسه، وكلمة "تلي" لم تندثر عند الميدوب، وما زالت مستخدمة لفظًا ومعنى، وذلك لانعزال المنطقة الذي ساعد في الحفاظ على اللغة. قبيلة الميدوب في شمال كردفان ودارفور وهي مجموعة نوبية ولهم طقوس يؤدونها في احتفال لهم قبيل موسم الأمطار عند صخرة "دلي" بمعنى الله في لغة الميدوب، والطقس الذي يتم في جبل "دلي"، "ودلي" أو "تلي" تعني: الله في لغة الميدوب جبل الأردية المقدسة، وتعرف الصخرة باسم "دلي" الإله إردب المحسية أن أداء الطقوس يتم بواسطة عجوز معينة من مجموعة تسمى "أورداتي" وتضع المرأة الحليب والسمن والدقيق واللحوم وغيرها على الصخور، أما بقية الناس فيقفون بعيدًا عن المهمة بعض الشيء، وهم يقفزون

ويغنـون ويرقصـون ([11]).

١. الكارقدي: ثقيلة النطق.

٢. الأورتي: خفيفة النطق.

وللميدوب عدة فروع وبطون:

التورتي ٢. توكيدي ٣. أورداتي ٤. أوستي ٥. أورداتي ٦. إلكيدي

كان أسلاف البشر الأوائل يقطنون القارة الإفريقية، وكان لون بشرتهم أسود وعمروا وادي النيل، وأسسوا فيها الحضارة المصرية النوبية القديمة ([12]). إن حجم بحيرة تشاد أكبر اثنين عشرة مرة من حجمها الحالي، وامتدت شمالًا حتى فزان، الأمر الذي أثر كثيرًا في المناخ ونسبة الأمطار في المنطقة، وكانت هنالك أنهار دائمة الجريان وبحيرات في جنوب ليبيا والمناطق الواقعة إلى الشرق منها حتى جبال العوينات، كما كان إقليم السدود بحيرةً تمتد شمالًا حتى منطقة الخرطوم الحالية، ويقصد بذلك عدم وجود عوائق جغرافية بين سكان تلك المناطق([13])، سكان المنطقة النوبية ينتمون إلى سلالة شعوب إفريقية على البحر المتوسط، وسكان شمال السودان في ذلك الوقت كان لهم لون البشرة الداكنة نفسها

11 McMichael, H.A, Nubian Elements in Darfur. Sudan Notes and Records, vol.١,١٩١٨, p

12. A. J. Ark ell, A history Of the Sudan, Oxford press١٩٤٩-, pp. ٤٤

13 R. Said: General History of Africa, Methodology and African Records International Literature and Textboxs, Oxford press-pp. ٣٨٦-٣٨٥

مثل الأفارقة اليوم[١٤]، تناولت الآثار المصرية القديمة ذكر بعض السكان في الألف الثالث قبل الميلاد، فقد أرسل بعض حكام مصر في ذلك الوقت بعثات تجارية نحو الجنوب، فدوَّن قادة تلك البعثات مثل "حرخوف" أسماء سكان بعض تلك المناطق، فأطلقوا اسم "نحسي" على سكان المنطقة الواقعة إلى الجنوب من بلادهم، واسم التمح أو التمحو وإرتت على سكان المناطق الواقعة إلى الغرب من النيل، ونجد أن السكان الذين تحدث عنهم حرخوف" غربي النيل لا تزال سلالتهم تعيش حتى اليوم في شمال دارفور [١٥].

وجاء ذكر أرتيج في نصوص المملكة المصرية القديمة ونصوص المملكة الوسطى المبكرة واختلف العلماء في تحديد موقعها، وذلك بسبب النقش الذي وجد في ذلك المكان، والذي يشير إليه الملك بيبي الأول أنهم قدموا لفتح أرتيج[١٦]، ثم إن البديات والميدوب ونوبا الجبال والبجة الذين هم سلالة المدجا (Midju) أو الميجايو كل هؤلاء هم سلالة ذلك الجنس الأسمر الذي كان مستقرًّا في الصحراء غربي النيل، وهو اسم قبيلة صغيرة كانت تعيش في عصر الدولة المصرية القديمة في منطقة صغيرة بالشلال الثاني،

١٤ وليم آدمز النوبة رواق إفريقيا، ص ١٢٢ ٤

١٥ شيخ أنتاديوب، مقال أصل المصريين القدماء- تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني النسخة العربية اليونسكو ١٩٨٥م، ص٤٩

١٦ انتصار الزين صغيرون، دراسات إفريقية، مجلة بحوث نصف سنوية، العدد الثامن والعشرين، ديسمبر ٢٠٠٢م، ص ١٦٠

وقـد اسـتعمل هـذا الاسـم حـتى الدولـة الوسـطى، وكانـت بمعـنى رجـل الشرطـة أو حـارس الصحـراء، وقـد جـاء ذكرهـم مـع الـواوات في موقـع حنتـوب ٧ كـم في الصحـراء شرق تـل العمارنـة، وكمـا جـاء ذكرهـم أيضًـا في أنشـودة آمـون في نقـش الفرعـون (تحتمـس) الثـاني ١٥١٠ - ١٤٩٠ق.م، وفي نقـوش معبـد الديـر البحـري، إضافـة إلى برديـة "ليـدن" الـتي ذكـرت أنهم إخوة مـصر[١٧]. الميدوبيـون ينتمـون إلى الأصـل النـوبي، ويتكلمـون لغـة أشـبه بلغـة النوبيـين النيليـين [١٨]، إن ظهـور اللغـة النوبيـة لـدى قبائـل المحـس والكنـوز والسـكوت كان في القـرن الثالـث الميـلادي، وأنهـا أتـت مـن جنـوب كردفـان فحملهـا إلى ضفـاف النيـل بعـض سـكان النيـل، ولا تـزال قبائـل الميـدوب والبرقـد في الغـرب يتكلمـون نمـاذج منهـا (٩). إن أولئـك المهاجريـن مـن بـلاد النوبـة عقـب سـقوط دنقـلا إلى جهـات كردفـان ودارفـور نوبيـون خُلَّـصٌ، بـل كانـوا يمثلـون خليطًـا مـن العـرب والنوبيـين المسـتعربين، ومـن هـؤلاء سـكان جبـل الميـدوب والبرقـد [١٩].

نجـد أن سـكان جبـال الميـدوب هـم نوبيـون هاجـروا بعـد سـقوط دنقـلا المسـيحية فـرارًا بديـن أجدادهـم، وهـذا مـا يؤكـده "هيرودوتـس" أن النوبـة الحمـر عاشـوا جنبًـا إلى جنـب

١٧ أركل، تاريخ السودان، مرجع سابق، ص ٤٤.

١٨ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى مسعد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٥٤م. ٩. نعوم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٧م، ص ٤٥.

١٩ محمد مصطفى مسعد، سلطنة دارفور، تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد (١١)، ١٩٦٣م، ص ٨٦.

بمملكة مروي(٢٠)، ويذكر ابن سليم الأسواني أنه قابل في دنقلا في نحو عام ٩٧٠م زمرة قادمين من الغرب ذكروا أن بلادهم تبعد عن دنقلا بنحو ثلاثة أهلَّة، وأن هؤلاء هم أهل جبال الميدوب(٢١) ويرجع ابن سليم أصل الميدوب إلى النوبة، لأن لغتهم تشتمل على كثير من مفردات اللغة النوبية، يقول إنه عند زيارته جبل الميدوب كان برفقة عدد من رجال البوليس، وعلم أنهم يتحدثون بلغة فيها مفردات مشتركة مع لغة الميدوب، وكانوا من دنقلا بالشمالية، وأنني على الصواب عندما أقول إن هجرة أو نزوح الميدوب من النيل إلى الغرب كانت بسبب ضغوط دنقلا المسيحية(٢٢). الميدوب ينتمون إلى النوبة النيلية، وقد هاجروا من هناك في حقبة النوبة المسيحية عبر النيل إلى جبال الميدوب الحالية، ويعتقد أنهم هاجروا في مجموعات صغيرة غربًا بعد سقوط المملكة المسيحية في دنقلا(٢٣).

وقد أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية واللسانية والأثرية أن جماعة الميدوب في شمال دارفور على صلة بالنوبيين في شمال السودان، حيث اكتشف علماء الآثار مقبرة ملكة

---

٢٠ محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م، ص ١٤٧.

٢١ الأسواني، عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني، أخبار النوبة وعلوة والبجة والنيل، تحقيق مصطفى مسعد، ج١، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٢٧٠هـ، ص ١٣٩.

٢٢ Mac Michle.H, Nubian Elements in Darfur, London ،١٩٢١، p.٣٨.

٢٣ Henderson, K. d. D. (١٩٦٣) Correspondence (Story on Traditional origin of Midob). KUSH.pp.٣٢٣

مملكة مروي القديمة في منطقة جبال الميدوب [٢٤]، وذكر ابن حوقل: انتظام ممالكها لا يعتمد على شريعة دينية، وأنهم نصارى يرتسمون مذاهب الروم، وكان إذا هلك الملك يأخذ الملك ابن أخته. وهذه العادة ليست لها علاقة بالأديان السماوية، بل هي عادة متبعة في الوراثة، وتغيرت بعد الإسلام، واحتفظت قبيلة الميدوب ببعض الموروثات الثقافية القديمة. ومنها بعض العادات الوثنية والمسيحية وضع علامة الصليب التي تقوم بها الحبوبات أيام الأعياد، وكذلك علامة الصليب عند تجليد النحاس، وعند صبيان البازا. وعند بناء المسكن أول شعبة تأخذ شكل الصليب في المنتصف وهذا ما نتناوله لاحقًا في البيت الميدوبي [٢٥]. ويذكر أبو سن في مذكراته عن دارفور ١٩٥٥م - ١٩٥٨م، أن لغتهم تشبه إلى حد كبير لغة البرابرة وعاداتهم وتقاليدهم، يمكن ردها إلى بلاد النوبة القديمة [٢٦]، ومن تلك العادات التعميد للأطفال الذين بلغوا سن الرشد في مهرجان البازا

٢٤ Oliver, Roland and fagon, Brain, Africa in the Stone Age (٥٠٠ ٥٠٠ B.C to ٤٠٠ A. D) Cambridge University Press ١٩٧٥

٢٥ أب القاسم ابن حوقل، مسالك الممالك (صورة الأرض) جغرافية شاملة، دار صادر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٢٧م، ص ٥-٩

٢٦ أب سن، علي عبد الله، مذكرة ابي سن عن مديرية دارفور ١٩٥٥م -١٩٥٨م. دار الوثائق السودانية. ص ١٤

٢٦. مجلة الآثار السودانية (أركماني)، العدد الأول، أغسطس ٢٠٠١، حلقة: رؤية مجددة في تاريخ كوش الثقافي، ص ٨

Recent environmental change and Prehistoric Human Nicoll, cathleen٢٠٠٤ .٩٩٩ -٥٦١ ٢٠٠٤ ٢٣,Activates in Egypt a Northern Sudan Quaternary Sciences Review ٥٨٠ .PachurH.j and j. KropelinWadiHower

ومُنِعَتْ في فترة حكم الملك محمد الصياح جامع، ويعتبر وسترمان ١٩١٢م هو أول من أشار إلى السمات النوبية في الميدوب، وذلك في معرض تعليقه عن كتابات كمايكل الأولى عن الميدوب. ومن الأشياء الماثلة أمامنا اليوم وجود ميدان الميدوب وحي ميدوب في جمهورية مصر العربية، ويذكر العالم بالتاريخ النوبي والخبير الأثري د. أسامة عبد الرحمن النور في ذات الشأن: "ليس مستبعدًا أن يكون أفراد الأسرة المالكة هروبًا من الأعداء وجدوا مع القيادات المقربة منهم ملجأ آمنًا في مكان ما إلى الغرب من النيل في شمال كردفان أو حتى دارفور. مثل تلك الفرضية كان قد طُرِحَتْ من قبل أركل محاولًا تدعيمها بالرجوع إلى بعض التقاليد والروايات الشفهية المتوارثة لدى بعض المجموعات الإثنية في تلك المناطق النائية عن مروي، والتي تشير إلى أنهم أتوا إلى مكان إقامتهم الحالي بقيادة ملكة دُفِنَتْ في مقبرة تلية ضخمة في جبل كبويَّة. في شمال كردفان كُشِفَ عن مخربش كُتِبَ باللغة النوبية القديمة بأحرف إغريقية ورد فيه ذكر كوش، وهو ما يؤكد أن ذكرى كوش لم تتلاشَ حتى بعد انهيار مروي. وفي أبي سفيان وُجِدَتْ أواني من النوع المميز لمصر في عصر البطالسة، وبقايا مباني لما يحتمل أن يكون أطلال هرم شُيِّدَ بالطوب غير المحروق. وُجِدَتْ أطلال أخرى في وادي الملك في "زنكور" والتي كانت تمد الدولة المروية بالحديد.

جبل الميدوب يقع شمال الفاشر وجنوب جبال تقرو،

وتمثل سلسلة جبل ميدوب امتدادًا طبيعيًّا لجبل مرة، وهي سلسلة من الجبال تمتد نحو ٤٣ كيلومترًا من الشرق إلى الغرب ونحو ٥٩ كيلومترًا. والمالحة فوهة تقع في المنخفض غرب جبل تقرو وتتضمن (في منتصف القرن العشرين) رواسب مفيدة من الملح الحجري (نطرون) والجردقة وعدد من ينابيع عذبة وبحيرات ضحلة صغيرة. يبلغ فتحة الفوهة البركانية ٨٢٢ مترًا وعمقها ٦٤ مترًا. كانت البحيرة مليئة بالمياه العذبة، وهذا ما يوضح أن المناخ كان مداريًّا رطبًا، وكان يحيط بها نبات البردي. وأصبحت مياه البحيرة مالحة بتغير المناخ.

وهنالك دراسة قام بها "جون واليزا" من جامعة لندن دراسة دكتوراة في العام ١٩٧٨م عن النظام الرعوي في مجتمع الميدوب، ومكثوا فيها طويلًا وتعلموا لغة الميدوب. والورشة التي أقيمت حول تطوير اللغات المحلية وكتاباتهم قسم اللغويات جامعة الخرطوم وبالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمعات الإفريقية الخرطوم٧-٨ ديسمبر ٢٠٠٦م. وأكدت فيها سوزان الأمين مبارك أن لغة الميدوب نوبية متناولة التركيبة الاسمية (٢٧). اللغة والتاريخ هما مقوما القومية، فالأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها وأصبحت في حالة سبات وإن لم تفقد

٢٧ سوزان الأمين مبارك، ورشة تطوير اللغات المحلية وكتابتها، قسم اللغويات، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، بالتعاون مع مركز الدراسات للمجتمعات الإفريقية، كيب تاون-جنوب إفريقيا، ٧-٨ ديسمبر ٢٠٠٦م

الحياة، ومن ثَمَّ فإنه بمقدور هذه الأمة أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي، بيد أن الأمة إذا ما فقدت الحياة ودخلت في عداد الأموات فلا يبقى من سبيل لعودتها إلى الحياة ([٢٨]).

جبل تقرو: ويقع جبل تقرو على بعد ١٦٠ ميلًا جنوب وادي هور. ويمتد من الشمال إلى الجنوب. ينحدر الجانب الشرقي لجبل تقرو في حمادة، وتوجد في جانبه الغربي مجاري مياه تُكوِّن أودية ضيقة، وتوضح السهول الجانب الغربي للجبل بقايا مياه تُكوِّن منخفضًا يمتد على طول غرب الجبل. ويمثل هذا المنخفض مصدر مياه دائمة في شكل بحيرات ضحلة ومستنقعات. كما يوجد في هذه المنطقة أيضًا وادي الخديرة العميق. وهي منطقة التعدين الأهلي للتنقيب عن الذهب في المنطقة.

٢٨ أحمد وهبان، الأقليات والجماعات والحركات القومية، الدار الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م-٢٠٠٤م، ص ٥٥

Mac Gregor, Andrew James, The Stone Monument and Stone Antiquities AD Aph.D. thies ١٧٥٠-at the jabel marra Rregion, Darfur, Sudan c١٠٠٠ submitted at the Deparment of Near and Middle East civilization, University of Toronto,٢٠٠٠.

صـورة توضـح السـوق في ميـدان الميـدوب بمحافظـة أسـيوط سـنة ١٩٠٠م تظهـر بالصـورة مئذنـة الميـدوب.

الفصل الثاني: النشاط الاقتصادي

المبحث الأول: حرفة الرعي

تتمتع ولاية دارفور بتنوع بيئتها الطبيعية وظروفها المناخية، إذ تقل معدلات الرطوبة والأمطار في أجزائها الشمالية للصحراء الليبية، وقد أدى هذا التباين في الظروف البيئية والمناخية إلى تنوع النشاط الاقتصادي وسبل كسب العيش لسكان ولايات دارفور الثلاث، واستجابة لهذه الظروف فقد فضلت بعض الجماعات كالميدوب والزغاوة والزيادية والرزيقات الشمالية والبني حسين رعي الإبل والماعز والأغنام والبقر كحرفة رئيسية لهم، خاصة في المنطقة الشمالية من الولاية، حيث لا تسمح معدلات الأمطار الشحيحة إلا بزراعة مساحات قليلة من الأرض لا يفي إنتاجها بحاجة الأسرة. ولكن إلى جانب التباين البيئي قد تؤثر بعض القيم في اختيار المهن في دارفور، فجماعة الميدوب يستنكفون عن ممارسة حرفة الزراعة، بعكس جيرانهم البرتي، لأنهم ينظرون إليها أنها حرفة محتقرة، لذلك حتى في السنين الممطرة نجدهم لا يحرصون على استزراع الأرض، بل يعكفون على رعي الإبل والأغنام التي هي حرفتهم الرئيسية ويتحصلون على قوتهم ببيع جزء من حيواناتهم [٢٩]. فالرعاة قلَّما يزرعون، وإذا أكلوا الأغذية النباتية ما يستطيعون الحصول عليه بطريقة الجمع

٢٩ التجاني مصطفى محمد صالح، الصراع القبلي في دارفور، ص ٢٨- ٢٩

أو المتاجـرة مـع السـكان الزراعيـين، ويلاحـظ بصفـة عامـة أن الرعـاة كانـوا أقـدر عـلى شـن الحـرب مـن الزراعيـين المسـتقرين، ومـن قديـم كان الرعـاة - سـواء الأبالـة سـكان الصحـاري أو الفرسـان القادمـين مـن مناطـق الحشـائش مـن مـربي الخيـول - يغـيرون عـلى المشـتغلين بالزراعـة، وكثـيرًا مـا خربـوا مدنًـا كاملـة (حـدث في أوروبـا وفي الصـين والبـلاد العربيـة) (٣٠).

يعتمـد الميـدوب عـلى حرفـة الرعـي بوصفهـا نشـاطًا أساسـيًّا لنمـط المعيشـة في حياتهـم، وتعتـبر الإبـل عندهـم عصـب الحيـاة، ويفتخـرون بهـا أكـثر مـن أبنائهـم ويثنـون عليهـا ويطلقـون عليهـا العديـد مـن الأسـماء وصفاتهـا بلغتهـم المحليـة، منهـا: جمـل الملـك الصيـاح، شـعر الشـيطان، النعامـة، سـفينة الصحـراء. وكانـوا يجلبـون الإبـل مـن مدينـة بربـر والدامـر، وقـد ذكـر أركل أن طريـق درب الأربعـين ذلـك الطريـق المـروع القاحـل الـتي تسـيره إبـل دارفـور في طريقهـا لمـصر طريـق موغـل في القـدم والوسـائم الـتي يرسـمها الأهلون عـلى حيواناتهـم هـي علامـات، إلا أن هـذه العلامـات كانـت في الأصـل كتابـة هيروغليفيـة(٣١).

وللميـدوب دور كبـير في تربيـة الإبـل وتصديرهـا إلى كل مـن ليبيـا ومـصر، وتسـاهم في الدخـل القومـي للبـلاد. تـؤدي الإبـل والماشـية فيـه دورًا اجتماعيًّـا واقتصاديًّـا مهيمنًـا، فهـم

٣٠ محمد محمد الزلباني، مدخل للنظم الاجتماعية، الجزء الأول، الأسس البيولوجية والسيكولوجية في الإنسان وعلاقتها بإنتاج الحضارة، ص ٤٠٦-٤٠٨

٣١ Arkell.A.J. " Darfur Antiquates", SNR, vol .٢٧, ١٩٤٦, p.١٠٥

جماعة أكثر ترابطًا، ولديهم نظام سياسي أكثر تنظيمًا بما فيه ملك يدعي (سرقي) أي: الملك باللغة المحلية، ويليه: العمد، والمشايخ، والمناديب. يعد اقتصاد جماعة الميدوب نوعًا من الاقتصاد المعيشي، ويتسم بالموسمية والهجرة. والمكونات الرئيسية في الغذاء هي: الدخن، واللحوم، والألبان، وبدرجة أقل الحيوانات البرية (الغزلان، الأرانب، الحبارى) التي تُصطاد، وتلك الأجزاء الصالحة للأكل من النباتات المحلية، وتعتبر الحبوب الغذائية، خاصة الدخن، المكون الرئيسي لغذائهم. والإبل والماشية نوع من التأمين الاجتماعي في سنوات الجدب والقحط، وتعد بمنزلة أهم عناصر الاقتصاد المحلي للمنطقة، فهي ليست مجرد جزء من الحياة الاقتصادية، إنما لها أهمية كبيرة في النسق الاجتماعي بوصفها رموزًا للتبادل، ويتطلب الطابع الموسمي ضرورة إتاحة عناصر مختلفة من الغذاء لسد النقص في مجالات أخرى حسب كل فصل من فصول العام. أما التنقل بحيواناتهم من المناطق التي تتوفر فيها الحشائش من الأودية والجبال والسهول بدلًا من القيزان والأراضي التي لا تنمو فيها الحشائش إلا في فصل الخريف. ويعتبر الرعي بمنزلة النشاط الرئيسي للميدوب في فصل الخريف. وفي أثناء ترحالهم نحو الصعيد والأودية والسهول يمكثون مدة من الزمن في الأرض الوسيطة التي تجف فيها البرك والرهود التي تعتبر المورد الوحيد للمياه في تلك الموسم، وتوجد الآبار الجوفية في كل قراهم الرئيسية عدا عين بسارو

التي تعاني شح المياه. أما الإبل والضأن فتتجه شمالًا نحو السافل بحيث تتوفر فيها نبات الجزو الرطبة وتستمر مدة ستة أشهر، ويعتمدون فيها على لبن الإبل بحيث لا توجد مياه للشرب، وذكر الشاعر محمد سعيد العباسي في مطلع قصيدته عن بادية حطان التي تقع في الاتجاه الشمال الشرقي لمشروع أم بياضة إذا مررت على الحطان حيو به - وحيو على منازل قيثوم وطباق (٣٢).

بجانب الثروة الحيوانية يُسهِم ملح العطرون والجندقة (الجرتقة) في الاقتصاد المحلي للمنطقة.

المبحث الثاني: الوحدة الاقتصادية والموارد وتقسيم العمل:

يمارس الميدوب الاقتصاد المعيشي الذي يقوم على الآتي:

الحيوانات - الأرض

بالنسبة إلى الحيوانات؛ الإبل، الضأن، البقر، الماعز هي مملوكة على أساس فردي، كما تكتسب الأسرة المعيشية قوتها بوصفها وحدة اقتصادية من إنتاج الحيوانات المملوكة لأفرادها. بالرغم أن الأرض حرة لكل فرد في قبيلة الميدوب يستغلها كما يشاء، فإن كل عمودية تضع حدودًا

٣٢ القيثوم والطباق أسماء لنبات الجزو.

عـلى مناطـق الأرض الـتي يحـق لأفرادهـا اسـتخدامها والانتفـاع الكامـل بهـا في الرعـي والزراعـة، وتقـوم الأسر المعيشـية بالزراعة حـول البيـوت القاطنـة بهـا، أمـا الأرض الوسـيطة فتسـتخدم في النشـاط الرعـوي للرعـي.

والأسرة المعيشـية هـي أصغـر وحـدة اقتصاديـة، إذ تنتـج وتسـتهلك معًـا بصـورة مشـتركة، وتتكـون مـن الرجـل وزوجتـه أو زوجاتـه وأطفالـه والتابعـين لـلأسرة ومـن تعولهـم مثـل: الآبـاء والأمهـات المسـنين، ومـن يمكـن اعتبارهـم مـن التوابـع في العهـد القديـم مـن الرقيـق، ولا نجـده اليـوم بشـكلها القبيـح في مجتمـع الميـدوب.

وتتكـون القريـة أو الحـلال حسـب فصـول السـنة مـن عـدد مـن الأسر المعيشـية بماشـيتهم مـن الأغنـام والماعـز وقليـل مـن البقـر في الأماكـن السـهلية الرمليـة أو الأوديـة الأماكـن القريبـة لمصـادر الميـاه والعشـب، وتـترك أمـر الاعتنـاء بهـا للأمهـات والبنـات والأبنـاء الأصغـر سـنًّا، أمـا الرجـال والأبنـاء الأكـبر سـنًّا فيذهبـون إلى الشـوقارة نحـو الصعيـد أو السـافل نبـات الجـزو في الشـمال.

وهنالـك أسر معيشـية قليلـة جـدًّا - أو بخاصـة الفقـيرة منهـا - تحتفـظ بماشـيتها بالقـرب مـن القريـة في فصـل الصيـف بحيـث لا يتوفـر العشـب والـكلأ إلا مـا جُمِـعَ وخُـزِّنَ مـن العلـف... إلـخ في فصـل الخريـف. وتقـوم بأنشـطة أخـرى لتوفـير قـوت عيشـها مـن مصـادر عيـش أخـرى، أمـا الأفـراد الذيـن يقومـون

بمسؤوليات إدارية معينة مثل: الملك والعمد والمشايخ من رجال الإدارة الأهلية وأعضاء المحاكم الريفية والموظفين الحكوميين فيبقون في القرية التي ينظر إليها بوصفها مقرًّا لممارسة السلطة والحكم.

وفي منطقة القرية تمتلك كل أسرة مزرعتها الخاصة بها بعد أن عرف مجتمع الميدوب الزراعة المطرية التقليدية الموسمية، وتقوم به النساء والأطفال، إذ يشرف الرجل على الأعمال التي يقوم بها الآخرون ويقدم المساعدة لهم إن كانت هنالك حاجات ملحة إليها، وتعتبر كل زوجة في مجتمع الميدوب مسؤولة عن بيتها، وإطعام زوجها وأطفالها والضيف، ورعي الماشية، وجمع الحطب مع بناتها، ويتناول الأبناء بشكل جماعي الطعام مما أعدته أمهاتهنَّ، وتنطبق أيضًا على الإناث، ويشجع الأب أطفاله من زوجاته المتعددات على تناول الطعام والعمل معًا في كل ما يجابههم في حياتهم.

في هذا المجتمع هنالك مهام محددة لا تقوم بها إلا النساء، مثل: جني ثمرة القضيم والأرتي من النباتات البرية ومحاصيل الدخن والبامية، ورعي البقر والماعز وحلبهن، وعادة ما يشترك الأطفال الصغار سنًّا في ذلك. والعمل الجماعي بالغ الأهمية في حياة القرية أو الحلال التي يقطنها الميدوب عن سواهم، ومساعدة البعض في النفير، والعمل الجماعي المشترك في بناء البيت الميدوبي من المواد المحلية: الأعواد

والقـش، أو في نظافـة الأرض قبـل الزراعـة والاسـتعداد لهـا، أو الحصـاد ورعـي الماشـية معًـا.

المبحث الثالث: تكوين القطيع:

إن المجتمـع النـوبي القديـم مجتمـع شـبه رعـوي يتنقـل نحـو الزراعـة ويعتمـد في اقتصاداتـه عـلى التجـارة والترانزيـت للسـلع المتبادلـة بـين مـصر والسـودان (٣٣).

يعتـبر الأب رب الأسرة المالـك الحقيقـي لماشـية الأسرة، غـير أن القطيـع المملـوك لـه فعليًّـا هـو ذلـك الـذي يتبقـى بعـد اسـتبعاد الأنصبـة الـتي يتـم منحهـا للزوجـات والأولاد. ويبـدأ الشـاب بتكويـن قطيعـه الخـاص بـه مـن خـلال العمـل راعيًـا في إحـدى مراحـات أبيـه أو أخوالـه أو أعمامـه أو مـن الهدايـا الـتي كان يتلقاهـا مـن أبيـه أو أخوالـه عنـد البلـوغ، وأيضًـا عندمـا يـتزوج يحصـل عـلى رؤوس الماشـية لتمكينـه مـن تكويـن أسرتـه الخاصـة بـه، وقـد يحصـل عـلى المزيـد مـن الماشـية، ففـي السـابق كان الخـال يقسـم سـلطته وثروتـه عـلى أبنـاء أخواتـه. ومـن مظاهـر التغـير الاجتماعـي اليـوم حينمـا يقـرر الأب تقسـيم معظـم القطيـع الـذي يملكـه بـين أولاده وبناتـه في حياتـه أو بعـد مماتـه، وكذلـك مـن الديـات والتعويضـات، وتقسـم بـين الأهـل الجانـب الأمومـي فقـط، ومـا زالـت سـائدة إلى يومنـا هـذا. وكذلـك البنـت العـروس حينمـا تدخـل إلى بيـت زوجهـا الجديـد تحصـل عـلى ناقـة أو بقـرة أو عـلى عـدد مـن

٣٣ الحسيني الحسيني، الأساطير النوبية والسودانية، كنوز للنشر والتوزيع، ص ١٦٨

الضـأن والماعـز هديـة زواج مـن أمهـا وحبوباتهـا وأخوالهـا أو خالتهـا أو مـن أم العريـس ووالـده.

وبعـد أن يقسِّـم الأب إبلـه وماشـيته مـن الضـأن والغنـم بـين أفـراد أسرتـه الذيـن فـرزوا حياتهـم تـاركًا لنفسـه القليـل جـدًّا تحـت إدارتـه، بذلـك خفـف عـلى نفسـه مـن إدارتـه شـؤون الإبـل والماشـية، وليـس إلى حـدِّ السـماح لـه بالمسـاس بالغـرض الأسـاسي مـن امتـلاك الـثروة والماشـية، فيظـل دومًـا مراقبًـا مـن كثـب ممتلـكات الأسرة مـن الإبـل والماشـية وغيرهـا، ولا يسـمح لزوجاتـه أو أبنائـه الذيـن اكتسـبوا حقوقًـا في الإبـل والماشـية بالتـصرف فيهـا دون رضـاه، وكذلـك جانـب الرقابـة جـزء مـن رب الأسرة للحفـاظ عـلى ثروتهـا، وكذلـك الرقابـة الـتي يفرضهـا عـلى الإخـوة الكبـار عـلى إخوتهـم أو عـلى بعضهـم بعضًـا، وقـد يصـل إلى أن يصادرهـا مـن أبنائـه إذا لـم يعجبـه تصرفهـم، ويعتـبر الهـدف الأسـمى لـكل شـاب مـن الميـدوب أن يـتزوج في سـن مبكـرة جـدًا مـن بلوغـه الثامنـة عـشر. وتعـد الإبـل والماشـية الوسـيلة الوحيـدة لإنجـاز هـذا الهـدف، ولمـا كان الـزواج وسـط الأسرة والإخـوة بالـدور حسـب السـن، فـإن كل أخ يجـد مـن صميـم مصلحتـه الخاصـة الحـرص التـام عـلى ثـروة الأسرة مـن الضيـاع والسرقـة وعـدم تبديدهـا إلى أن يـأتي دوره في الـزواج ([٣٤]).

٣٤ ١. سليمان دلدوم أرفي، الخرطوم، مقابلة حديقة الشهداء الخرطوم، ٢٠١٨,٩,١٣م-السـاعة ١٠ صباحًا

المبحث الرابع: التقسيم الاجتماعي للعمل وصور التضامن الاجتماعي عند الميدوب:

يعتبر إميل دوركايم أن التضامن الاجتماعي بمنزلة مركز النظام الاجتماعي ومصدره لظاهرة التقسيم الاجتماعي للعمل في المجتمع، والمعروف أن المجتمعات العشائرية البدائية تكون مفتتة في شكل شرائح صغيرة من الأسر التي تعيش مع بعضها في رقعة جغرافية معينة، وهذه الأسر في حقيقتها وحدات تتسم بالاكتفاء الذاتي نسبيًّا، وتؤدي العديد من الوظائف لأعضائها، مثل: الإنتاج الاقتصادي، صناعة القرار السياسي، الخلاص الديني، ومساعدة وكفالة الضعيف والمريض من الناس. وتكون المحافظة على التضامن بين هذه الأسر من خلال التشارك في العديد من الفاعليات كالأعياد، واحتفالات التزاوج، وصناعة القرار المشترك، والطقوس الدينية المشتركة (٣٥). والأسرة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع وشكل الأسرة التي تكون عليها من القوة أو الضعف. والأسرة أصغر وحدة اجتماعية صغرى في المجتمع، فإن أي تغيرات تحدث في النظم الاجتماعية مثل: النظام الاقتصادي، والسياسي، والديني، والتربوي، فالأسرة هي المرآة العاكسة لصورة التغير الاجتماعي على المجتمع. وعليه تعد الأسرة المضمون الحقيقي للطبيعة الإنسانية. وهي حلقة واسعة من الملامح المميزة والصفات،

٣٥ محمد يوسف احمد المصطفى، مقدمة إلى الأنثروبولوجيا العامة، ط١، الهيئة العامة للتعريب، ٢٠٠٨م، ص ١٩٢-١٩٤

ولفهم الأسرة بصورة متكاملة لا بدَّ أن نلجأ إلى دراسة علم الموروثات، وعلم الأجنة، وعلم التشريح، وعلم القانون، والاقتصاد، والسياسة، والدراسات الأنثروبولوجية، باعتبارها نظامًا اجتماعيًّا، مع الأخذ بعين الاعتبار التأثير المتبادل للجوانب البيولوجية والاجتماعية في هذا النظام ([٣٦]).

يخصص معظم الوقت لرعاية الإبل والماشية ويشترك فيها جميع أفراد الأسرة. وهنالك مهام خاصة يقوم بها أفراد معينون تقتصر على الذكور، وهي البحث عن المرعى الجيد ويسمى (دوار)، وكذلك الصيد أو القنص. والفضل للمرأة؛ لأنها بحكم ارتباطها برعاية الصغار وظروف تعرضها للحمل ثم الولادة كانت أكثر استقرارًا حتى مع حياة الترحال للجماعة، وأتاح لها ذلك أن تلاحظ حبوبًا تقع في الأرض، فيسقط المطر، وإذا بنبتة تظهر، ثم تكبر، فتستوي نباتًا كاملًا، يحمل بدل الحبة أعدادًا مضاعفة. ولا يسأل الرجال عن المساعدة إلا في أعمال تطهير الأرض، ويقول بهذا "هويجر وبيلز" في الحضارات البدائية، فإن النساء لا يكتفين عادة بجمع الثمار والحبوب، بل يؤدين دورًا عظيمًا في عملية الجمع، ويقال إن المرأة ليست واهبة الحياة فحسب، بل هي كذلك صانعة الحضارة ([٣٧]). وتلحق بها الأنشطة الزراعية للزراعة المطرية التقليدية التي تؤدي فيها

٣٦ بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص ٣٤- ٣٦

٣٧ محمد محمد الزلباني، مدخل للنظم الاجتماعية، الجزء الأول، الأسس البيولوجية والسيكولوجية في الإنسان وعلاقتها بإنتاج الحضارة، ص٤١٠-٤١٩.

النساء الدور الرئيسي، فكل زوجة لديها مزرعتها الخاصة بها للاكتفاء الذاتي فقط، قد تنجح أو قد لا تنجح حسب كمية الأمطار وجمع الحطب وأعوادها والقش للبناء، ويقتصر دور الأب أو الزوج على الإشراف على الماشية ومد يد العون في كل المناسبات والدفاع عن القبيلة في أثناء الحروب القبلية، وقد يدعى جميع أفراد الأسرة أو الأقارب لسقي الإبل أو الماشية، وكذلك الحيز الزماني الذي يعطى لكل فرد من أفراد الأسرة للرعي، فإن كانت الإبل أو الماشية كثيرة يتطلب الأمر حينئذ أن يساعد الأبناء الملتحقون بالمدارس الأساس أو الثانوي أو الجامعة بإعطاء جزء من وقتهم أو إجازتهم وقوة عملهم إن كان لديهم فائض وقت، وقد تستمر رحلة الرعي بإبلهم جنوبًا إلى وادي أزوم بغرب دارفور وشمالًا عبر مساحات شاسعة جدًّا إلى الحدود الليبية والمصرية؛ بحثًا عن النباتات والكلأ خاصة نبات الجز المحببة للإبل، وأحيانًا لا توجد فيها مراعاة لفائض الوقت، وهذا ما استدعى الكثيرين من الأبناء إلى ترك الدراسة، وهذا الأمر أثَّر بشكل كبير في العملية التعليمية بالمنطقة، وخلق نوعًا من الهجرة إلى الجماهيرية العربية الليبية بعد أن ضربت موجات الجفاف المنطقة في السنوات الماضية في الثمانينيات من القرن المنصرم وجزء من التسعينيات وهلاك الكثير من الإبل والماشية خاصة البقر، ويعد العمل المأجور من الظواهر الحديثة في رعي الإبل والعمل العسكري، وتستخدم النقود المكتسبة من هذه الأنشطة في شراء بعض

السلع الاستهلاكية والمواد التموينية، وقد أثر إنشاء سد مروي وقيامه في المناخ في المنطقة برفع معدلات الأمطار على ما كانت عليه في السابق، استخدم بيتر بلاو المفاهيم الأساسية في كل نظريات التبادل المكافأة واختيارهم مجموعة بديلة من السلوك باعتبارهم فاعلين يسعون إلى الكسب (مكافآت بأقل التكاليف) من خلال علاقاتهم بالآخرين. في حين "هومنز" يُعرِّف التبادل بشكل أكثر وضوحًا وأنها تتضمن كل الأنشطة باعتبارها تبادلًا، بصرف النظر عما إذا تُوقِّعتْ المكافأة أو تُسلِّمت فعلًا (٣٨)، وتزود الإبل والماشية الأسرة باللبن واللحوم الذي يستخدم في الاستهلاك المباشر، أو تحوله النساء إلى السمن بشكل مباشر، فيذبح على سبيل الأضاحي والكرامات والقرابين حسب المعتقدات المختلفة في المجتمع الميدوبي، وتؤدي الإبل والماشية دورًا كبيرًا ومهمًّا لا يمكن الاستغناء عنها، وهي كصندوق للضمان الاجتماعي والتكافل، فهي العنصر الرئيسي لدفع المهور للزواج والتعويضات والديات، فعندما تقدم الأسرة بعض الإبل والماشية لصالح أي غرض من الأغراض السابقة أعلاه، فإنها تتوقع زيادة قطيعها الخاص ونماءه حينما تُقسَّم الديات بين الأهل من الجانب الأمومي، وكذلك التعويضات عن خطأ ارتكبه شخص من طوطم آخر أو الزواج، وحديثًا اليوم أخذت الإبل والماشية للحصول على النقود اللازمة لشراء المواد الاستهلاكية أو دفع الضرائب للحكومة ما

٣٨ محمد سعيد فرح، نظرية علم الاجتماع، تأليف جوناثان تيرنر، دار المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٣٥٤

يسمى بـ (الدقنين)، وتُفرَض بالتوزيع على كل العمد، إضافة إلى الزكاة، ونذكر هنا أن عادة إكرام الضيف بالذبيحة أو إعطائها إياه - إن كان في عجلة من أمره – ما زالت قائمة تصل إلى نحر الإبل إن كان العدد أكبر، وذلك لإظهار الكرم وحفاوة الترحيب، وفي الوقت نفسه يكرهون ضياع ثروتهم الحيوانية في ضياع جزء منها أو التي سُرِقَتْ، أو نفوقها بسبب الإهمال. والاشتراك في العمل الزراعي بين الرجل والمرأة يصحبه بعض التخصص في توزيع العمل، وهذا طبعًا لأن المرأة يجب أن تظل بقدر الإمكان قريبة من المنزل، بحكم وجود الأطفال وبعض الماشية من جهة، ولأن على المرأة واجبات أخرى مثل: إعداد الطعام وشراب المريسة. (٣٩) بعد تمام الحصاد تُخزَّن الحبوب الغذائية الدخن في صوامع صُنِعَتْ من الطين أسطوانية الشكل تُسمَّى باللغة المحلية (أودين أوفي)، وتقام عادة على قواعد من الحجارة حماية من الحشرات والفئران، وهذه المخازن تُبنَى بمفردها أو داخل المنزل أو المعد للطبخ في داخل البيت الميدوبي، لكل زوجة مخزنها الخاص بها في بيتها للمحصول التي أسهمت في إنتاجه مع أبنائها وبناتها، ومع ذلك وفوق كل شيء المخزن الكبير الخاص بالأسرة كلها يديرها الأب في وقت الجفاف، ويجلب الرجل الحبوب الغذائية وتسمى باللغة المحلية (بانقي) أي الذي يذهب بعيدًا لجلب الحبوب الغذائية بعد أن باع عددًا من الثروة الحيوانية، ويكون التصرف فيها من

٣٩ محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، سلسلة دراسات إفريقية، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

شـأن الأب، وهـذا المخـزون عمـاد الأسرة عـلى مـدى العـام، وعندمـا تمتـلئ يحسـب حسـاب مـا يحتويـه بمنتهـى الدقـة، وكذلـك معرفـة هـل يفـي بجميـع أغـراض الأسرة أم لا يفـي، ويتفاءلـون بوفـرة المحصـول طـوال العـام مـن خـلال امتـلاء تلـك المخـازن المصنوعـة مـن الطـين إلى الحافـة، فـإذا جـاءت سـنوات القحـط والجـدب فإنهـم يجـدون مشـقة كبـيرة لـدرء خطـر الحرمـان. وتـزرع المـرأة الزراعـة المطريـة التقليديـة في موسـم الأمطـار في الخريـف في الأراضي الرمليـة والطينيـة مـن الدخـن والمحاصيـل الأخـرى كالبطيـخ والخـضراوات مـن أجـل الاكتفـاء الـذاتي، والعصيـدة مـن الدخـن واللـبن واللحـوم تعتبر الوجبـات الرئيسـية في نمطهـم الغـذائي، ولا يحبـذون الـذرة، وتصنـع منـه أيضًـا المـشروب البلـدي (الأسـوة) تُخمَّـر ثـم تُكـوَّر في شـكل دوائـر وتخلـط بالحليـب أو اللـبن، وفيهـا قيمـة غذائيـة عاليـة جـدًّا، وبالنسـبة إلى الأنشـطة الأخـرى مثـل: الأعمـال اليدويـة، والمهن الهامشـية، فهي ليسـت شـائعة عنـد الميدوب، ولا يكنـون احترامًـا كبـيرًا لأولئـك المشـتغلين كليًّـا بمثـل هـذه الأنشـطة والمهـن، لأن مـن يكـرس وقتـه في صهـر الحديـد وبنـاء البيـت لا بـدَّ مـن أنـه لا يملـك مـن الإبـل والماشـية مـا يكفـي لمطالبـه، ولكـن أحـوال الجفـاف في الثمانينيـات مـن القـرن المنـصرم والحـروب القبليـة ومشـكلة الـصراع الدائـر في دارفـور قـد غـيرت موقفهـم مـن هـذا، إذ فقـد البعـض جـزءًا مـن إبلـه وماشـيته، وهـذا مـا اضطرهـم إلى نشـاط واحـد أو أكـثر مـن نشـاط في الهجـرة إلى ليبيـا والخليـج وأوروبـا، أو التنقيـب عـن

الذهب في جبال تقرو حتى يحافظوا على البقاء، أو الذهاب إلى حقل العطرون، وهي أعمال لا تحتاج إلى مهارة. وأدت التجارة مع ليبيا إلى تشجيعهم للحصول على الإمكانيات في استيراد السيارات في السنين الأخيرة والبضائع والمواد التموينية والوقود من أجل تحسن الوضع المادي للفرد، وإن العدد الكبير من هؤلاء يخططون للعودة إلى قراهم وحلالاتهم في كل مناطق جبال الميدوب، واستخدام ما جمعوه من نقود في بناء مدرسة أو مركز صحي أو شراء الإبل والماشية أو بناء بيت أو الزواج والاستقرار، ويستخدمها البعض الآخر أو من يرسلون إليهم النقود في شراء الإبل والماشية أو منزل في الخرطوم أو الفاشر؛ الناس يدخلون في عملية التفاعل من أجل تحقيق مصالح وأهداف معينة(٤٠) وإشباع حاجاتهم ورغباتهم بأقصى درجة ممكنة، وتؤدي قوى الإنتاج دورًا هامًّا في التأثير في عملية تفاعلهم، ثم إن البيئة الاجتماعية بدورها تتأثر بمختلف العوامل النفسية والفكرية والأيدولوجية(٤١).

من خلال كل هذا يتسم الاقتصاد المعيشي لمجتمع الميدوب بنمط الإنتاج القرابي، وللقرابة مظهر كبير خاصة من الجانب الأمومي (الأهل)، إذ تتضمن بالتزامات قضائية وسياسية والقدرة على تنظيم العمل الاجتماعي والقدرة على

٤٠ سليمان دلدوم أرفي، ضابط متقاعد، مقابلة الخرطوم، حدائق الشهداء، ٢٠١٨,٩,١٣م

٤١ عبد الغني ناصر حسين القرشي، المداخل النظرية إلى علم الاجتماع، ط١، ٢٠١١م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص ٤٠

البقـاء وعـلى وسـائل قيـادة المجتمـع معًـا، لضمـان السـيطرة والاسـتمرارية (٤٢).

المبحث الخامس: الموارد الطبيعية

العطرون وواحات النخيل والسلم:

تقـع في أقـصى الشـمال لجبـال الميـدوب، تحدهـا مـن الناحيـة الشـمالية الشرقيـة كـرب التـوم ومدينـة الدبـة ودنقـلا، وجنوبًـا جبـال راهـب والمصـورات، ونجـد فيهـا بقايـا مسـتوطنات قديمـة، وواحـة العطـرون هـي منخفضـات تتكـون مـن الصخور الملحيـة، وينمـو خـام العطـرون كألـواح حجريـة تحـت التربـة مخلوطـة بالميـاه، وتوجـد ترسـبات عطرونيـة فـوق سـطح الأرض عـلى شـكل مربعـات أكـثر صلابـة بعـد أن تجـف، وهـي سلسـلة مـن الأحجـار الترابيـة تكونـت بفعـل ملوحـة الميـاه مـع تداخـل العوامـل الفيزيولوجيـة الأخـرى، بسـبب الحـرارة والـبرودة المشـبعة بالرطوبـة مكونـة مـادة العطـرون في سـطح الأرض وباطنهـا، وقـد ذكـر أيضًـا أنهـا كانـت تحنـط بهـا المـوتى.

في الزمـان المـاضي كان العطـرون يُنقَـل عـلى ظهـور الجمـال عـبر مناطـق المالحـة كل مـن الحـارة وجبـل عيـسى وعـين بسـارو، وتتوقـف القوافـل في آبـار "تجـو" للحصـول عـلى الميـاه العذبـة للـشرب، وتجـارة العطـرون كانـت حكـرًا عـلى الميـدوب، وذلـك لوعـورة الطـرق وأنهـا غـير مأهولـة بالسـكان، وتمـر عـبر صحـراء

٤٢ ٣. عباس اسحق أبكر بيديه، عضو مجلس تشريعي، مقابلة الفاشر بتاريخ ٢٠١٧,٨,٢٠م

قاحلة جرداء أهم الأسواق وهي سوق المالحة، وتأتي إليها قبائل الكبابيش والزيادية؛ لشراء العطرون والجندقة المستخرجة من الفوهة البركانية في بئر المالحة التي تبعد بنحو ٣ كم عن المالحة، ثم إلى بقية مناطق السودان المختلفة، إلى أن جاء العصر الحديث ونقلها بشكل أكبر إلى أسواق البلاد المختلفة باللواري والشاحنات الكبيرة.

أما ملح بلاد الميدوب فذلك للأمراء وأضرابهم، وأقبح ملح على ظهر الأرض هو ملح بئر الزغاوي مختلط بالتراب، فإذا وضع شيء منه في الطعام كان فيه تراب، ولهذا فإن أكثر المترفين يذوبونه في الماء ثم يصفون الماء عنه ويرمون التراب، لأنه يرسب في قعر الإناء، وأما لو وُجِدَ عندهم ملح كملح رشيد أو ملح تونس لتقاتلوا عليه بالسيوف، وقد تقدم أننا ذكرنا أن بعض أهل الجبل بدارفور يصنعون ملحًا يسمونه الفلقو. ويجعلونه على شكل مستطيل وبه يبيعون في الأسواق، فنخلص من ذلك أن الملح في دارفور ثلاثة أجناس: أعمها وأكثرها وأردؤها ملح الزغاوي، وأندرها وأحسنها ملح الميدوب، وأوسطها كثرة ونفعًا الملح الفلقو، ومع ذلك فلا يحب الملح إلا الأغنياء، وأما أكثر الفقراء فيملحون بالرماد (٤٣). يقع وادي وواحة النطرون في الركن الجنوبي الغربي لبحيرة شمال دارفور الكبرى، وقد كانت بحيرة النطرون في

٤٣ الشيخ محمد بن عمر التونسي، رحلة إلى وداي، تحقيق ودراسة أ. د عبد الباقي محمد، شركة مناكب للنشر، ٢٠٠١م، ص٣١٨-٣١٩

٢. Newbold, D and Desert of Odyssey of Thousand Miles Sudan Notes and Record. Vol, V١١,١٩٢٤, pp٤٣-٩٢. Vol .١١,١٩٢٨, ١٠٣page-١٩٤.

الأصل جزءًا من بحيرة شمال دارفور الكبرى قبل تقلص البحيرة بفعل الجفاف. تميزت واحة ووادي النطرون في عصر الهولوسين المبكر بغزارة الحشائش. وقد زار "نيوبولد" الواحة في شتاء عام ١٩٢٧م ووجد بها عددًا من الآبار. وفي منتصف واحة النطرون يقع جبل كشفا ويصف "نيوبولد" النطرون نقلًا عن "Captain Hodgson" الذي زار المنطقة ١٩٠٣م: "يمتد الوادي نحو جنوب والجنوب الغربي إلى ما لا نهاية، في سهله الشرقي مكانان من أشجار السلم الغزيرة الجنوبية منها يطلق عليها ملاني. والواحة الآن مهجورة. وفي شرقيها يوجد جرف عالٍ يطل على واحة بئر ميلاني، وهي واحة صغيرة تقع بجانب منطقة ملح النطرون. وهي نحو ميل مربع. يوجد الماء تحت السطح في أي منطقة الواحة، وتوجد بئران على عمق ٥ أقدام (٥،١ متر) وتوجد حشائش كثيرة أكثرها شجر السلم، توجد غزلان وبعض الطيور". يرى "نيوبولد" أن ميلاني ربما كان في الأصل اسم قبيلة ذكرها الجغرافيون المسلمون، وهي قبيلة الميدوب. وتقع بئر السلطان على بعد نحو ٥ كيلومترات من ملاني بها مياه جيدة وأشجار نخيل صغيرة.

بئر المالحة(٤٤): منخفض بئر المالحة يقع بني خطي ١٠, ٠٨ شمالًا و١٢ ٢٦ شرقًا، وتكون قبل نحو ٨٢٩٠ سنة بفعل

٤٤ أ. ملح الرشيد: هو أحد مصاب فرعي النيل على شاطئ البحر المتوسط وعلى شاطئه يجمع الملح ويباع في مصر.

ب. الفلقو: هو نوع من الملح يصنع محليًّا في دارفور وتفاصيله كما موضح في الكتاب

انفجـار بـركاني، وهـو مسـتودع هائـل للملـح يبلـغ قطـره ١١٣٠ مـترًا وارتفاعـه مـا بـين ١٠٥-١٣٠ مـترًا، وتبلـغ مسـاحته ١٠٠٣كلـم٢. (٤٥) وتوجـد ينابيـع عذبـة أخـرى في أطـراف محيـط البحـيرة بهـا حديقـة الملـك المشـهورة وحدائـق أخـرى. وفي محيـط البحـيرة عـلى اليابسـة توجـد مجموعـة من الآبـار حُفِرَتْ بواسـطة السـكان المحليـين، وبهـا طـرق ملتويـة جـدًّا لـنزول الإنسـان والحيوانات، وتسـتخرج منهـا مـادة الجرتقـة الـتي تسـتخدم بوصفهـا نوعًـا مـن الملـح للحيوانـات إضافـة إلى العطريـن، وبعـد أن تجفـف الجرتقـة المسـتخرجة مـن البحـيرة تُعبَّـأ في جـوالات وتبـاع في الأسـواق الداخليـة والخارجيـة، وتعتـبر مصـدرًا رئيسـيًّا للميـاه في فصـل الصيـف للرعـاة، وفي وقـت حكومـة الصـادق المهـدي كانـت هنالـك مجموعـات مـن الأجانـب أقامـوا معسـكرات حـول البـئر منهـم: الألمـان، البلجيـك، الفرنسـيون، الهولنديـون مـدة طويلـة قرابـة السـنة، ولـم تظهـر حـتى الآن تلـك الدراسـات، واسـتخرجوا منهـا كميـات مـن الثعابـين الضخمـة ووضعوهـا داخـل أواني زجاجيـة، وعـرف الأهـالي لاحقًـا أنهـا تحمـل جوهـرة أو ماسًـا، وهنالـك العديـد مـن الروايـات الشـعبية حـول البـئر، وخاصـة الثعابـين الـتي كانـت تخـرج مـن العـين الشرقيـة المجـاورة لجنينـة الملـك، والـشيء الـذي لـم تُفـك طلاسـمه إلى اليـوم بالرغـم مـن كـثرة الإبـل والماشـية والحيوانـات في داخـل البحـيرة، ففـي الصبـاح لا تجـد أثـرًا لبقايـا المخلفـات الحيوانيـة والـروث، وحـول البحـيرة توجـد مسـاكن ومقابـر أثريـة قديمـة

٤٥ the Geology of Malha Crater (Darfur) Sudan). GEO- .(١٩٨٦) .NIjs, R .ECO.TROP١٠,١١٠.

ومنحوتـات كتابيـة برسـوم جداريـة.

صور توضح الفوهة البركانية بحيرة المالحة

Address of Meiido tribesmen living in this hollow is "Malha Crater, Meiido Hills, Northern Darfur, Anglo-Egyptian Sudan."

الفصل الثالث: النسق القرابي

المبحث الأول: النظام الأمومي عند الميدوب وتوريث العرش لابن الأخت:

يعرف جان فانسينا الروايات الشفاهية بأنها أخبار منقولة شفاهة، وهي إفادات معنونة عن الماضي الذي لا يدخل فيه الجيل الحاضر، وشفاهية هذه الإفادات مقصود بها أن تنفي عن نطاقها كل المصادر التاريخية الأخرى مثل: الوثائق المادية والروايات الشفاهية بوصفها مصدرًا أساسيًّا لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي لكل مجموعة إثنية. وهي مصادر ذات طبيعة متميزة غير مكتوبة ومتواترة لفظيًّا، والمحافظة عليها تعتمد على قوة الذاكرة عبر الأجيال المتعاقبة، ثم إن الروايات الشفاهية كانت الطريقة الأساسية لتعليم التاريخ الاجتماعي لدى الشعوب الإفريقية، وإن دراسة هذه الروايات هي خير وسيلة لفهم وإدراك وجهة نظر المجموعات الإثنية المراد دراستها عن أنفسهم، غير أن هذه الروايات رغم قوتها في مجال التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي إلا أنها غير مفيدة في مجال التاريخ الاقتصادي، ثم إنها مثلها مثل الدليل الوثائقي، ينبغي تمحيص محتواها وظروف جمعها وتوكيدها، لأنها تقدم بيانات غير صحيحة بسبب الأزمات أو التوتر أو التحيز أو النسيان؛ وذلك لأن ذاكرة الماضي في

مجتمعات ما قبل التدوين نادرًا ما حفلت بذلك التعيين الكمي المجرد.

النظام الأمومي: في المجتمعات التي تتبع هذا النهج يستطيع الشخص أن يكون عضوًا في الجماعة القرابية إذا امتدت سلسلة نسبة Genealogyأسلافه الإناث الجدة أنثى ansestoress مشتركة بقية أعضاء الجماعة، وتظهر بموجب هذا النوع من الانتساب إلى الجماعات الأمومية كالعشيرة الأمومية مثلًا، إذ تشمل العضوية كل الإناث المولودات في العشيرة، أو كذلك الذكور المتزوجون من إناث العشيرة ([٤٦]). وللأم مكانة خاصة عند ملوك نبتة ومروي، وكانت تسمى كنداكة، تحتل الرقم (٢) في الترتيب البروتوكولي في المملكة، وكانت لها كلمة نافذة في أرجاء المملكة، بل إن ملوك نبته خصصوا يومًا لأمهاتهم كما فعل الملك بعانخي، ووظيفة الطوطم في النسق الديني. العشيرة الأمومية تتكون على الأقل من ثلاثة أجيال من النساء: أم العشيرة، وبناتها، وحفيداتها، والأقرباء. ومن الرجال: إخوة الأم، والأبناء، والأحفاد. بشكل عام تعيش العشيرة الأمومية في بيت واحد كبير يُسمى بيت العشيرة، يعيش فيه من عشرة إلى مائة شخص تقريبًا بحسب الحجم والشكل الهندسي للبيت، ولديهم نظامهم الديني المعقد، وذلك من خلال المعتقد الذي يمارسونه في شكل طقوس عدَّة أو أساطير أو عبادات روحية هو معتقدهم لإعادة الميلاد بعد الموت، ولا نجد

٤٦ إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية، الجامعة الأردنية، ط ١٩٨٢م، ص ١٦٠-١٦٥

في المجتمع الأمومي النظام الطبقي.

يجري هذا التقسيم في النظام الأمومي عند الميدوب الجانب الأمومي دون الجانب الأبوي؛ فالميدوب يعتزون ويفتخرون جدًّا بالنسب الأمومي، لقيام نظام بنائهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على النظام الأمومي بدءًا من توريث العرش لابن الأخت وأمواله، حتى الثأر يثأر أهله من جانب الأم ويحرم الزواج من بنات الخالات باعتبارها من التابو، لاعتقادهم بأن ذلك يعمل على تفكيك الأهل وشق الصف ومنع الزواج الخارجي خارج إطار القبيلة للجنسين، وينظرون إليها بغرابة وتحسر شديدين. ويُقال الملك عند قدماء الميدوب عندما تتعرض القبيلة لبعض الكوارث كالمجاعات، والحروب، والأوبئة، والأمراض الفتاكة، وعدم الانتصار في المعارك ضد أعدائهم. ومن جملة كل هذه الأسباب دوافع قوية لإعفاء الملك أو إقالته من منصبه وتعيين خلفه وفق النظام الأمومي بقولهم: (إن النار وبَّخت الملك) في اعتقادهم أنه لا يتماشى مع الظواهر الطبيعية، فيجتمعون فورًا ويطلبون من الملك التنحي عن السلطة والتنازل لولي العهد، فإذا رفض الملك التنحي عن العرش فإنه يُقتَل ويُعيَّن ولي العهد خلفًا له، لاعتقادهم أن ذلك يصب في مصلحة القبيلة. ومن هنا يتضح النظام السياسي في تأكيد أهمية النظام الأمومي عند الميدوب في التنصيب للعرش والتوريث، ولا توجد مصادر تناولت نظام الحكم لقبيلة الميدوب حتى الآن سوى الروايات الشفاهية

جيلًا عن جيل الذين عاصروا نظام الحكم الوراثي، وتتسم بدرجة عالية من التنظيم، نتيجة الالتزام بالقيم والأعراف والتقاليد السائدة. ويُقسَّم النظام الإداري بين وحدات إدارية عدة لها مسؤوليات وواجبات تنفيذية وقضائية وتشريعية، وتخضع لسلطة الملك أعلى قمة للسلطة في القبيلة، ويتكون من ١٦ عمودية و٣١٠ شيوخ ١٢ مندوبًا. ٤٥ ([٤٧])

المبحث الثاني: الطواطم في النظام الأمومي ووظيفة الدين الطوطمي:

(سي ج سلجمان) يذكر أن الطواطم تتألف من حيوانات ونباتات وأشياء طبيعية، والطواطم الحيوانية أكثر انتشارًا من الطواطم النباتية، أما الطواطم غير الحية فهي نادرة، ومن الطواطم الحيوانية نذكر: الثعبان، والفيل، والتمساح، وفرس النهر، والأسد، والنمر. ومن الطيور: البومة، والحدأة، والبلشون. ومن الطواطم النباتية: الخيزران، وأنواع معينة من الأخشاب، والأشجار، والنخيل. أما بالنسبة إلى الطواطم غير الحية فهناك: النار، والسحب، والمطر. ولكن ما حقيقة الصلة بين الحيوان الطوطم والعشيرة؟ ولذلك ينظر الأنثربولوجيون إلى كلمة الطوطمية باعتبارها تعبيرًا عن وحدة الجماعة اجتماعيًّا، وتقيم معه علاقات مودة وألفة، وهو يعمل على تضامنها وتماسكها، وهو يمد الحياة باسمه

٤٧ . أوفاهي ر.س، ترجمة عبد الحفيظ سليمان عمر، الدولة والمجتمع في دارفور الطبعة الأولى ٢٠٠م، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ص١٤٤-١٤٥

كما هي الحال عند مجتمع الميدوب، وقد كثرت النظريات التي تتعلق بالعقيدة الطوطمية، وأهمها: نظرية السير جيمس فريزر، فهو يرى أن البدائي باعتباره جاهلًا بالقوانين الفسيولوجية يعتقد أن المرأة تحمل الجنين في خلق العالم، وهو عليم بكل شيء، ولا يجرؤ أحد من أفراد الأندمان بأن يطلق صفيرًا، وخاصة في أثناء الليل، لأنهم يعتقدون أن هذا الصفير إنما يدعو الأرواح الشريرة إلى الحضور(٤٨).

حين درس دوركايم الشعائر الطوطمية في أستراليا، ودرسها على أنها من قبيل الشعائر الدينية، وذلك على عكس ما افترضها السير جيمس فرايزر حين اعتقد أنها من قبيل الممارسات السحرية، ولقد كشف دوركايم عن طبيعة الشعائر الطوطمية بأنها دينية من الدرجة الأولى نظرًا إلى أنها شعائر مقدسة، كما تدور أيضًا حول أماكن وموضوعات مقدسة. (٤٩)

الطوطمية هي الدين وليست تخيلات، فهي قوى مجهولة الاسم، وليست مشخصة، فهي موجودة في كل تلك الكائنات، ولكنها لا تمتزج أو تتوحد كليةً مع أي منها، فالأفراد يموتون، والأجيال تذهب، وتحل محلها أجيال أخرى، ولكن هذه القوى تبقى دائمًا قائمة وحية. إنها تضفي حياة جديدة

٤٨ محمد يوسف أحمد المصطفى، مقدمة إلى الأنثروبولوجيا العامة، ط١، الهيئة العامة للتعريب، ٢٠٠٨م، ص١٢٢

٤٩ محمد قباري إسماعيل، أصل الأنثروبولوجيا العامة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠م، ص ٢١٧

على الأجيال الجديدة، كما أضفتها على أجيال الأمس، وكما ستضيفها على أجيال الغد، تتبع الطوطمية - والدين بصفة عامة - من القواعد الأخلاقية الجمعية وتصبح نفسها قوى غير مشخصة، لأنها ليست مجرد مجموعة من الحيوانات الأسطورية الخرافية أو النباتات أو الأشخاص أو الأرواح أو الآلهة([٥٠]).

فلقد كانت حواء أول أم حتى أتت أم أخرى ولدت دون زرع بشر، فالأم الأولى أخطأت والأم الثانية مريم العذراء ولدت دون خطيئة، وصار بها خلاص البشرية في رسالة السيد المسيح([٥١]).

انعكس اعتقاد دوركاييم بأن المجتمع هو مصدر الدين على دراسته للطوطمية بين قبائل (الأورنتا) الأسترالية. والطوطمية نسق ديني يتضمن النظر إلى أشياء معينة - خاصة الحيوانات والنباتات - على أنها شيء مقدس بالنسبة إلى أفراد العشيرة، فالطوطمية تصورات مادية عن القوى اللامادية التي تقوم على أساسها، وهذه القوى اللامادية ليست سوى الضمير الجمعي للمجتمع ويقول دوركايم:

تاستي	Testy	الذئب
كير	Kair	الثعبان

٥٠ جورج رينز، رواد علم الاجتماع، ط ١٩٩٣م، مراجعة محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، ص ١٩٠-١٩١

٥١ فليو ثاوث فرج، النعمة امرأة، ط ٢٠٠٧م، ص ١٥٨

أوقيدي	Ugouddy	الثعلب
تنقيدي	Tengeddiy	الأسد
توسل	Tousle	الجاموس
سيرقيدي	Seer Seergidy/ posongyS	بقر الوحش
بولونقدي	Polongddey	الشمش
إيرديددي	Irdiddiy	أم الحعران
كورونجا كشي	Korongy	النمل الأحمر
أرنقيدي	Arangddy	القرد الأحمر
توكي قودي	Tokykoddy	السعدان
بورتي بوزا	Porrtiypoza	المرفعين
أقارتي	Agartiy	جداد الوادي
أورقودي	Ugouddy	الحرازة
كوار	Korar	الغراب
كونجقيدي	Konjgidy	الخنفساء

ومن هنا تتضح أهمية النظام الأمومي عند الميدوب في عدة طواطم، ولها رئيس يمارس سلطاته على أفراد الطوطم تصل إلى إصدار أمر بسجنهم أو إصدار عقوبات، ولأن نظمهم الاجتماعية تقوم على ذلك في حالات دفع الديات؛ يدفع الجانب الأمومي الأهل أكثر من الجانب الأبوي وتسمي (أوققين إير)، والأهل يساندون بعضهم بعضًا في كل الحالات، ويقدمون يد العون لبعضهم بعضًا. ويتحمل

جانب الأم الدية ٣/٢ والثلث المتبقي يدفعها جانب الأب. دية المرأة تعتبر الأغلى عند الميدوب ومغلظة، وذلك لعظمة مكانتها عند الميدوب، وقدرها ٤٠٠ رأس من الإبل والضأن والبقر، ودية الرجل ٣٠٠ رأس. وأي إنسان يقتل إنسانا آخر عرضة للثأر من الجانب الأمومي. ولا تقبل الدية في حالة القتل الاستفزازي، ويتشاءمون جدًّا من قتله بالخطأ، لأن المرأة أنثى وحبهم للأم. وفي حالة إصابة العين وقلعها نصف دية بنحو ١٥٠ رأسًا من الماشية. والسن الواحدة ثلاث بقرات، بتر اليد الواحدة نصف دية.

التنصيب للعرش والتوريث: لا توجد مصادر تناولت نظام الحكم لقبيلة الميدوب حتى الآن سوى الروايات الشفاهية جيلًا عن جيل الذين عاصروا نظام الحكم الوراثي، وتتسم بدرجة عالية من التنظيم، نتيجة الالتزام بالقيم والأعراف والتقاليد السائدة. ويُقسَّم النظام الإداري بين وحدات إدارية متعددة لها مسؤوليات وواجبات تنفيذية وقضائية وتشريعية، وتخضع لسلطة الملك أعلى قمة للسلطة في القبيلة، ويتكون من ١٦ عمودية و٣١٠ شيوخ و١٢ مندوبًا. إن تولي العرش يتم عبر الانتقال إلى ابن أخت المتوفى أو ابن أخت والدته. النظام الأمومي للميدوب بالآتي كما وصفها مكمايكل قال: "إذا مات الملك فإن السلطة لا تنتقل إلى ابنه، بل إلى ابن أخته أو إلى أبناء خالاته"(٥٢). إن أحد

٥٢ MacMicheal,H.A(١٩١٨)"SNR.vol, ١.Nubian Elements in Darfur", pp ٣٣- ٥٣

الملوك القدامى للميدوب كانت حمايته من قبل أبناء أخته، في حين تركه أبناؤه.(٥٣) ومن ثَمَّ تُسلَّم السلطة بالتدرج إلى الشقيق من الأم، وفي حال عدم وجوده إلى ابن الأخت، وفي عدم وجود ابن الأخت إلى ابن خالته، كذلك ورثة المال يكون بهذا النظام، يذهب إلى صالح الأهل بمعنى الجانب الأمومي، فعندما يكبر الملك ويتقدم به العمر ينادي ابن أخته ويسلِّمه العرش وكل ما يملك من ثروة له، ويقول لأولاده: "القش القائم في الخلاء يبقى لكم مالًا"، ويُسلَّم العرش وثروته وأمواله لابن أخته أمام أبنائه وهم شهود على ذلك، وينصب الملك في الصخرة المقدسة، ويكون احتفالًا كبيرًا بالحشود من أنحاء جبال الميدوب، وتضرب فيها النحاس بكل الإيقاعات، ويُذبح قربان، ويُرسم بدمه علامة الصليب على جبهة الملك، ثم يُرسم صليب آخر على الصخرة المقدسة، ويذهب إلى تل عالٍ مع وفد من الأهالي ويذبحون عنزة في (تورتي) وتستخدم جلدها (سعن) لحفظ الماء وملأها من عين أنجرو، ثم يحملون السعن إلى الملك، فيأخذ الملك قليلًا من الماء في كبروس ويحمله بموكب مهيب إلى القطية التي يُحفظ بها النحاس المقدس وبتكرار الدعاء "ليمنحنا الإله المطر ويجود علينا بأمطار غزيرة"، ويرش الطريق بالماء عند وصوله، ويدور حولها بشكل طواف دائري، ويرشه بالماء، ثم يفتح قطية النحاس المقدس ويخرج النحاس ويضعه على فروة مصنوعة من

٥٣ علي يوسف آدم، ملامح من تاريخ وتراث الميدوب، المكتبة الوطنية للنشر، ٢٠١٦م، ص ٣٠

جلد الأسد ويرشه بالماء ثم يعيده إلى عنقريبه، ثم يقيده بالسلاسل الحديدية. وفي تلك الليلة تنصب للملك وأتباعه خيمة بجوار قطية النحاس المقدس، ويرش في الصباح وجوه كل الحاضرين بالماء وهم متجهون نحو المشرق، وإذا تبقى القليل من الماء يوزع على المرضى وكبار السن والأطفال لكي يمسحوا بها وجوههم، ثم يعود بموكبه من التل إلى القرية في شخاخة. ونجد أن كل طوطم لديه وشم تُميز به ثروتهم الحيوانية كالإبل والضأن والبقر، حفظًا لها من الضياع والسرقة، ويجتمع مجتمع الميدوب على وشم واحد للإبل وتسمى السوط تميز بها عن بقية القبائل، ويأخذ كل طوطم أشكالًا ورموزًا معينة على حيواناتهم ([٥٤]).

الوشم السوط كعلامة تميز لإبل الميدوب ولكل قبيلة في السودان وشمها الخاص بها

٥٤ عمر جدو نصر، مقابلة المالحة، بيت الملك بالتنسيق مع مركز تراث دارفور جامعة الفاشر، ٢٠١٨,٨,١٦

تستخدم أجود أنواع الجمال للزفة عليها النحاس والمناسبات

المبحث الثالث: التنشئة الاجتماعية للطفل عند الميدوب:

يتناول "أودري ريتشارد" تفسير التنشئة تحت مفهوم ما يعرف بـ"دورة الحياة الخاصة بالفرد"، وفي مرحلتين: الأولى من الميلاد حتى سن البلوغ.

المرحلة الثانية: من الزواج حتى الممات.

طبقًا للمنهج الإثنوجرافي الكلاسيكي يركز حول معرفة

المراحل العمرية التي تُجرى خلالها عمليات طقوسية وشعائرية وتأهيلية مختلفة على أفراد المجتمعات المحلية.[٥٥] والتنشئة عملية دائمة ومستمرة لا تقتصر فقط على مرحلة عمرية محددة، وإنما تمتد من الطفولة، فالمراهقة، فالرشد، وصولًا إلى الشيخوخة، ولهذا فهي عملية حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة، لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها، والتنشئة الاجتماعية علاقة تفاعلية، بواسطتها يتعلم الفرد المتطلبات الاجتماعية والثقافية التي تجعل منه عضوًا فعالًا في المجتمع، وتتضمن: الناحية النفسية، والعادات، والسمات، والأفكار، والاتجاهات، والقيم. ومن وجهة النظر السوسيولوجية فإن التنشئة الاجتماعية تعني أن الفرد يتماثل مع الأشياء المسموح بها في الثقافة والتوقعات الثقافية التي يعبر عنها في ألفاظ وطرائق وتقاليد وطرق أخرى خاصة بالحياة الاجتماعية. ومن أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

الأسرة التي تعتبر المجال الاجتماعي الرئيسي الذي ينشأ فيها الفرد ويتبنى الشخصية الاجتماعية، والأسرة هي القاعدة الأساسية في إشباع مختلف حاجات الفرد المادية منها والمعنوية بما يتفق والمجتمع والمعايير والقيم الدينية والأخلاقية. والأسرة نظام اجتماعي وضرورة حتمية لبقاء

٥٥ محمد عباس إبراهيم، الثقافة الشخصية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٩٢-٩٤

الجنس البشري والحفاظ على الوجود الاجتماعي. ([٥٦])

يُربى الأبناء في مجتمع الميدوب في سن السابعة على تعلم الفروسية ورعي الإبل لتعلم الشدائد، وكان ذلك من خلال بيت يسمى إيرد أوود مصنوع من فروع الأشجار المحلية تسمي (إيرد) والشوك بصورة كثيفة جدًّا حتى يصبح مظلمًا وحالكًا من السواد من الداخل في الخلاء على مقربة من الجبال أو الوديان مع وضع الطعام، ويذبحون له بهيمة سمينة وتوفر الماء بقدر قليل في سعن مصنوع من جلد الماعز، ويخرج به والده إلى الخلاء ويدخله في البيت المصنوع من المواد المحلية ويقفله عليه ويعود إلى القرية، ويظل الطفل في وحدة ووحشة، ليتعلم الشدة والصبر والقدرة على التحمل وعدم الخوف من الظلمة، وعند انقضاء المدة المقررة له قبل الالتحاق بمهرجان البازا الديني عليه أكل سنام الإبل طوله ذراع واحد، للتأكد أنه دخل سن البلوغ والقوة، تتطلب عملية التربية الاجتماعية للمراهقين في بتسوانا بالنسبة إلى الذكور المراهقين إلحاقهم بجماعات داخل معسكرات تقام بعيدًا عن قراهم الأصلية، حيث يُعدون ويُنقلون إلى مرحلة الرجولة بإعطائهم تدريبات داخل هذه المعسكرات طوال ثلاثة شهور أو أكثر، ومن الأمور المهمة جدًّا أن يظل كل ما يجري داخل هذه المعسكرات سرًّا دفينًا لا يبوح به أحد من الملحقين لأحد،

٥٦ بهاء الدين خليل تركية، علم الاجتماع العائلي، ط١ ٢٠١٥، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص ٨٩-٩٠

خاصة للنساء، ومحظور كذلك على أولئك الذين لما يحن بعد أوان تدريبهم أن يتسللوا أو يتجسسوا، والويل لمن تحدث نفسه من غير الملحقين أن يتجسس أخبار الملحقين أو يدنو بالقرب من معسكرات التدريب، فإن العقوبات تتراوح بين الضرب المبرح إلى حد القتل.(٥٧) وهذا شبيه بطقوس البازا عند مجتمع الميدوب، وسنتناوله في الطقوس. ولا ننكر أن الطفل في حدود القبيلة لا يخضع لما يخضع له الطفل الحديث من قيود وروابط وعلاقات اجتماعية، ولا يتطلب ما يتطلبه من العناية والتربية والتعليم والإعداد المهني. والرجل البدائي يختلف عن الرجل المتحضر في شتى ألوان الحياة وفي مظاهر السلوك وفي مطالب الحياة الخاصة. ويدلنا التراث الاجتماعي الذي يكاد يكون العامل الفعال في تكييف حياة الأفراد وأن ما يقال عن آثار البيئة الطبيعية والظروف الجغرافية والأصول الإثنولوجية والوراثية يتضاءل إلى حد كبير إذا ما قيس بمبلغ ما تفرضه الجماعة على أفرادها(٥٨).

المبحث الرابع: البيت الميدوبي:

الأثر النوبي واضح في البيت الميدوبي، ففي شكله الخارجي يشبه مباني كرمة القديمة (الدفوفة) الشرقية والغربية، أما

٥٧ محمد محمد الزلباني، مدخل للنظم الاجتماعية، الجزء الأول، الأسس البيولوجية والسيكولوجية في الإنسان وعلاقتها بإنتاج الحضارة، ص ٥٢٠

٥٨ مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه المدخل إلى علم الاجتماع، مكتبة الأنجلو المصرية، تاريخ الطبعة ٢٠٠٦م، ص ١٦٠- ١٦١

مـن الداخـل فالغـرف تشـبه الحجـرات الداخليـة للأهرامـات والمعابـد ولا سـيما غـرف وحجـرات الدفـن، فالداخـل إلى البيـت الميـدوبي يحـس بالمتعـة والراحـة السـياحية وهـو يتنقـل بـين التقاسـيم الداخليـة للغـرف والممـرات، فنجـد مـن الداخـل:

السـدادة: وهـي البـاب، وهـي نسـيج مـن نبـات متسـلق بطريقة هندسـية رائعـة، وهـي الطريقـة القديمـة نفسـها لأبـواب جريـد النخـل في المنطقـة النوبيـة.

إكي: وهي الستار الفاصل بين جهة الضيوف ومكان الزوجة.

أوون أورهي: وهي عتبة الباب المسطبة الفوقانية.

حجـرة الرحـي أو أوللتـي: وهـي الطاحونـة لطحـن العيـش والدخـن والـذرة بمنزلـة الطاحونـة أو السـحان للسـحن.

اللدايـات: أعـدن مـن الطـين المخلـوط بـروث ومخلفـات الحيـوان، وهـي نوبيـة في طريقـة إعدادهـا وشـكلها الدائـري في مـكان الطبـخ.

بـوول آل: بلغـة الميـدوب هـي ممـر خشـم الكلـب، لضيقهـا ويقـود إلى مـكان المحـارم.

شرفة الضيوف: لاستقبال الضيوف وإكرامهم.

كاجة: رف لحفظ مستلزمات البيت.

الكـرة: سـور من شـوك الكـتر، وتضـم الزريبـة للأغنـام والبهائم

بغـرض اللبن.

تـوكي: مصنوعـة مـن الحجـر، وهـي دائريـة الشـكل وتعمـل منهـا (التبديبـوا) كـسرة الحجـر وتـؤكل باللـبن.

الـشرارة: وتنـشر فيهـا العيـش والمحاصيـل للتجفيـف قبـل الذهـاب إلى أوللـتي أو الطاحـون للطحـن.

ومن الملحقات:

١.بيت الماء.

٢.بيت العيال.

٣.بيت الضيوف.

٤.المخزن.

ويُبـنى البيـت الميـدوبي مـن أعـواد الأشـجار حسـب الإمكانيـة والاسـتطاعة، ولا تتوسـطها ركائـز في المنتصـف وتتخللهـا مجموعـة مـن الأعـواد عـلى الجانـب في كل جوانبهـا الدائريـة.[٥٩]

شـكل المنـازل في كـوش ونبتـة يطابـق شـكل البيـت الميـدوبي في قطـر مربـع دائـري ٤×٥ أمتـار مربعـة، وتتخللهـا مجموعـة مـن الأعـواد.[٦٠]

٥٩ رشاد عبد الرحيم، مقال عن الأثر النوبي في البيت الميدوبي، ٢٠٠٨

٦٠ Trigger B.G,History and Settlement in Lower Nubia,Yale University Press,١٩٦٥,p.١٢٠

أمـا البيـوت العاديـة تتصـف منتقصهـا الركائـز في البـدء تأخـذ شـكل الصليـب.

صورة توضح البيت الميدوبي

الفصل الرابع: النظام السياسي

المبحث الأول: الملوك الذين تعاقبوا على حكم قبيلة الميدوب:

ذكر "تيموثي كندل" عنوانه مملكة "كوش" في كتابه: "النوبة ممالك النيل في السودان" ويقول: "رغم وجود التشريع القائل بأن الملك هو ابن الإله، فإن الملك "إسبالتا" شعر بالحاجة إلى التعبير عن حقه بالعرش من خلال إثبات النسب بطريقة متشددة أكثر، ففي خطبة التتويج يضع النسب باسم آمون رع، ويشير إليه بأنه والده الطبيعي، وأن أمه أخت الملك سيدة كوش أخت "رع".

اختيار ملك الميدوب يتم عن طريق ترشيح الملك وتسميته من قبل الميدوب وفقًا للنظام الأمومي المعروف لديهم:[٦١]

١.توكيه

٢.بويريه

٣. بل أورقي

٤.آديه، بمعنى أبيض

٦١ أوفاهي ر. س، ترجمة عبد الحفيظ سليمان عمر، الدولة والمجتمع في دارفور الطبعة الأولى ٢٠٠م، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ص١٤٤-١٤٥

٥.بيري، بمعنى ينسى من النسيان

٦. بقارة

٧. أحمد أنجري

٨. جامع

وأخيرًا الملك محمد الصياح جامع من طوطم الأسد (تينقدي) الذي استولى على سلطة والده حينما كبر والده الملك جامع وفقد بصره، هو من طوطم القرد الأحمر (أرنقدي) وفقًا للنظام الأمومي. بدأ في الإعداد لنقل السلطة والمال إلى ابن أخته (بيديه وجه التور)، وغضب الابن غضبًا شديدًا حين سمع والده يتحدث أمام أعيان القبيلة وكبرائها بذلك، وجمع الملك محمد الصياح عددًا من أتباعه وتوجه إلى الخرطوم، وعند وصوله قابل السيد علي الميرغني، لأنه كان ختميًّا عكس أخيه عثمان الذي كان أنصاريًّا ووكيلًا للإمام. ثم حدثت مقابلة الحكومة الإنجليزية متمثلة في السكرتير الإداري. فقال لهم: أنا ابن الملك ولي الحق في ملك والدي. وذَكَّرَ بمساعدتهم إياهم في أثناء الحرب العالمية، وأنه يعاني مشكلة استيلاء العرش من والده ورفض والده تسليمه العرش بسبب العادات في النظام الأمومي، وتأكد الإنجليز من هذه المعلومة بإرسال المأمور الإنجليزي لناظر الكبابيش السير "علي توم" في ذلك الوقت، وبعد أن تأكدوا من أقواله طمأنه السكرتير

الإداري وحـرر لـه خطابًا بموجبـه يحـق لـه الاسـتيلاء عـلى عـرش والـده، وقـال لـه السـكرتير الإنجليـزي: "عندمـا تقطـع المسـافة مـن المركـز (الخرطـوم) بالجمـال سـتجد المُلـك في انتظـارك في جبـال الميـدوب". وخـلال حكمـه أظهـر كفـاءة منقطعـة النظـير في إدارة الميـدوب واشـتهر بالحـزم والجـرأة في اتخـاذ القـرارات المناسـبة، والشـفافية التامـة في معالجـة مشـكلات مجتمـع الميـدوب والقبائـل المجـاورة، وهـذا مـا جعلـه محبوبًـا لـدى أهلـه، ومـن عاداتـه عنـد عودتـه مـن أي مؤتمـر خـارج المنطقـة أن يوضـح مـا تـم في المؤتمـر، ومناقشـة قراراتـه، وتنظيـم الرحـلات التجاريـة وقوافـل لجلـب الدخـن والحبـوب الغذائيـة مـن الصعيـد والأشـياء الباقيـة مـن مـصر، وتحريـر الرسـائل لزعمـاء القبائـل الـتي قوافـل الميـدوب أراضيهـا بغـرض حفـظ الأمـن والنظـام وحسـن الجـوار، ولـم يشـهد حكمـه مشـكلات بـين الميـدوب والقبائـل المجـاورة إلا نـادرًا. وفي عهـده توافـد علمـاء الديـن الإسـلامي ومنهـم شـخص يدعـى الفـكي أحمـد بـدي لتوعيـة الميـدوب بأمـور الديـن الإسـلامي والتخلـص مـن عـادات الوثنيـة والمسـيحية الـتي يرفضهـا الإسـلام، والـتي أُلغِـي فيهـا مهرجـان البـازا الديـني أقـدم رحلـة حـج إفريقـي، مغـيرًا بذلـك النظـام الأمومـي إلى النظـام الأبـوي الـذي ولـد في العـام ١٨٩٦م في قريـة الصيـاح التابعـة لمحليـة مليـط في أثنـاء ذهـاب الملـك جامـع مـن معركـة كـرري في طريـق عودتـه إلى جبـال الميـدوب، ففاجـأ المخـاض زوجتـه (كـوسي) ولـم يجـدوا شـيئًا لإطعـام الأم، فوجـد جماعتـه حمـارًا يحمـل

عسلًا وسمنًا فانزلوها وبعدها لم يجدوا أثرًا لها وسُمِّيَ بالاسم المركب "محمد الصياح"، واستولى على السلطة في العام ١٩٢٦م، وحكم ثلاثة وثلاثين عامًا وتوفي يوم ١٥/ ٨ / ١٩٥٩م وأكبر ضريبة كان يدفعها للمستعمر الإنجليزي على مستوى السودان، ومرتبه خمسة جنيهات سودانية، وأسهم في بناء المعهد العلمي في الفاشر بألف رأس من الكباش. وكان رئيس كل النظارات والملوك في شمال دارفور لكل الجلسات التي تُعقد بمعية المفتش الإنجليزي في مديرية كتم، وتولى من بعده أخوه آدم تميم جامع إنابة عن ابنه الملك التوم محمد الصياح من طوطم السعدان (توكي كودي) لعدة أعوام، إذ سُلِّمَ السلطة في العام ١٩٦٦م في احتفال كبير، وتوفي في العام ٢٠١٥م بعد أن حكم ٤٩ عامًا وشهد حكمه العدلَ والنزاهةَ، وكان إنسانا بسيطًا؛ لم يبنِ القصور الشاهقة ولم يقتنِ الكنوز من الذهب والفضة، وجاء بعده ابنه محمد التوم من طوطم (الأسد)، وكيله ونائبه الأول العمدة جامع محمد الصياح. فحدثت تغيرات مفصلية في نظام الحكم والإدارة عند الميدوب. إن أفراد أي أمة تتميز عن الأمم الأخرى ليس من حيث الشكل الخارجي والمقاييس الجسمية والثقافية فقط، بل إن نفسية كل مجموعة من الأفراد التابعين لأمة واحدة تختلف عن نفسية الأمم الأخرى، وذلك لأن الفرد منذ ولادته يرتبط سلوكه بسلوك من حوله، وتتكون نفسيته بالتأثير بنفسية مجتمعه وثقافته، ولهذا تصبح شخصية الأفراد الذين يعيشون معًا

متميزة بسمات مشتركة، حتى بين الجماعة الواحدة يؤثر الدور الذي يقوم به الفرد في المجتمع بسلوكه وحياته وشخصيته، فرجل الدين في المجتمع الأمريكي له شخصية معينة ودور معين يؤديه، في حين أن رجل الدين الإسلامي أو رجل الدين في المجتمع الإفريقي الموغل في الغابات الجنوبية له دور يختلف... إلخ وكذلك رجل السياسة، والقاضي، والمعلم. والأب الأم وهكذا تتكيف شخصيات أعضاء المجتمع مع أوضاعه الثقافية والاجتماعية، ولو من الناحية السطحية على الأقل، ويجب أن يتوافر هذا الشرط الحيوي إذا أريد للمجتمع أن يؤدي وظيفته، وكل مجتمع يعبر عن استحسانه مجموعة من الصفات عندما تظهر من أفراد يشغلون أوضاعًا اجتماعية معينة ويُكافأ هؤلاء الأفراد على حيازتهم مثل هذه الصفات (كإعطائهم ميداليات، أو مكافآت). وبالإضافة إلى ذلك يسعى المجتمع إلى تنمية هذه الصفات عند جميع الأفراد الذين ينتظر منهم أن يشغلوا أوضاعًا أو مناصب اجتماعية مرموقة في المجتمع، ومع هذا فإن الصفات التي يعتبرها مجتمع ما مناسبة ومثالية لشخصيات أفراده قد يستنكرها مجتمع آخر ويعتبرها من الصفات التي تقلل من قيمة الشخصيات التابعة له. وزيادة عدد العموديات مما كانت عليه في السابق.(٦٢)

---

٦٢ جامع محمد الصياح جامع، وكيل أول ونائب الملك، المالحة، ٢٠١٨/٨/٢م
٢. احمد شطة، غفير بالمعاش، ٩ألعمر ٩٠ سنة، مقابلة في منزله بالمالحة ٢٠١٨/٨/٣م
٣. حسين دلو، راعي، العمر ٩٤ سنة، مقابلة في سوق جمبقلي، ٢٠١٨/٧/٥م

"عهـد الملـك الصيـاح الحكـم كان صعبًـا وحـازًّا هـو مـشى الخرطـوم وقابـل الحاكـم العـام أحـد الحكـم حـق أبـوه سـقي جامـع وكان دايـر يعطـي الحكـم لـود أختـه مـن جانـب الأهـل أبكـر بيديـه وسـقى جامـع بقـى كبـير في عمـرو وضريـر واختلـف مـع نـاس خوالـه حـاج أسـاقا وإخوانـو نـاس جـدك آدم تميـم وعثمـان شـينه بـاه وضيـف الله أخوهـم الصغـير كان زول صعـب مشـو لاتجـاه سـاري واسـتقبلهم جـزو ناظـر الزياديـة وشـينه بـاه مـشى حفـر بـئر وعمـل محكمـة في وادي عـشر جنـب نـاس خوالـو أهـل أمـه عجـوزة بيليـه في أبـو قـران. بعـد مـدة النـاس سـامحوهم مـع نـاس حـاج أسـاقا ومـا أخـذ وقـت طويـل وتـوفي الملـك صيـاح وتسـلم الحكـم جـدك آدم تميـم جامـع الوقـت داك الشـيخ تـوم كان صغـير ودربـوه مـع نـاس جـدك وأدوه الحكـم سـنة ١٩٦٦م في احتفـال كبـير حـضرو نـاس مـن بـره البلـد. المسـجون المحكـوم في زمـن سـقي صيـاح كان بمـشي بـراه للمديريـة في كتـم ويسـلم نفسـه للمأمـور ومعاه أمـر الحكـم مـن غـير غفـير برضـو العمـدة أبكـر جابـر (إيـر حقيـه أوهـوم) بمعـنى كان رجـلًا حقانيًّـا بلغـة الميـدوب النـاس كان بجـوا مـن دار صعيـد في محكمتـو في حلـف ودونـكي جبـل عيـسى إدريـس دبي قبـل مـا يبقـى رئيـس تشـاد كان صاحبـو شـديد وبـزورو في الحلـف طـوالي والله يرحمـه سـاقو مـن حلـف لمليـط وفي طريقهـم لكتـم قتلـو في كمـين في خـور ميـدوب سـنة ١٩٩٨م نـاس حكومـة عمـر البشـير، وكان معـاه العمـدة الأسـتاذ إدريـس جـوادة عمـدة الحـارة (٢). زمانيـه تيـدي اي الميـدوب

جـوه مـن الشـمال وراكبـين حصـين وكان عندهـم أولـين بنقـي اي المنجنيـق. أمنيـة نـان أوبي صيـاح تيريـه أي في عهـد جـدك الملـك صيـاح الإنجلـيز كان دايريـن يـودوا كل سـنة (٥٠) ولـد صغـير لبريطانيـا يقـروا يجـوا يحكمـوا السـودان وكان فيهـم عمـدة فضـل السـيد قـرا في بخـت الرضـا (٣) ومعـاه عمتـك عيشـة بنتـو الكاتـب حـق السـقي صيـاح قـال ليهـو العيـال ديـل لـو ودوهـم بلـد الـترك الخواجـة ببقيهـم نصـارى ومـا بجـوا البلـد تـاني وده كلـوا عشـان مـا في زول ينافسـو في كاتـب حـق الملـك وفعـلا أمـر سـقي صيـاح لـكل نـاس البلـد يـودو العيـال يلبدوهـم في الجبـال عشـان الخواجـة مـا يسـوقهم. بعـداك كان في مؤتمـر بتـاع عـرب في النهـود النظـار والسـلاطين كل القبائـل أولادهـم اتكلمـوا كلام عـربي سـمح ولمـا جـاء دور الملـك صيـاح مـا لقـي زول يتكلـم زي مـا بـاقي عيـال بـاقي السـلاطين والنظـار اتكلمـو فبـكى شـديد وزعـل شـديد عشـان الكاتـب حقـو ضللـوا ومـن وقـت داك فتحـو أول مدرسـة في عـين بسـارو سـنة ١٩٤٩م. هسـه العيـال قـروا واحرسـوا البلـد كويـس. (تيـدي بوجيـكا ايـدروا اديجيـه أوشـادي مـاه لانايـو أوقـين ايرنايـو ايليـه أورتي كارقـدي قـودي أوقوريـج سـوليه تنجـين تارقيـة آرايـو. بمعـنى كل الميـدوب أبنـاء امـرأة ورجـل واحـد ويجتمعـوا في الأهـل مـن الجانـب الأمومـي أو الزريبـة مـن الجانـب الأبـوي وابتعـدوا عـن العنصريـة في داخـل القبيلـة".

العموديات القديمة: -

١. عمودية جامع محمد الصياح جامع.

٢. عمودية كرة محفوظ أبكر جابر زريبة.

٣. عمودية عين بسار وعبد الله سليمان تمساح.

٤. عمودية الحارة الشريف أحمد الحاج جوادة.

٥. عمودية أم بياضة الدكتور محمد الحبيب آدم عبد الله.

٦. عمودية بديات مزمل علي رحمة.

٧. عمودية تمليكة. آدم صالح جمل.

٨. عمودية الأوستى. أحمد الدومة.

٩.عمودية شخاخة عمر أبكر فضل السيد.

١٠. عمودية أبو قران صالح حسب الكريم.

١١. عمودية كنانة صالح أمين إسماعيل

العموديات الجديدة التي كوِّنت جديدًا في حكومة الإنقاذ ٢٠١٥م:

١. عمودية دار ضيفة الأستاذ إبراهيم عمر حامد.

٢. عمودية توسال أبكر عبد الله.

٣. عمودية أوستى ب آدم أحمد صالح.

٤. عمودية وادي قرض إبراهيم عمر عقيد.

٥. عمودية سلي الأستاذ حسن عبد الله.

٦. عمودية كبرن إبراهيم عبد الله زريبة.

صـورة الملـك محمـد الصيـاح جامـع خـير مـع المفتـش الإنجلـيزي

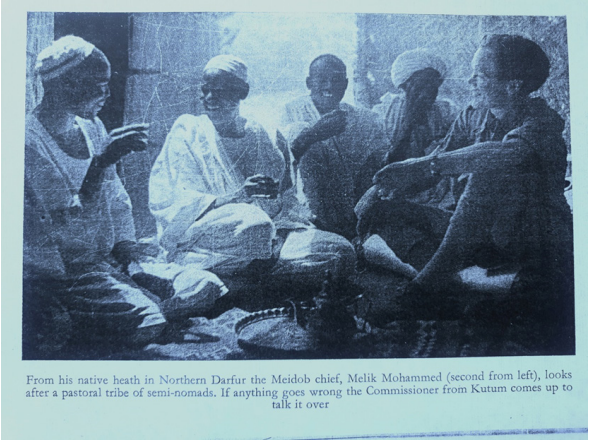

From his native heath in Northern Darfur the Meidob chief, Melik Mohammed (second from left), looks after a pastoral tribe of semi-nomads. If anything goes wrong the Commissioner from Kutum comes up to talk it over

الشـيخ آدم تميـم جامـع خـير نائـب وكيـل إدارة الميـدوب الأهليـة

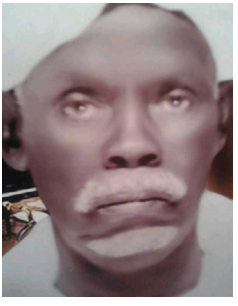

المغفـور لـه الشـيخ عثمـان جامـع خـير رئيـس محكمـة وادي عـشر

عمدة عمودية كرة المغفور له العمدة أبكر جابر زريبة

عمدة عمودية شخاخة العمدة عمر أبكر فضل السيد

والعقيد شرطة معاش إسماعيل محمد جمعة

عمـدة عموديـة الحـارة الشريـف المغفـور لـه العمـدة الحـاج جـوادة إبراهيـم

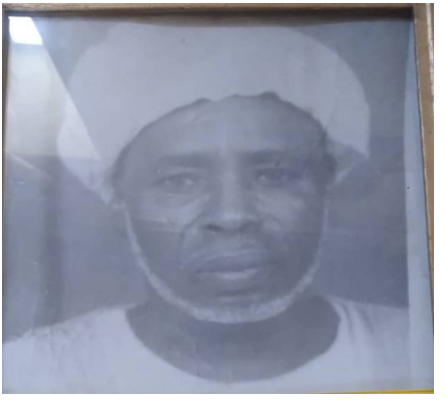

عمـدة عموديـة عـين بسـارو المغفـور لـه العمـدة عبـد الله سـليمان تمسـاح

عمدة عمودية بديات المغفور له العمدة محمد علي رحمة

عمدة عمودية كنانة العمدة صالح أمين إسماعيل

عمـدة عموديـة أم بياضـة العمـدة الدكتـور محمـد الحبيـب آدم عبـد الله

عمـدة عموديـة المالحـة المدينـة العمـدة جامـع محمـد الصيـاح جامـع مـع الدكتـور عمـر محمـود خالـد

المغفـور لـه الشـيخ عبـد الله فضـل بحـر نائـب المحكمـة الوسـطى

خطـاب توضـح اختيـار الملـك محمـد التـوم محمـد الصيـاح جامـع ملـكا للميـدوب

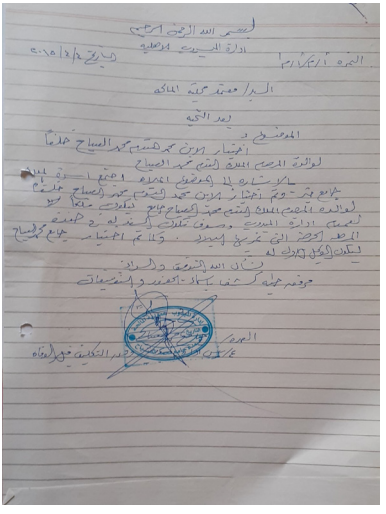

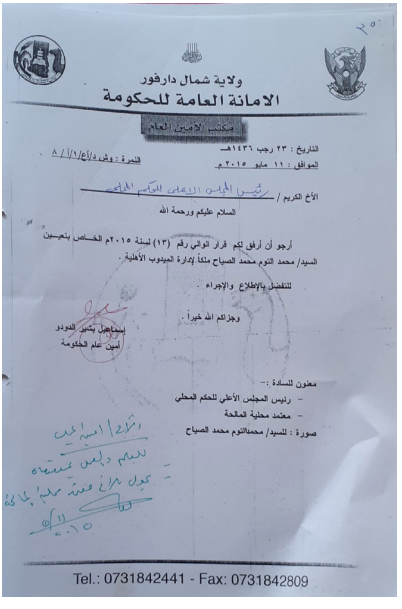

ولاية شمال دارفور
الامانة العامة للحكومة
مكتب الامين العام

التاريخ : ٢٣ رجب ١٤٣٦هـ
الموافق : ١١ مايو ٢٠١٥م
نمرة : ولد/أ/ع/١/١/٨

الأخ الكريم /

السلام عليكم ورحمة الله

أرجو أن أرفق لكم قرار اداري رقم (١٣) لسنة ٢٠١٥م الخـاص بتعيـين السيد/ محمد التوم محمد الصياح ملكا لإدارة الميدوب الأهلية .

للتفضل بالإطلاع والإجراء .

وجزاكم الله خيراً .

إسماعيل يكير الدود
امين عام الحكومة

معلوم للسادة :-
- رئيس المجلس الأعلى للحكم المحلي
- معتمد محلية المعلحة

صورة : للسيد/ محمدالتوم محمد الصياح

Tel.: 0731842441 - Fax: 0731842809

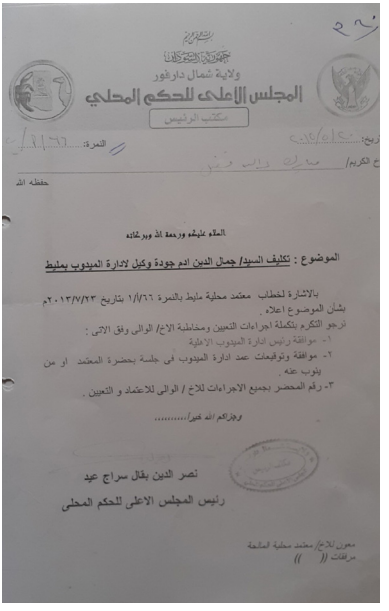

جمهورية السودان
ولاية شمال دارفور
المجلس الأعلى للحكم المحلي
مكتب الرئيس

التاريخ: ٢٠١٣/٧/٢٣
النمرة: ١/ل/٦٦

الأخ الكريم/ صديق والي دنيا

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع : تكليف السيد/ جمال الدين ادم جودة وكيل لادارة المبدوب بمليط

بالاشارة لخطاب معتمد محلية مليط بالنمرة ١/ل/٦٦ بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٣م بشأن الموضوع اعلاه .
ارجو التكرم بالكملة اجراءات التعيين ومخاطبة الاخ/ الوالي وفق الاتي :
١- موافقة رئيس ادارة المبدوب الاهلية .
٢- موافقة وتوقيعات عمد ادارة المبدوب في جلسة بحضرة المعتمد او من ينوب عنه .
٣- رقم المحضر بجميع الاجراءات للاخ / الوالي للاعتماد و التعيين .

وفقكم الله خيرا.....

نصر الدين بقال سراج عيد
رئيس المجلس الاعلى للحكم المحلي

معين للاخ/ معتمد محلية المالحة
مرفقات (( ))

بسم الله الرحمن الرحيم
ولاية شمال دارفور
المكتب التنفيذي للإدارة الاهلية

بيان يوضح اسماء رؤساء الإدارات الاهلية لشئون الاقراد بدون حواكير

الرقم	الاســـــــــم	الصفة	المحلية	تاريخ التعيين
١	حامد محمد مادرى	رئيس شئون الاقراد أولاد جنوب	سرف عمرة	٢٠١٣/٩/٢٥م
٢	حميدة عباس احمد خاطر	رئيس شئون الاقراد أولاد تاكو	الواحة	٢٠١٣/٩/٢٥م
٣	عبدالرحمن محمد احمد	رئيس شئون الاقراد قبيلة المهادي	الواحة	٢٠١٣/٩/٢٥م
٤	ادم محمد صالح عبدالرحيم	رئيس شئون الاقراد قبيلة الضليحاب/ برقو	الفاشر	٢٠١٣/٩/٢٥م
٥	مصطفى محمد إبراهيم عثى	رئيس شئون الاقراد قبيلة الهوسة	محلية الفاشر	٢٠١٣/٩/٢٥م
٦	قنعى ادم ماكن	رئيس قبيلة المراريت	الفاشر	٢٠١٣/٩/٢٥م
٧	يعقوب كورين محمد صالح	رئيس قبيلة الارنقا	الفاشر	٢٠١٣/٩/٢٥م
٨	محمد شريف محمد عثمان	رئيس شئون الاقراد قبيلة التاما	بالتوالية	٢٠١٣/٩/٢٥م
٩	يعقوب مقدم صابون	رئيس شئون الاقراد قبيلة التنجلية	الواحة	٢٠١٣/٩/٢٥م
١٠	ضوالبيت عثى إبراهيم فضل الله	رئيس شئون الاقراد قبيلة الحوطية	سرف عمرة	٢٠١٤/٧/١٣م

الفاتر الصادق عباس ضوالبيت
رئيس المكتب التنفيذي للإدارة الاهلية
بولاية شمال دارفور

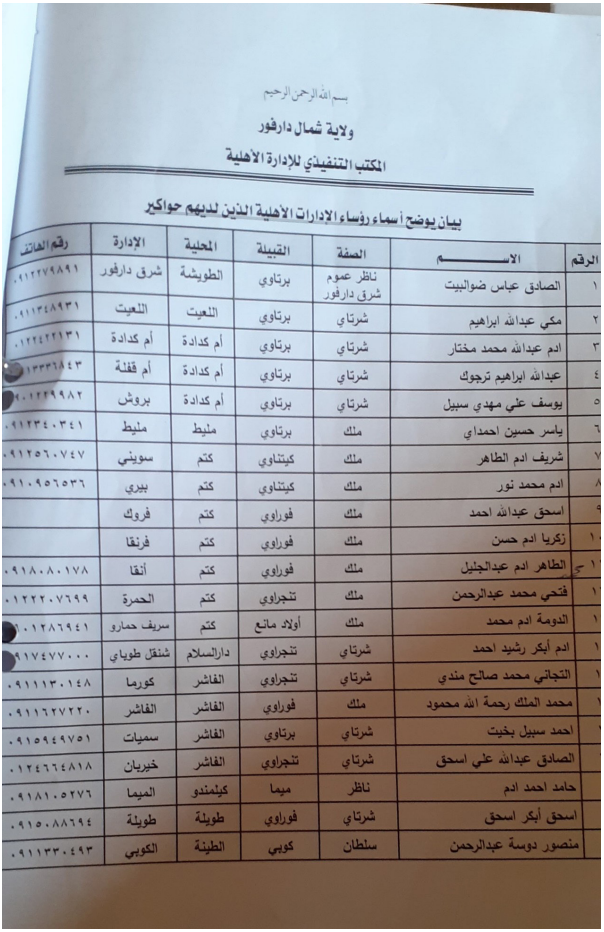

بسم الله الرحمن الرحيم

ولاية شمال دارفور

المكتب التنفيذي للإدارة الأهلية

بيان يوضح أسماء رؤساء الإدارات الأهلية الذين لديهم حواكير

الرقم	الاســـــــم	الصفة	القبيلة	المحلية	الإدارة	رقم الهاتف
١	الصادق عباس ضوالبيت	ناظر عموم شرق دارفور	برتاوي	الطويشة	شرق دارفور	٠٩١٢٢٧٩٨٩١
٢	مكي عبدالله ابراهيم	شرتاي	برتاوي	اللعيت	اللعيت	٠٩١١٣٤٨٩٣١
٣	ادم عبدالله محمد مختار	شرتاي	برتاوي	أم كدادة	أم كدادة	٠١٢٢٤٢٢١٣١
٤	عبدالله ابراهيم ترجوك	شرتاي	برتاوي	أم كدادة	أم قفلة	١٣٣٣٦٨٤٣
٥	يوسف علي مهدي سبيل	شرتاي	برتاوي	أم كدادة	بروش	٠١٢٢٩٩٨٢
٦	ياسر حسين احمداي	ملك	برتاوي	مليط	مليط	٠٩١٢٣٤٠٣٤١
٧	شريف ادم الطاهر	ملك	كيتناوي	كتم	سويني	٠٩١٢٥٦٠٧٤٧
٨	ادم محمد نور	ملك	كيتناوي	كتم	ببري	٠٩١٠٩٥٦٥٣٦
٩	اسحق عبدالله احمد	ملك	فوراوي	كتم	فروك	
١٠	زكريا ادم حسن	ملك	فوراوي	كتم	فرنقا	
١١	الطاهر ادم عبدالجليل	ملك	فوراوي	كتم	أنقا	٠٩١٨٠٨٠١٧٨
١٢	فتحي محمد عبدالرحمن	ملك	تنجراوي	كتم	الحمرة	٠١٢٢٢٠٧٦٩٩
١٣	الدومة ادم محمد	ملك	أولاد مانع	كتم	سريف حمارو	٠١٢٨٦٩٤١
١٤	ادم أبكر رشيد احمد	شرتاي	تنجراوي	دارالسلام	شنقل طوباي	٠٩١٧٤٧٧٠٠٠
١٥	التجاني محمد صالح مندي	شرتاي	تنجراوي	الفاشر	كورما	٠٩١١١٣٠١٤٨
١٦	محمد الملك رحمة الله محمود	ملك	فوراوي	الفاشر	الفاشر	٠٩١١٦٢٧٢٢٠
١٧	احمد سبيل بخيت	شرتاي	برتاوي	الفاشر	سميات	٠٩١٥٩٤٩٧٥١
١٨	الصادق عبدالله علي اسحق	شرتاي	تنجراوي	الفاشر	خيريان	٠١٢٤٦٦٤٨١٨
	حامد احمد ادم	ناظر	ميما	كيلمندو	الميما	٠٩١٨١٠٥٢٧٦
	اسحق أبكر اسحق	شرتاي	فوراوي	طويلة	طويلة	٠٩١٥٠٨٨٦٩٤
	منصور دوسة عبدالرحمن	سلطان	كوبي	الطينة	الكوبي	٠٩١١٣٣٠٤٩٣

المبحث الثاني: النحاس عند قبيلة الميدوب

الميـدوب: قبيلـة مهمـة في دارفـور وهـم أصـلًا مـن النوبـة في شـمال السـودان، قضيـتُ بينهـم يومـين سـعيدين في طـوافي لإعـادة رسـم مديريـات السـودان. وقـد هالـني تشـابههم بأهـلي في شـمال السـودان، وكنـت إذا وجهـت أذني إلى كلامهـم كأني أسـمع أهـلي مـن بعيـد، فاللغـة هـي اللغـة ولكـن زادني مفـردات وتحـور النطـق بعـض الـشيء. وكان مـن الميـدوب مـن تولـوا المناصـب العليـا لـدى سـلطان الفـور، وفي العهـد الثنـائي عنيـت الإدارة الإنجليزيـة بهـم، وأهدتهـم الحكومـة طاقمًـا من النحاس وقدمـه الحاكـم العـم في ١٩٣٦/٦/١٣م في احتفـال قبـلي للملـك محمـد الصيـاح ود جامـع خـير، وهـو يتكـون مـن نحاسـين. وقد ألقـى الحاكـم العـام الخطـاب التـالي عـلى المجتمعـين بالمالحة بمناسـبة إهـداء النحـاس، وهـو خطـاب مشـابه لمـا كان يلقيـه في مثـل هـذه المناسـبة: "يـا حـضرة مقـدوم دار الريـح والملـك محمـد الصيـاح ويـا أعيـان قبيلـة الميـدوب، أنتـم تعرفـون أيهـا الملـوك أن وجـود نحـاس في يـد قبيلـة هـو شرف عظيـم، ولقـد قـررت أنـا في المسـتقبل أن يمنـح هـذا الـشرف مـني أنـا مبـاشرة بصفـتي الحاكـم العـام للسـودان. وقـد أخـبرني سـعادة مديـر دارفـور مـن وقـت لآخـر بالتقـدم والاتحـاد لقبيلـة الميـدوب الـذي حصـل تحت رئاسـة الملـك محمـد الصياح ود جامـع خير، وإني مـسرور ممـا سـمعت بهـذا الخصـوص. ولذلـك أقـدم هـذا النحـاس للملـك محمـد الصيـاح بصفتـه رئيـس قبيلـة الميـدوب ولي العشـم أن يدخـل عليكـم هـذا النحـاس بالخـير الدائـم،

وعشمي أيضا استمرار القبيلة في هذا التقدم"([٦٣]).

وهي السلطة والهيبة في زمن السلم والحرب والراية التي يموت تحتها كل فرسان ورجال القبيلة والزود عنها لآخر نقطة دم وفقدها بمنزلة العار. ويتوارثه الملوك أبًا عن جد ورمزًا للملك وتميز القبائل عن بعضها بعضًا، وتبدًا أسطورة النحاس أن الملك جامع في رحلة صيد بالقرب من أنجرو المقدسة والتي يعتقد في الروايات الشعبية أنها آخر مدافن لملكة نوبية بعد سقوط دنقلا المسيحية، وفيها أيضًا جرس الكنيسة المسيحية الذي أتوا به من دنقلا بعد سقوطه، والتي اُكتشِفت من قبل بعثة ألمانية، فسمع صوتًا من بعيد، فأرسل رجاله ليعرفوا، فوجدوا أربع نياق جرباء (مصابة بمرض الجدري) كل واحدة تحمل زوجين من النحاس، وقدمت من الاتجاه الشرقي ومعها سيف ولم نجد أثر اقتفاء السيف اليوم. وفجأة اختفت النوق ولا يدري أحد اتجاهها إلى الآن. والنحاس الموجود اليوم في بيت السلطان هي واحة من النحاس التي أخذها عثمان جانو عندما قامت المهدية بحملة على جبال الميدوب ومنذ هذا الوقت إلى يومنا هذا لا تذهب الإبل إلى تلك المنطقة للرعي مهما كانت فيها جودة الأعشاب حتى لا تصاب بالجرب، ويُعالج الجرب بالقطران بدعكه بلحاء الشجر وبعدها تقذف في اتجاه الشرق "اذهب يا جرب انجرو"، ففي إحدى المرات وأمام أعينهم

٦٣ . أبو سليم محمد إبراهيم، أدوات الحكم والولاية في السودان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، ص٤٠-٤١

هربت النحاس الأربعة الكبيرة بالدخول والخروج من الأرض والظهور مرة أخرى إلى أن اختفت وتبقت الأربع الأخريات لعدم تقييدها، وله قطية خاصة بها ويوضع فوق عنقريب بلدي مصنوع من الشجر ومنسوجة بجلد البقر، ويُغطى بعلم القبيلة المكونة من ثلاثة ألوان الأصفر، الأخضر، الأحمر، ويقيد بقيود حديدية من السلاسل ويحرسه خادم تناوبوا جيلًا بعد جيل على خدمة النحاس. وحين يتم الثلاثين يومًا من الشهر وإذا لم يُذبح له القربان من شاه ذات لون خاص صباح الإثنين تصدر أصواتًا يسمع لها كل الناس ليلًا حتى لا تهرب كسابقها، ويغلق بابه جيدًا بالقفل الحديدي ويمنع من دخول قطية النحاس بعد المغرب لكثير من الاعتقادات المصاحبة لها وكانت آخر حادثة أمين النحاس (إساغة) حين دخل سهوًا وأصيب بعدة صفعات على وجهه وكل جسده وبغيبوبة لأيام عدَّة، وأصيب بمرض غريب ولم يجد العافية إلى أن توفاه الله، لذا الكل يتحاشى الدخول إلى قطية النحاس أو الاقتراب منها ليلًا.

ويُجلَّد النحاس خلال أداء طقسي معين، ويُجلَّد بجلد الأسد في بداية موسم الأمطار (تنقدي) وتجتمع كل مكونات مجتمع الميدوب الكارقدي، الأورتي، التورتي، يُجلِّد أحد شباب التورتي من طوطم التستي جانب النحاس بجلد أنثى ماعز، والجانب الآخر من طوطم الأرنقدي بعد التجليد تحفظ الجلد القديم مدة عام وتحرق في طقوس تحتفل فيها كل القبيلة على إيقاعات النحاس.

إذا تكررت إيقاعات صوت النحاس من دون أن يلمسها أحد تعني نذير شؤم للقبيلة. وتُذبح شاة صباح الجمعة أو الإثنين وإخراج النحاس من القطية وتوضع على العنقريب وتقييدها بالسلاسل الحديدية، وذبح تيس صغير السن أسود اللون أو بني اللون ويوضع دمه في وعاء مصنوع من الخشب المحلي يسمى (تيدي)، ويضاف إليه لحاء شجر السيال والكتر من منطقة أنجرو التي تشتهر بوجود مثل هذه الأشجار والتي أتت منها النحاس أيضًا لأن الأفارقة يعتقدون في أن الطبيعة ذات أثر فعال وقوي على سلوكهم وتصرفاتهم، فلبعض الأعشاب والأشجار قوى غيبية تؤثر في بني البشر، وما زالت تلك العادات منتشرة في تقاليد وعادات قبائل كثيرة في السودان(٦٤).

وفي (التيدي) الآخر يوضع فيها السمن، (التيدي) الآخر اللبن، وبدم التيس المذبوح قربانًا يُرسم الصليب على الاتجاهات الأربعة ومن صب السمن واللبن على جلد النحاس، وتُترك في الشمس حتى منتصف النهار وفي المساء قبل الغروب تعاد إلى القطية، ويُقفل الباب ويُسلَّم المفتاح بواسطة خادم النحاس للملك، لأن أحدًا لا يستطيع دخول قطية النحاس بعد المغرب وكل الليل حتى إن كان الملك نفسه. والجميع يعرف إيقاع النحاس سواء أكانت للفرح أم

٦٤ . هدى مبارك ميرغني، مدخل لدراسة الثقافة السودانية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية، ط١، ١٩٩٨م، ص ٨٠

لاستقبال الضيوف أم الفزع أم الاستعداد للحرب([٦٥]).

البدو في شمال دارفور نظارات وعموديات ومشيخات لهم دور فاعل في إدارة المجتمع البدوي، إذ تنفرد كل قبيلة بقيادتها وسيادتها واستقلالها عن المجموعات الأخرى، ويكون على رأس كل قبيلة شيخ أو ناظر، يساعده في إدارة شؤون القبيلة قيادات وسطية وقاعدية تختلف في مسمياتها من قبيلة إلى أخرى، تمثل مجتمعة الهيكل الإداري لمؤسسة الإدارة الأهلية وتؤدي دورًا بارزًا في إدارة الشؤون السياسية بالمجتمع البدوي، وتتلخص أهم الأدوار التي تؤديها الإدارة الأهلية في الآتي:

١. إدارة الشؤون القبلية بالتنسيق التام مع المحليات وحكومة الولاية.

٢. المساعدة على حفظ الوضع الأمني واستقراره بالتضامن مع حكومات المحليات والولاية.

٣. المساعدة على جمع ضرائب القطعان والزكاة.

٤. تحريك المجتمع للإسهام والتفاعل مع برامج الدولة السياسية والتنموية.

٥. ترؤس المحاكم الشعبية المحلية.

---

٦٥ . جامع محمد الصياح جامع، عمدة ووكيل إدارة الميدوب الأهلية ومعتم سابق، المالحة، ٢٠١٨,٨,٢م. مقابلة

٦. تـؤدي القيـادات القبليـة الأهليـة دورًا فاعـلًا ومؤثـرًا في تجـاوز الخلافـات القبليـة الـتي تحـدث بـين القبائـل(٦٦).

صـورة توضـح النحـاس المغفـور لهـم الملـك التـوم محمـد الصيـاح في شـبابه مـع أمـين النحـاس أولمـاني.

٦٦ . حسن رمضان خريف، ورقة بعنوان الخدمات الاجتماعية والسكان، ورشة عمل دراسة تنمية المجتمعات الرعوية بمحليتي المالحة ورحل كتم، الفاشر مارس ١٩٩٧م، ص ٤.

بازی ارتنده
أقدی
أوشن کی
تیدی

بازی ارتنده
أقدی
تیدی
أوشن کی

المبحث الثالث: المقدومية وعلاقة الميدوب بسلطنة الفور

ظهر لقب المقدوم لأول مرة في العام ١٨٠٠م كموظف جديد يعمل خارج التراتب الهرمي القديم، وهو مفوض أو نائب ملك يعين لمهمة محددة، وليحكم منطقة معينة أو ليقود حملة فإنه يمثل إلى حد ما شخص السلطان، وذلك من خلال منحه الشارة الملكية، القرآن والسجادة، ككر ورماح وليس النحاس. المقدوم وزير للسلطان وقائد للجيوش في الحرب، وإذا قُتِلَ يُعيَّن أحد أفراد أسرته خلفًا له ومؤسس المقدومية هو ميدوبي اسمه ود (سقري) قتل شخصًا في جبال الميدوب، وهرب من هنالك ودخل سلطنة الفور، وعُيِّنَ عقيدا؛ أي رئيسًا للجند والخيل في بيت السلطان، وأُعطِي المقدومية بعد أن شارك في قتل سلطان البرقو، فعُيِّنَ من قبل السلطان مقدومًا من كجا في بلاد البرقو إلى كاجا كاتول في كردفان ومن تمباسي الفاشر إلى بئر العطرون شمالًا. وبعده جاء ابنه محمد الذي قاتل التركية في عهد السلطان هارون وبقي في المقدومية حتى قتل في مرتال غرب طويلة وبعده حامد ابن المقدوم آدم الميدوبي. وجاء من بعده آدم والد التيجاني مقدوم، والوزير آدم بخيت الملقب بطربوش من جبال أبو قران في جبال الميدوب و عُيِّنَ ابنه بخيت إلا إنه غدر بالسلطان إبراهيم قرض، وبقي في السلطة ثلاثة أعوام إلى أن جاء التركية وقضى على السلطان إبراهيم قرض وبخيت، وبعد التهجير القسري إلى

أم درمـان في عهـد المهديـة تـولى المقدوميـة محمـود وبعـده شريـف ثـم يوسـف الـذي اسـتمرَّ في المقدوميـة، حـتى ثـورة مايـو وبعـد تصفيـة محاكـم الإدارة الأهليـة ورفـض العمـل في محكمـة كتـم الريفيـة حـتى توفـاه الله في العـام ١٩٧٦م، واستمر آدم سلقة وخلفه (محمود) كوكي حتى تُوفِّي في فبراير عـام ١٩٨٩م ويقيمـون الآن في مناطـق كل مـن كتـم وفتابرنـو وطـرة شـمال الفـاشر.[٦٧] المقـدوم هـو والي الولايـة وينـوب عـن سـلطان البـلاد في ولايتـه ويتبـع رأسًـا سـلطان دارفـور وهـو مسـؤول عـن تـصرف شـؤون ولايتـه ويتمتـع بسـلطات قضائيـة وإداريـة ولـه مطلـق الحريـة في إدارة ولايتـه.[٦٨] ومـن سـلطاته المصادقـة عـلى أحـكام الإعـدام وتنفيذهـا، إلا في حـلات نـادرة، فإنـه يُرفـع لسـلطان البـلاد. ويلبـس المقـدوم في منطقتـه نفـس نوعيـة لبـاس السـلطان، ويتمتـع بالاحـترام والتقديـر مـن رعيتـه ورعايـا الولايـات الأخـرى.

تعيين المقدوم:

يُعـيَّن المقـدوم بمنشـور خـاص مـن رئاسـة القـصر الملـكي، موقـع عليـه باسـم السـلطان ويُختَـم بختمـه الخـاص، يقـرأ أمـر التعيـين لمـن يهمهـم الأمـر خاصـة كبـار المسـؤولين في الدولـة كالـشراتي والدمالـج والملـوك ومشـايخ العـرب وأصحـاب

٦٧ .اوفاهي ر.س، ترجمة عبد الحفيظ سليمان عمر، الدولة والمجتمع في دارفور، ط١ ٢٠٠٠م، مركزالدراسات السودانية ص٣٠٦-٣١٠.

٦٨ . احمد عبد القادر ارباب، تاريخ دارفور عبر العصور، الجزء الاول

الحواكـير.

مقاديم الميدوب في سلطنة الكيرا وترتيبهم كالآتي:

١. محمد علي دوكي.

٢. أبو - أبو كير.

٣. سقري.

٤. حسن سقري.

٥. أحمد أصول.

٦. آدم أحمد أصول.

٧. حامد آدم.

٨. شريف حامد.

٩. يوسف شريف.

وقـد رفـض الأخـير زعامـة قبائـل شـمال دارفـور (الميـدوب بـرتي مليـط الزيادية الزغـاوة بـني حسـين) ولـم ترفـض زعامتـه فـور فونونـق، التنجـر كيتنقـا، وذلـك في العـام ١٩٤٦م وبذلـك تقلصـت زعامتـه رئيسًـا لمحكمـة كتـم.

وتعتـبر مدينـة كتـم عاصمـة المقـدوم وتعاقُـب فيهـا المقاديـم عـلى النحـو الآتي:

١. حسن سقري عهد السلطان محمد الفضل.

٢. محمد حسن سقري عهد السلطان حسين.

٣. آدم محمد عهد السلطان حسين.

٤. أحمد أصول آدم عهد السلطان هرون سيف الدين فضل.

٥. حامد آدم عهد السلطان يوسف إبراهيم حسين.

٦. محمد شريف آدم عهد السلطان علي دينار.

٧. يوسف محمد شريف عهد الحكم الثنائي والاستقلال.

وزراء الميدوب في سلطنة الفور:

لم يكتفي الميدوب بمنصب المقدومية في سلطنة الفور، وعملوا كوزراء ومستشارين في بلاط السلاطين ومنهم:

١. الوزير آدم طربوش عهد السلطان محمد الفضل.

٢.الوزير أمين بخيت عهد السلطان حسين.

٣. الوزير أبيض (آدية) بمعنى أبيض عهد السلطان حسين.

٤. الوزير محمد صالح عهد السلطان إبراهيم حسين.

٥. الوزير منصور عهد السلطان يوسف إبراهيم.

قادة الجيوش من الميدوب في سلطنة الفور:

هناك الكثير من الميدوب قادوا جيوش الفور طيلة حكم سلطنة الفور ومنهم:

١. الوزير محمد علي دوكي أول قائد جيش السلطان تيراب بن أحمد بكر.

٢. محمد علي محمد الذي انتصر على إسحاق بن تيراب، وأصبح نائبًا للسلطان في كردفان عندما استدعى عبد الرحمن الرشيد نائبه على كردفان أبو الشيخ دالي محمد كرا جبر الدار.

٣. الوزير آدم طربوش، ووجد الأول فرصة خلال أزمة وراثة العرش وصعد إلى السلطة مع مرشحه محمد الحسين الذي رتب له ليتولى العرش حسب وصية والد محمد الحسين، ومدة عشرين عامًا كان آدم هو الرجل الثاني في الدولة برغم العداء المستمر من العديدين من أبناء الكيرا بقيادة أبي بكر بن محمد الفضل. واستطاع البقاء في موقعه بلباقته وذكائه في حسم الأمور. وذهب جنوبًا كمقدوم إلى الرزيقات في الحملات الطولة ضد العرب البدو في الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر. وفي العام ١٨٥٦م قاد حملة كبيرة في أرض المستنقعات إلى الشمال من بحر العرب. وتعلم في السومنق دوقالا ومنح لقب طربوش عندما قدم أحد التجار بصورة خاصة الطربوش كهدية للسلطان محمد

الفضل إلا أنه أرسله لآدم. وبعدها عمل الوزير آدم طربوش كخبير وتاجر ملكي في أسيوط.

٤. بخيت آدم طربوش كان دوره مشابهًا لأبيه، وسرعان ما تسلق سلم السلطة كزعيم في الكوركوا وأدى دورًا بارزًا وحاسمًا في وضع إبراهيم قرض على العرش في العام ١٨٧٣م، ولُقِبَ بلقب وزير مكافأة له بعد عام في احتفال كبير حضره نافختال ووصفه وصفًا حيويًّا.

٥. جبر الدار أحمد.

٦. أبو الخير محمد.

المبحث الرابع: الإسهام السياسي للميدوب في السودان

وللميدوب دور مع بقية ملوك ونظار وسلاطين دارفور بعد عودتهم من معركة كرري في ٢ / ٩ / ١٨٩٨م في إرساء حكم السلطان علي دينار ومبايعته سلطانًا على دارفور وكان الميدوب بقيادة الملك جامع خير والمقدوم شريف. والمشاركة في كل الثورات الوطنية وحركات الكفاح المسلح كغيرهم من بقية القبائل في الذود عن تراب الوطن بالأنفس والأموال. التحول اليوم من رعاة إلى أطباء ومهندسين وقانونيين... إلخ، وظهورهم على مسرح الأحداث السياسية الأمر الذي جعلهم يحظون برضى تام من الجميع بصدقهم وأمانتهم ونزاهتهم والحصول على عدة امتيازات لأنهم

كانـوا يدفعـون أكـبر ضريبـة قطعـان للمسـتعمر الإنجلـيزي. في ينايـر١٩٥٦ نـال السـودان اسـتقلاله، وكان عـلى النخبـة الـتي تولـت الحكـم مواجهـة كل تعقيـدات تلـك المرحلـة، لوطـن مسـاحته مليـون ميـل مربـع، حديـث التكويـن، متعـدد الكيانـات والأعـراق والثقافـات واللُّغَـات. يعـاني تمـردًا مسـلحًا في جنوبـه، ومناطـق أخـرى غيرهـا تعـاني غبنًـا يُحَمَّلـون وزره النخبـة الـتي ورثـت المحتـل في حكـم البـلاد. هـذه الكيانـات وجـدت نفسـها فجـأة في ظـروف غـير مسـبوقة، تحـاول أن تتعايـش وتنصهـر في وطـن موحـد، يتمتـع فيـه الجميـع بالمسـاواة في الحقـوق والواجبـات. وعليهـم تلمُّـس مكامـن التوحـد والانصهـار إحيـاءً وتأكيـدًا، والتنبـه إلى مزالـق الفرقـة والشـتات يقظـةً وتجنبًـا، في سـبيل أن تكـون أمـة متجانسـة.

في عـام الاسـتقلال نفسـه، ١٩٥٦م كان "تعـداد المجموعـات الإثنيـة تختلـف تقديراتـه وتـكاد تجمـع عـلى أنهـا تزيـد عـلى ٥٠٠ مجموعـة قبليـة أو إثنيـة مختلفـة. كمـا تختلـف تقديـرات التنـوع اللغـوي مـن الحديـث عـن أكـثر مـن مائـة إلى أكـثر مـن ٩٠٠ لغـة".([٦٩]) وهنالـك الحقائـق التاليـة المأخـوذة مـن إحصـاء ١٩٥٦م: اللغـة العربيـة يتحـدث بهـا ٥١٪ مـن السـكان. اللغـات النيليـة يتحـدث بهـا ١٧، ٧٪ مـن السـكان. ١١٪ يتحدثـون بلغـة الدينـكا - ويتحـدث ١٢،١٪ بلغـات غـير العربيـة في الشـمال([٧٠]).

٦٩ . البطاقة الفكرية لحزب الأمة

٧٠ ٢. عبد الله علي إبراهيم، البطاقة الفكرية لحزب الأمة، والماركسية ومسألة اللغة في السودان، ص ٢٦

هـذا التنـوع والتبايـن، يلقـي عبئًـا ثقيـلًا عـلى عاتـق النخـب الحاكمـة مـن الساسـة، ويتطلـب قـدرًا كبـيرًا مـن الحكمـة والحنكـة والتجـرد والفهـم لإيجـاد خطـاب بـه مـن الإقنـاع مـا يكفـي لإدارة هـذه الفسيفسـاء، أولًا لتعـترف ببعضهـا وتتسـاكن في سـلام، ثـم للتعـاون، دون إقصـاء أو تمـيز، لمصلحـة الجميـع. وكان عـلى أحزابنـا صياغـة هـذا الخطـاب، كلٌّ حسـب رِؤيـاه، وتفصيلـه في برامـج وتنفيـذه، ومراجعتـه عنـد التطبيـق ونقـده وتعديلـه بمـا يتـلاءم مـع ظـروف كل مرحلـة. هـذا هـو المؤمـل مـن أي حـزب مسـؤول يسـعى لإقنـاع النـاس للالتفـاف حـول برامجـه، والانقيـاد لـه. وكمـا تـرى فـإن إدارة مثـل هـذا التنـوع لا مدخـل لهـا إلا عـبر الثقافـة، الثقافـة الـتي تعـترف بالآخـر، وتحـترم اختلافـه وتفـرده، وتتعامـل معـه بتفهـم وندية وعدالـة، ومسـاواة.

مضـت خمسـة وسـتون عامًـا منـذ اسـتقلال البـلاد. خسرنـا ثلـث الوطـن بانفصـال الجنـوب. ازدادت حـدة التنافـر بـين مكونـات الوطـن، واحتـدم الـصراع الدمـوي رأسـيًا وأفقيًـا، وكمـا قـال جمـال محمـد أحمـد (ليـس هنالـك مـا هـو أقـسى مـن صراع الثقافـات وأدمـى..)! تشرنـق النـاس في كبسـولاتهم القبليـة والعنصريـة، تنابـزوا بالألقـاب والقبائـل، وتقاتلـوا، بـكل مـا يخطـر عـلى البـال مـن أسـلحة، وهـم يدَّعـون أنهـم أبنـاء وطـن واحـد. تشـظَّت الأحـزاب وتفرقـت إلى مجموعـات، وأكـوام تتداعـى إلى قصعـة السـلطة، بشراهـة كمغانـم وحظـوات وريـع، أكـثر مـن كونهـا مؤسسـات تسـعى للـم شـتات الوطـن

وتتنافس لخدمته وإقالته من عثرته وإخراجه من الهوة التي تردَّى فيها!

عندما ننظر اليوم إلى ما تخلف من ركام ودمار، نشعر بكثير من الخزي والعار والندم على ما فرطنا في حق وطننا، ربما نسوق الأعذار بأن الكثير من الأمم مرت بمثل هذه التجارب وخرجت منها أقوى وأعظم بعد أن وعت الدرس القاسي، وإذ نتعلل بذلك فإننا نرجو أن نكون قد استوعبناه بما ينبهنا وينذرنا بما يكفي لتجاوز حالة الخيبة والإحباط، وأن ننتبه ونتيقظ للفعل والفعل الجاد من ناحيتنا، ونكف عن إلقاء اللوم على الآخرين، فما النتيجة التي خلصنا إليها إلا حصاد ما غرسته أيادينا، سواء بأنانيتنا أم بجهلنا وباستهتارنا ولا مبالاتنا أم إهمالنا.

من بين أكوام الركام هذه، وللمرة الثالثة، (أكتوبر ٦٤، أبريل ٨٦، وديسمبر ٢٠١٩) تبدع عبقرية شعبنا من خلال شبابه الوثاب، ثورة سلمية لا مثيل لها في التاريخ الحديث، ضد القهر والإذلال، تبرهن على حيويته وإصراره على المقاومة وقدراته اللامحدودة التي يفاجئ بها نفسه والعالم في صموده على البقاء، وتمرده على الترويض، وصلابته لمواجهة أي انكسار.

هذه التجارب والمخاضات العسيرة أورثت شعبنا وعيًا وحساسية عالية وحسًّا ديمقراطيًّا يضع كل من يتصدى لقيادته في تحدٍّ عسير، ويتطلب ابتداع أساليب جديدة ومبتكرة. من

الواضح جليًّا من خلال هذه الثورة أن مؤسساتنا الحزبية متخلفة بفراسخ عن نبض الشعب وعنفوان شبابه الذين أشعلوا الثورة، لدرجة أنه صار يبحث عن قيادات جديدة وأفكار جديدة تقاصرت عنها أحزابنا السياسية كافة، وهذا ما يضعها أمام مساءلة وتحدٍّ، وإثبات وجود. وإذا كان من تذكير، فإن ملحمة الاعتصام وكل ما صاحبها من عبقرية، في التلاحم والتعبير والتنوع والتساكن والتلاقي والشعارات وكل ما يعكس صورة السودان في تنوعه الخلاق وثقافاته المتعددة، ومعتقداته، ولغاته، في لوحة بصرية صوتية ملحمية، وتعاضد إنساني نبيل، من قيم وأخلاق ومبادئ، ومن تعاطف وتآزر وإيثار، وكأن الجميع اكتشف فجأة أين يجب أن تتجه سهام غضبه، وأي الصديق من العدو. كان ذلك المشهد، رغم مأساوية فضِّه، رسالة لإنذار مبكر لكل المواعين السياسية البالية، أن على السياسة والساسة أن يُهرَعوا ويبادروا في تجديد أنفسهم ومواعينهم، عبر روافع الثقافة وتجديد الخطاب السياسي ليرتكز على مكونها الأساسي، ثقافة الشعب السوداني المتنوع المعبر المستوعب المساكن لبعضه بعضًا في أوركسترا، شبيهة بساحة الاعتصام، وإلا فلا الشعب ولا الوقت ولا العصر، ولا التجارب ستسمح، مرة أخرى، بتكرار الإخفاقات السابقة، ولا جيل هذه الثورة العبقرية بالذي سيرهن مصيره بالفكر الديناصوري الذي أدى إلى انهيار مؤسسة الدولة مرات ثلاث. لقد كان من المهم للأحزاب التاريخية تجديد خطابها، بما يتواءم والمستجدات

والتطـورات الحادثـة، فـإن كان هـدف الرعيـل الأول خـروج الاسـتعمار، واسـتقلال البـلاد، فـإن إدارة البـلاد وحفـظ تماسـكها وتحقيـق المواطنـة فيهـا اسـتوجب فكـرًا جديـدًا عجـزت أحزابنـا عنـه فأصيبـت بالكسـاح حـتى عصـف بهـم الانقـلاب العسـكري الأول بقيـادة عبـود (٧ سـنوات)، ثـم الانقـلاب العسـكري الثـاني بقيـادة نمـيري (١٦سـنة)، ثـم الانقـلاب الثالـث والأخـير بقيـادة البشـير (٣٠ سـنة)، فهـل تعلمـوا الـدرس؟

مشـهد الوطـن الآن ورثـت الثـورة مـن السـودان الـذي اسـتقل عـام ١٩٥٦م والـذي كانـت مسـاحته مليـون ميـل مربـع، ضـاع ثلثـه بانفصـال جنوبـه الـذي أصبـح دولـة جنـوب السـودان. وورثـت عـددًا مـن الحـركات المسـلحة في دارفـور وكردفـان، وقَّعـت بعضهـا اتفاقيـات مـع حكومـة الثـورة، وبعضهـا لـم توقِّـع، وكـذا في النيـل الأزرق، والنيـل الأبيـض وفي الـشرق. ورثـت أراضي سـودانية بعضهـا محتلـة وبعضهـا متنـازع عليهـا. ومعسـكرات للاجئـين ونازحـين وغبنًـا تنمويًّـا، وتململ وهجمـات مسـلحة في أرجـاء دارفـور، وصراع قبـلي دام في أجـزاء متفرقـة في دارفـور وكردفـان والـشرق. اسـتقطابًا قبليًّـا حـادًّا وارتفـاع النـبرة العنصريـة، والطـاردة والمسـتفزة، الاسـتعصام بالقبيلـة ودعـوات للتـشرذم والانغـلاق، وانهيـارًا واضـح المعالـم في التعليـم ومناهجـه، وفي الخطـاب الإعلامـي إضافـة إلى تـردي الخدمـات وعـسر المعيشـة!

أليـس بعـض ممـا ذكرنـا آنفًـا يكفـي، لأي حـزب يسـعى لإقنـاع

الناس للالتفاف حوله، لأن يصيغ رؤاه ويجدِّد خطابه ويخرج إلى الناس ببرنامج وسياسات فيه من الخيال والفكر ما يؤهله للتصدي لهذه المشكلات وابتكار الحلول؟

حكومة مايو:

العميد معاش عبد الله شقيري درس في مدرسة حلوان الثانوية بمصر ودخوله كلية الطب جامعة الخرطوم، ولم يكمل دراسته بها والتحق بالمؤسسة الكلية الحربية السودانية الدفعة (١٠) وعمل محافظًا لمحافظة الفاشر١٩٨١-١٩٨٢م.

حكومة الصادق المهدي: يعتبر الحزب أكبر الأحزاب السودانية في الساحة وفق آخر انتخابات ديمقراطية جرت في البلاد، وله رصيد كبير من التجربة السياسية وتاريخ يستند على إرث الثورة المهدية العظيمة. بعيدًا عن المصاهرات العائلية والتحالفات وأحيانًا تشابه الأفكار والرؤى، إلا أن حزبًا بهذا الحجم وهذا التأثير، كان لا بدَّ أن يتقصده الإنقلابيون بكل ما يمكنهم لإضعافه، وهكذا نال ما نال منهم عبر تشجيع الانشقاقات وتدبيرها، وعبر الترغيب والترهيب. دون الدخول في تفاصيل الانشقاقات وأدواء الحزب، فإن الذي يعنينا في هذا المقام هو هل للحزب خطاب ثقافي، وهل تحول هذا الخطاب إلى برامج وسياسات وأفعال؟ واستكشاف ذلك كانت القفزة الفكرية الأولى للحزب هي ما بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م حيث أصدر برنامجًا بعنوان "نحو آفاق جديدة" يستصحب فيه المستجدات ويتبنى مسألة

التنمية المتوازنة والوعي بالتنوع الثقافي والديني والمظالم التنموية في المناطق المهمشة. بعد انتفاضة رجب أبريل ١٩٨٥م أصدر الحزب "نهج الصحوة" كبرنامج انتخابي احتوى على رؤية فكرية تدعو إلى قراءة معينة للإسلام والقومية والأفريقية وتبشر بصحوات إسلامية وتنموية واجتماعية ([٧١]). من ملامح فكر الحزب أنه يدعو إلى التأصيل والتحديث، يرفض الانكفاء على المعارف التقليدية ويرفض الاستلاب للرؤى الخارجية، ويدعو إلى التكامل والتوازن ومراعاة حاجات الإنسان كافة، وتضيف بطاقة الحزب في موضع آخر، (فقرة من تقرير لجنة الجنوب، التابعة للأمم المتحدة عن التحدي للجنوب في عام ١٩٩٠م، فحواه أن التنمية في بلدان الجنوب أخفقت لأنها لم تراعِ الجوانب الثقافية في تكوينات هذه المجتمعات. وفي نوفمبر ١٩٩٥م جاء تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية المعنون "تنوعنا البشري الخلاق" النص الآتي: إن مجهودات التنمية غالبًا ما أخفقت لأن العامل البشري - تلك الشبكة من العلاقات، والمعتقدات، والقيم، والدوافع التي تجسدها الثقافة - قد أهمل في التخطيط للمشروعات المختلفة. وجاء في التقرير: إن تقرير لجنة برندلاند قد أشار إلى أهمية العلاقة بين التنمية والإيكولوجيا، ولأسباب مماثلة ينبغي أن نراعي العلاقة بين الثقافة والتنمية. ولأهمية الجانب الثقافي في حياة الإنسان اقترح التقرير أن يراجع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لإضافة الحق الثقافي إليه)

٧١ . البطاقة الفكرية لحزب الأمة.

([٧٢]). تستفيض البطاقة الفكرية لحزب الأمة في تفاصيل نهج الصحوة الثقافية الإسلامية، يحدد مفهومها ويعدد شروطها، والدعوة إلى تبني الحد الأدنى والذي لخَّصه في عشرة شروط... إلخ. من ناحية أخرى يدلف البرنامج إلى الشأن السوداني فيتحدث عن ثنائية الوحدة والتنوع فيقول السودان أرض التنوع: السودان بلد متنوع لغويًّا وإثنيًّا ودينيًّا وطبوغرافيًّا، ولذلك فهو بلد متعدد الثقافات، وهو يكاد يكون إفريقيا مصغرة وإفريقيا قارة التنوع.

إن موقع السودان في الجزء الأوسط من حوض النيل جعل سكانه خليطًا من عناصر مختلفة تواريخ استيطانها للبلاد مختلفة. والسودان من أكثر بلاد إفريقيا بل من أكثر بلاد العالم تنوعًا إثنيًّا وثقافيًّا. وبالسودان ثلاثة من العوائل اللغوية الخمسة في إفريقيا (العائلة النيجر كنغولية - العائلة النايلو صحراوية - العائلة الأفروأسيوية - العائلة الخوسانية – والهند وأوروبية)

وفي السودان أيضًا تنوع ديني، إذ المسلمين أكثر من ٨٠٪ من السكان، الأديان الإفريقية المحلية يتبعها أكثر من ١٠٪ والبقية مسيحيون. وتوجد بين المسلمين طرق صوفية وأنصار وجماعات سلفية وحركية مختلفة، كما توجد بين المسيحيين الكنائس القبطية والأسقفية والإنجليكانية والكاثوليكية. وتتنوع الأديان الإفريقية حسب ثقافة الجماعة

٧٢ . البطاقة الفكرية لحزب الأمة.

المعنية.. هذه الأديان تعيش في تسامح ذلك أنها دخلت إلى البلاد سلميًّا. والسودان متنوع في مناخاته وتضاريسه وموارده الطبيعية، ويتضافر مع تعدد الإثنيات والأديان واللغات والتواريخ ليرفد تعدد الثقافات ويجعله مسألة حتمية.

يمكننا الحديث عن ست عوائل ثقافية (تندرج داخل كل عائلة ثقافات متميزة عن بعضها مع وجود الرباط العائلي بينها) وهي: الإسلامية العربية الموجودة في الوسط وشمال الوسط وفي بقاع متعددة في الشمال، والنوبية في أقصى الشمال، والتبداوية المرتبطة بحضارات حوض البحر الأحمر في الشرق، والنيلية المرتبطة بالثقافة البانتو نيلية في الجنوب، والزنجية المرتبطة بشريط السودان التاريخي وبغرب إفريقيا في الغرب، والمسيحية (القبطية والأنجلوفونية). هذا التنوع يزداد حدة بين الشمال والجنوب فيما يشبه شرخًا غذته عوامل مختلفة.((٧٣ من ناحية أخرى، تقدم الحزب بمسرؤع لميثاق ثقافي ليتبناه الرأي العام السوداني من أحد عشر بندًا، استهله بهذه الفقرة (أولًا: السودان وطن متعدد الأديان والثقافات والإثنيات. المجموعات الوطنية السودانية الدينية، والثقافية، والإثنية، تعترف ببعضها بعضًا وتمارس هويتها الثقافية بحرية على أن تلتزم بأمرين:

الأول: عدم المساس بحق المواطنة حق يتساوى فيه الجميع.

٧٣ . البطاقة الفكرية لحزب الأمة.

الثاني: التعايش مع حقوق الآخرين وعدم السعي لتحقيق امتيازات على حسابها)[٧٤] ونحن نفترض أن هذا الميثاق الثقافي المقترح هو الخطاب الثقافي للحزب، الذي يلتزم به ويقوم على أساسه، وهو يتحدث عما ينبغي عمله حيال البرامج التنموية والتعليمية والإعلامية، والتعبير المتوازن للجماعات الإثنية والثقافية والجهوية والدينية واللغوية، وأن تتخذ السياسة الثقافية طابعًا يوفق ما بين أهدافها المركزية واللامركزية، ودعم ثقافة المواطنين والمواطنة، ويتحدث عن تفاعل الثقافات على تعددها وتنوعها، والقيم المشتركة بين الحضارات، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة وتمكينها، والتسامح الديني، والقيم الأفريقية، واللغة الوطنية الأولى واللغات واللهجات السودانية، وتشجيع الإلمام بها، وأن تعكس السياسات الخارجية هذا التنوع والتعدد الثقافي، وصك قوانين لمحاربة الاستعلاء الثقافي والعنصري والديني والنوعي، والعولمة والدفاع الثقافي ضدها ونزعة الانكفاء في الثقافات الوطنية، ورفض حتمية صراع الحضارات... إلخ.

من الخطاب الثقافي لحزب الأمة، نطرح السؤال الآتي: هل فُصِّل هذا الخطاب على سياسات وبرامج للتنفيذ؟ وما المقدار الذي تحول إلى منجز ثقافي (فعل)؟

يلاحظ أن الخطاب يغلب عليه الـ (ينبغيات)! ينبغي وينبغي ويجب، ولا بدَّ من... إلخ، ومن ثَمَّ لا يحدد من ينفذه

٧٤ . الميثاق الثقافي لحزب الأمة.

وكيـف؟ بالرغـم مـن اعـتراف الحـزب ووعيـه بالتنـوع العـرقي والثقـافي واللغـوي في السـودان، فـإن الخطـاب لا يحمـل مـن البرامـج والسياسـات مـا يفيـد إدارة هـذا التنـوع، ويلاحـظ أيضًـا أن الخطـاب يتجـاوز محيطـه السـوداني، ويهـرب، قفـزًا إلى القـارِّي والإقليمـي والكـوني. ومـن ناحيـة أخـرى، فبالرغـم مـن أن زعيـم الحـزب، السـيد الصـادق المهـدي رفـد المكتبـة السـودانية بمـا يقـارب المئـة مؤلـف في شـتى الموضوعـات، فـإن الحـزب كمؤسسـة ذات عراقـة وتاريـخ وجماهـير، إسـهامها قليـل، ومـا أنتجـه الإمـام وكذلـك مؤلفـات الدكتـور إبراهيـم الأمـين، وبعـض المنتمـين إلى الحـزب يحسـب، في أغلبـه، لهـم كأفـراد ليـس للحـزب مؤسسـة ثقافيـة ولا دار للنـشر ولا هيئـة معروفـة تعـني بالقضايـا الفكريـة. وخلاصـة القـول إنـه لا يوجـد فعـل ثقـافي يذكـر!

مـا ذكرنـا أعـلاه نموذجًـا مـن أحزابنـا السـودانية، يمثـل في تقديرنـا، غالـب الطيـف السـياسي، كَمًّـا ونوعًـا ولا تختلـف الأحـزاب الأخـرى، حسـب تقديـري، عنهـا. ويبـدو لنـا ممـا استعرضنا أعـلاه، أن أحزابنـا في حاجـة إلى مراجعة شـاملة في هذا الجانـب حـتى تتمكـن مـن مواجهـة التحديـات الماثلـة. ذلـك أنـه لانعـدام الخطـاب الثقـافي، وعـدم وضـوح سياسـات ثقافيـة للأحـزاب، واجـه شـباب الثـورة، وبعضهـم مـن هـذه الأحـزاب نفسـها، مـأزق التخبـط وانعـدام البوصلـة، ممـا حـدا بهـم إلى ابتـداع أسـاليب تجـاوزوا بهـا عـن أحزابهـم وانتماءاتهـم، ومـع قلـة الخـبرة والحـيرة، فيبـدو أنهـم كفـروا بانتماءاتهـم الحزبيـة،

واتخـذوا منحًـى مختلفًـا يهـدد وجـود هـذه الأحـزاب نفسـها، وسـتنهار إذا لـم تتـدارك الأمـر وتجـدد مـن خطابهـا، وتدخـل معـترك العـصر، عـصر التقانـة والتحـولات الكبـيرة والتطـور السريـع والضخـم بأدواتـه. وازدادت فيهـا حـوادث النهـب المسـلح وانتشـار سـلاح الجيـش السـوداني في أيـدي المدنيـين، وهـذا مـا ولَّـد الصراعـات والنزاعـات المسـلحة بـين المجموعـات العربيـة والإفريقيـة.

السـيد عـلي آدم ود تجيـكا برلمـاني وقـد حكـم عليـه النمـيري بالإعـدام في أحـداث ١٩٧٦م، وانتقـل إلى الجماهيريـة مـدة مـن الوقـت إلى نهايـة حكومـة مايـو وعمـل بالتجـارة الحدوديـة ولديـه عـدد مـن الأبنـاء والبنـات منهـم محمـد الحافـظ جامعـة بـون بالهنـد وماجسـتير في هندسـة الكمبيوتـر ١٩٩٤م. الصحفيـة سـعدية المحـاضرة بجامعـة الفـاشر كليـة الإعـلام.

حكومـة الإنقـاذ: جـاء المؤتمـر الوطـني وقـد أعلـن مـن خـلال خطابـه الثقـافي أنـه جـاء لصياغـة الإنسـان السـوداني، واختـار لهـذه المهمـة وزارة الشـؤون الاجتماعيـة، وجـاء على رأسـها أهم شـخصيات الانقـلاب وأكثرهـم نفـوذًا الأسـتاذ المحامـي عـلي عثمـان محمـد طـه، وضـع الأسـس والدعائـم واسـتخلف بعـده مـن يسـير عـلى نهجـه، ولـم يبـالِ في سـبيل تحقيـق أهـداف الحـزب أن يسـتعمل كل الوسـائل بمـا في ذلـك الفصـل مـن العمـل أو حمـل النـاس إلى معسـكرات التدريـب العسـكري، بـل حـتى أخذهـم إلى القتـال والمـوت في الجنـوب، بـل والتضحيـة

بالجنوب نفسه (ثلث الوطن بأهله وثرواته). خاضوا الحروب الأهلية وأججوا الصراع القبلي، وفعلوا وتركوا... إلخ، مهما كان فقد قال الشعب كلمته فيهم، ولكن كانت لديهم رؤية وخطاب وبرنامج وفعل ثقافي. كانت نتائجه كارثية!

انضم عدد من أبناء الميدوب لصفوف الحركة الإسلامية وتولى عدد كبير منهم مناصب دستورية وتنفيذية في المجلس التشريعي بالولاية والمركز.

الدكتور فضل عبد الله فضل، اقتصاد الخرطوم، عمل موظفًا في ديوان الضرائب الولائي بالفاشر والخرطوم، ووزير دولة للتجارة والتعاون الدولي، ووزيرًا لوزارة التجارة والتعاون الدولي، ووزيرًا لرئاسة مجلس الوزراء.

اللواء دكتور أحمد موسى نمر، معتمد المحلية الطينة، ثم عميدًا لكلية الترجمة جامعة الرباط الوطني، تُوفِّي في حادثة طائرة تلودي المدبرة.

عميد شرطة معاش إسماعيل محمد جمعة، درس في الجامعة المصرية وتخرج فيها، عمل قائدًا لقوات الاحتياطي المركزي الدفعة ٥٥، ومعتمدًا لمحلية المالحة، وعضوًا برلمانيًّا في المجلس الوطني.

مقدم شرطة آدم أمين إسماعيل، عمل في إدارة الجوازات بالفاشر، ومعتمدًا لمحلية المالحة.

الأستاذ التجاني عبد الله صالح، أول معتمد لمحلية المالحة.

الأستاذ مبارك عبد الله فضل، درس في جامعة الخرطوم، كلية الإعلام، وتخرج فيها، وعمل معلمًا بالمدارس الثانوية، ومعتمدًا لمحلية المالحة.

الأحزاب المشاركة في السلطة مع حكومة الإنقاذ باسم حكومة الوحدة الوطنية:

الفريق شرطة معاش آدم كنة أزرق، عمل محافظًا لمحافظة كبكابية، وعضوًا في المجلس الوطني دائرة المالحة الحزب الاتحادي جناح جلال يوسف الدقير.

الأستاذ حسن آدم عبد الله، درس بالجامعة الإسلامية وتخرج فيها، ونال درجة الماجستير في دراسات السلام والتنمية، عمل معتمدًا لرئاسة محلية الفاشر. دائرة المالحة الاتحاد الديمقراطي جلال يوسف الدقير.

الأستاذ عباس إسحاق أبكر بيديه، عضو مجلس تشريعي الاتحاد الديمقراطي.

حركة العدل والمساواة الموقعة لاتفاقية الدوحة:

عثمان أحمد فضل، درس بجامعة جوبا كلية الاقتصاد والدراسات الاجتماعية، وعمل وزيرًا للعلوم والتكنولوجيا ووزيرًا لوزارة التجارة والتعاون الدولي.

عبـد الله مـوسى فضـة وزيـرًا للتربيـة والتعليـم ولايـة شـمال دارفـور.

حركة جيش تحرير السودان:

القائـد سـليمان مرجـان، درس في الفـاشر الثانويـة، والتحـق بحركـة جيـش تحريـر السـودان منـذ انـدلاع الثـورة في دارفـور ٢٠٠٣م، وعمـل أمينًـا ماليًّـا للحركـة، وبعـد أن عصفـت الخلافات الحـركات المسـلحة نتيجـة اختراقهـا مـن الأجهـزة الأمنيـة لنظـام الخرطـوم والنزاعـات الذاتيـة والقبليـة الضيقـة تمخضـت مؤتمر حسـكنيتة برعايـة القـذافي في العـام ٢٠٠٥م، التحـق بجنـاح عبـد الواحـد محمـد نـور، وعمـل قائـدًا ميدانيًّـا لقطـاع جبـال الميـدوب مـع بقيـة رفاقـه.

حركة جيش تحرير السودان جناح مناوي:

الدكتـور محمـد يوسـف آدم أبـو حريـرة، درس في جامعـة عـين شـمس كليـة التربيـة ١٩٧٧م، عمـل معلمًـا بمدرسـة الفـاشر الثانويـة، ومعـارًا بالجمهوريـة اليمنيـة، نـال درجـة الدكتـوراة مـن جامعـة الخرطـوم كليـة التربيـة، محـاضرًا بجامعـة الفـاشر كليـة التربيـة قسـم الأحيـاء، عمـل مستشـارًا للـوالي إبـان توقيـع اتفاقيـة سـلام جوبـا، ورئيسًـا للحركـة بالولايـة لديـه عـدد مـن الأبنـاء والبنـات.

حركة العدل والمساواة:

جمـال حسـن عبـد الله، درس في الفـاشر الثانويـة ١٩٨٧م، والتحـق بحركـة العـدل والمسـاواة في العـام ٢٠٠٥م، وأصبـح قائـدًا ميدانيًّـا، ومـن المقربـين للدكتـور خليـل إبراهيـم، وتـم تصفيتهـم ميدانيًّـا بعـد أن تقدمـوا بمذكـرة احتجـاج في ٢٠٠٩/١٢/٣١م مـع بقيـة رفاقـه مـن القـادة الميدانـين حسـين عبـد الله عقيـد، حفيـد الملـك الصيـاح وسـلطان... إلـخ مـن أبنـاء الميـدوب في الحركـة بعـد عمليـة الـذراع الطويلـة ٢٠٠٨م. وعـدد مـن الأسرى مـن بينهـم أمـين الشـؤون العدليـة بالحركـة التيجـاني آدم عبـد الله اللـواء محمـد كليـب.

الحـزب الجمهـوري: مـن أعـرق الأحـزاب السـودانية وأكثرهـم وضوحًـا في الرؤيـة ورسـوخًا ونصاعـة في خطابـه الثقـافي وأسـلوبه في الدعـوة إلى برامجـه، عـبر الكتـب والرسـائل وحلقـات النقـاش والنـدوات التثقيفيـة. كان لاستشـهاد مؤسسـه المأسـاوي والبطـولي في آن واحـد، متمسـكًا بالقيـم الـتي يدعـو إليهـا، في دعوتـه التجديديـة، محـل إكبـار واحـترام. عـانى أفـراده بعـد إعـدام مؤسسـه صنوفًـا مـن التنكيـل والتشريـد، وحُظِـرَ نشـاطه، ولكنـه خلـف إرثًـا ثقافيًّـا عظيمًـا عـبر مؤلفـات زعيمـه وتلامذتـه الذيـن خلفـوه مـن بعـد. كمـا أسـهموا بنشـاط فكـري يتسـق مـع رؤيـة الحـزب ويطـرح الحلـول للمشـكلات السـودانية مـن تلـك الوجهـة.

الحـزب الشـيوعي السـوداني: يمتـاز الحـزب بأنـه أكـثر الأحـزاب السـودانية اهتمامًـا بالقضايـا الثقافيـة، ولعلـه أكثرهم حساسـية

وانتباهًا لظاهرة التنوع الثقافي، والعلاقات المجتمعية، وقد أولى الحزب في خطابه الثقافي أهمية كبرى لظاهرة الأمية المتفشية، فقد ذكر في أدبيات خطابه الثقافي ما يلي: (لا تزال الأمية عائقًا صلدًا أمام التطور الديمقراطي لشعبنا، لكننا لا نكتفي بمحو الأمية الكتابية هدفًا إنما نسعى إلى دحر الأمية المعرفية التي تحول دون انعتاق شعبنا أفرادًا وجماعات من ظلام الاستغلال. هذا مطلب لا يستقيم سوى بإصلاح نظام ومناهج التعليم في بلادنا بحيث تتسق ومبادئ الحرية والديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية، ومن ذلك حرية البحث والإبداع العلمي والفكري دون قيود، تصديًا لما لحق بالعلم والتعليم في بلادنا من تدهور مأساوي في عهد ظلامية الجبهة الإسلامية، وفتحًا للخلق والإبداع العلمي والفكري)[٧٥]. لقد رفد الحزب المكتبة السودانية، عبر أمانته العامة، ومن أعضاء الحزب بالعديد من الكتب والنشرات والمطبوعات التي تمثل رؤية الحزب، ومعالجته مشكلات النوع والأمية، وعبر المؤسسات الثقافية التي أنشأها أو أسهم في رفدها مثل اتحاد الشباب أو جماعة أبادماك، ثم إن الحزب أولى الفن والغناء والشعر المزيد من الاهتمام، وقدَّم إسهامات رائعة ذات بصمات، سواء في رواج الشعر العامي أو الخروج بالمسرح إلى الجماهير في القرى والدساكر، ويدعو الحزب إلى أن يقتصر دور الدولة على المساعدة والتشجيع والتمويل، وإنشاء البنيات

٧٥ . الخطاب الثقافي للحزب الشيوعي السوداني.

الأساسية ولدى الحزب رؤية، عبر خطابه الثقافي حول كيفية معالجة اللغات المحلية وإدارة النقاش حولها والاهتمام بها، وتشجيع رعايتها من قبل أهلها[٧٦]، وغيرها من الفعل الثقافي المتسق مع الخطاب.

وكذلك نجد العديد من أبناء الميدوب في جميع المجالات والتخصصات ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

مولانا محمد آدم، خريج الدفعة الأولى الجامعة الإسلامية، عُيِّنَ قاضيًا شرعيًّا وتقدم باستقالته وعمل مدرسًا في المدارس الوسطى معلمًا لمادة اللغة العربية.

الدكتور الصيدلي الحاج إبراهيم عبد القادر، خريج الجامعة الأمريكية بيروت ١٩٦٢م، وعمل في وزارة الصحة السودانية وأستاذًا بكلية الصيدلة جامعة الخرطوم وأحيل إلى المعاش في العام ١٩٩٧م.

الدكتور فضل إبراهيم عبد القادر، خريج جامعة الخرطوم ١٩٦٩م، وتخصص في الطب الباطني بإنجلترا، عمل في وزارة الصحة إلى العام ١٩٨٢م، ويعمل حاليًّا استشاريًّا باطنيًّا في دولة الكويت.

العقيد عبد الرؤف محمد آدم، خريج المعهد الفني ١٩٦٨م، وتخصص في رادارات الدفاع الجوي، وأحيل إلى المعاش في العام ١٩٧٦م، وترشح للبرلمان من منطقة أبو حجار دائرة

٧٦ عبد الله علي إبراهيم، الماركسية ومسألة اللغة في السودان.

حـزب الأمـة.

سـليمان شـقيري، خريـج اقتصـاد الخرطـوم ١٩٧٠م، وعمـل بـوزارة الزراعـة الاتحاديـة والشركـة العربيـة للاسـتثمار والإنمـاء الزراعـي ومديـر المـشروع أقـدي الزراعـي بالدمازيـن، ونـال درجـة الماجسـتير في الجامعـة الهولنديـة.

الأسـتاذ عـز الديـن آدم عبـد الله جبـال، خريـج جامعـة الخرطـوم ١٩٧٣م، المراجـع الأول في بنـك السـودان ومـن خـيرة المراجعـين في إفريقيـا والعالـم العـربي، وتـوفي في العـام ٢٠١٩م مـع بدايـات ثـورة ديسـمبر المجيـدة.

الطيار آدم فضل خريج اليونان ١٩٧٤م.

البروفيسـور محمـد عبـد الله فضـل، خريـج الهندسـة المدنيـة جامعـة الخرطـوم، ومنهـا ابتعـث إلى جامعـة بودابسـت بالمجـر لدراسـة الطـب، وانتقـل إلى كليـة الطـب البيطـري بالجامعـة نفسـها وتخـرج فيهـا عـام ١٩٧٤م، عمـل في الأبحـاث البيطريـة بسـوبا وأسـس المعمـل البيطـري في أسـمرا إريتريـا. ومـتزوج إلـيزا مجريـة ولديـه اثنـان مـن الأبنـاء راشـد أحمـد وعايـدة.

الأسـتاذ عبـد الرحمـن إبراهيـم عبـد القـادر، خريـج جامعـة بكـين بالصـين ١٩٨٥م، ويعمـل مترجمًـا، ومـتزوج بسـويسرية.

طـه البشـير محمـد أحمـد العالـم درس بالجامعـة الإسـلامية، وعُـيِّنَ ضابطًـا إدرايًـا، تنقـل في مـدن السـودان المتنقلـة، ومديـرًا

تنفيذيًّا لمحلية كرري إلى أن توفاه الله.

الدكتور جمال إبراهيم عبد القادر، طب الخرطوم ١٩٨٧م، عمل متخصصًا للأطفال، وحاليًّا استشاري أطفال في المملكة العربية السعودية.

اللواء محمد الأمين الشنقيطي، وُلِدَ وترعرع منذ طفولته بجبال الميدوب، وأجاد لغة الميدوب، وكان والده من أكبر التجار بالمنطقة، وصداقته مع الملك محمد الصياح جامع، وما زالت قوة علاقاتهم التاريخية الوطيدة مع الميدوب إلى اليوم في شتى مناحي الحياة، عمل مترجمًا للعة الإنجليزية في رئاسة الجمهورية.

مستر سليمان حسن، متخصص الجراحة العامة خريج طب الخرطوم، ويعمل بوزارة الصحة ومحاضرًا بجامعة الفاشر كلية الطب البشري، متزوج ولديه عدد من الأبناء والبنات.

مستر سليمان آدم إدريس، خريج طب أسنان الخرطوم، يعمل بوزارة الصحة، ومحاضرًا بكلية الطب البشري جامعة الفاشر، متزوج ولديه عدد من الأبناء والبنات.

دكتور عبد الله إدريس محمد متخصص النساء والتوليد خريج الخرطوم يعمل بوزارة الصحة ومحاضرا بجامعة الفاشر كلية الطب البشري.

إدريس إبراهيم أزرق، من مؤسسي حركة العدل والمساواة

السـودانية، تخـرج في جامعـة الخرطـوم وهاجـر إلى هولنـدا، ويعمـل حاليًّـا في مجـال القانـون الـدولي والدراسـات الإنسـانية.

الدكتـور راشـد محمـد عبـد الله فضـل، أول الشـهادة السـودانية في العـام ١٩٩٨م، ودرس بجامعـة الخرطـوم كليـة العلـوم الرياضيـة، ونـال درجـتي الماجسـتير والدكتـوراة مـن جامعـة أكسـفورد ببريطانيـا، ويعمـل حاليًّـا في شركـة بريطانيـا.

العـدَّاء السـوداني في حقبـة الثمانينيـات مـن القـرن المنـصرم مـوسى جـودة الـذي حصـد العديـد مـن الكـؤوس الجوائـز والميداليـات، منهـا بطولـة العالـم العسـكري ١٩٧٨م، وأحـرز سـباق كأس فلسـطين بدولـة سـوريا وأحـرز المركـز الأول أولمبياد موسـكو ١٩٨٠م، والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، والمركـز الثـاني بطولـة العبـور عـشرة آلاف مـتر، ودورة الألعـاب الأولمبيـة في لـوس أنجلـوس ١٩٨٤م وإحـرازه المركـز الخامـس، وأحيـل إلى المعـاش في العـام ١٩٩٢م، عمـل بالقـوات المسـلحة السـودانية الرياضـة العسـكرية، وانتـدب إلى المملكـة العربيـة السـعودية كمـدرب في نـادي الاتحـاد، وعمـل بهـا إلى أن توفـاه الله.

"قـم للمعلـم وفِّـه التبجيـلَ كاد المعلـم أن يكـون رسـولا"، نشـهد للـدور الـذي قدمـوه جيـلًا وراء جيـل للتعليـم في كل مناطـق جبـال الميـدوب والسـودان، الأسـتاذة الأجـلاء محمـد بخيـت تكـراس، وإسـماعيل سـلطان تكـراس، ويوسـف إبراهيـم بخيـت، ومحمـد عبـد الكريـم الحـاج، وصالـح حـران، وحليمـة آدم أبكـر، وخديجـة محمـد بحـر مؤسسـة جمعيـة تنميـة المـرأة

والطفـل، ومحمـد أحمـد بريمـة، وصالـح الحـاج آدم كشـبة، ومحفـوظ عثمـان جامـع وإدريـس عبـاس أبـو سـتة، وعبـد الكريـم الحـاج جـوادة مـدارس، وبقيـة الكوكبـة الفريـدة الذيـن لـم نذكرهـم مـن الأسـاتذة الأجـلاء، ونترحـم عـلى كل مـن ارتحلـوا عـن الحيـاة وتركـوا بصماتهـم في أبنائهـم الطـلاب.

البرلمـاني عـلي آدم إبراهيـم ود تجيـكا، والمغفـور لـه مـربي الأجيـال الأسـتاذ عـلي عبـد الرحمـن جـوادة.

مربي الأجيال الأستاذ إسماعيل سلطان تكراس

كيفية استقبال الزوار والمسؤولين الحكوميين بجبال الميدوب

الفصل الخامس: النسق الثقافي

المبحث الأول: طقوس العبور والتكريس عند الميدوب

إن عبارة (طقوس العبور) هي ترجمة للمصطلح الفرنسي 'Ritesdepassage الذي استعمله أول مرة عالم الاجتماع الفرنسي أرنولد فان، في كتاب صدر سنة ١٩٠٩م بعنوان "طقوس العبور"، وفيه بيَّن أن طقوس العبور ثلاثة أقسام هي: طقوس التجميع، مثل (الزواج) وطقوس الانفصال، مثل (الموت) والطقوس الهامشية مثل (الحمل والولادة) من خلال تتبعنا التكوين الاجتماعي والثقافي لقبائل دارفور، وجدنا أن من الطقوس الكثير والعديد التي شكلت الرصيد الاجتماعي التراثي لإنسان المنطقة، وذلك بإنتاج كل ما يستوعب ممارساته في دورة حياته والتصدي لأي مشكلة تعترض مسيرة حياته. وأن حياة سكان منطقة جبال الميدوب تقوم على (الاعتقاد الطقسي) باعتباره محصلة التفاعل بين السكان مع بعضهم من جهة، وتفاعلهم مع البيئة الطبيعية والثقافية والعالم الخارجي (ما وراء الطبيعة) من جهة أخرى، وهذه الطقوس والممارسات تحمل السمات الثقافية الشعبية لمجتمع الميدوب بدارفور من خلال مسيرتها حضارتها الثقافية، وأضحت تلك الممارسة في وقت من الأوقات نظامًا له عدة مزايا، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، ثقافية، دينية، في الوظائف التي تؤديها طقوس

العبـور، إن ممارسـة الطقـوس بشـكل عـام لـدى مجموعـة الميـدوب مـا هـي إلا ممارسـات تكريسـية نبعـت مـن المجموعـة الثقافيـة وسـارت مـع الإنسـان منـذ مولـده، وحـتى مماتـه ومنطقـة الميـدوب تأثـرت بالثقافـة النوبيـة المسـيحية تمـددت جـذور تلـك الثقافـة في ممارسـة المجتمـع بشـكل كبـير، وأثـرت في العـادات والتقاليـد، وأدت مظاهرهـا ورموزهـا دورًا متعاظمًـا في نشـأة وتطـور ثقافـة المنطقـة(٧٧)، وتعـرف بلغـة الميـدوب باسـم (الكنـوس)، ولـكل شيء عندهـم طقسـه الخـاص، وكذلـك الحـال في شـعائر التكريـس، إذ يشـعر الفـتى أو الفتـاة مـن الأندمـان أنـه أصبـح عضـوًا أساسـيًّا لـه وظيفتـه ويعتمـد عـلى نفسـه لا عـلى آبائـه.

البعـض يـري أن الـزواج الـذي لا تصاحبـه ذريـة لا يكـون أسرة ، ومـن القواعـد العامـة عنـد الشـعوب البدائيـة والمجتمعـات المتحـضرة أن مثـل هـذا الـزواج العقيـم مـن السـهل جـدًّا أن تنفصـم عـراه، وهـذا مـا جعـل القانـون والعـرف أن يمـيز تميـيزًا اجتماعيًّـا هامًّـا بـين الـزواج الـذي لـم ينتـج أطفـالًا وبـين ذلـك الـذي أنتـج أطفـالًا. وفي العـصر الحـاضر يوجـد اتجـاه قـوي يـرى أن الـزواج بـلا أطفـال يكـون هـو الآخـر أسرة. فنجـد أن أجبرنـا مثـلًا يُعـرِّف الأسرة بأنهـا: (رابطـة الاجتماعيـة مـن زوج وزوجـة وأطفالهما أو بـدون أطفالهمـا، أو مـن زوج بمفـرده مـع أطفالـه، أو زوجـة بمفردهـا مـع أطفالهمـا) ويضيـف إلى هـذا أن الأسرة قـد لا تكـون أكـبر مـن ذلـك، فتشـمل أفـرادًا آخريـن

٧٧ قباري محمد إسماعيل، علم الإنسان، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧٣م، ص٣٤٣

كالجـدود والأحفـاد وبعـض الأقـارب، عـلى أن يكونـوا مشـتركين في معيشـة واحـدة مـع الـزوج والزوجـة والأطفـال.

ومـن التعريفـات المشـهورة لـلأسرة التعريـف الـذي وضعـه ميـرودك الـذي يعـرف فيـه الأسرة بأنهـا جماعـة اجتماعيـة تتميـز بمـكان إقامـة مشـترك وتعـاون اقتصـادي، ووظيفـة تكاثريـة، ويوجـد بـين اثنـين مـن أعضائهـا عـلى الأقـل علامـة جنسـية يعـترف بهـا المجتمـع، وتتكـون الأسرة عـلى الأقـل مـن ذكـر بالـغ وأنـثى بالغـة وطفـل، سـواء كان مـن نسـلهما أم عـن طريـق التبـني.

والتعريـف السـابق يحـدد بنـاء الأسرة ووظائفهـا، ويـرى أن وجـود الأبنـاء ضروري لقيـام الأسرة، ويقـصر وظائـف الأسرة على وظيفتـين أساسـيتين، إحداهمـا بيولوجيـة والأخـرى اقتصاديـة، ومـن أحسـن التعريفـات الـتي وُضِعَـتْ لـلأسرة تعريـف برجـس ولـوك، فيعـرف أنهـا بأنهـا مجموعـة مـن الأشـخاص يرتبطـون مـع بروابـط الـزواج أو الـدم أو التبـني، ويعيشـون تحـت سـقف واحـد، يتفاعلـون معًـا وفقًـا لأدوار اجتماعيـة محـددة، ويخلقون ويحافظـون عـلى نمـط ثقـافي معـين(٧٨).

ويـرى برجـس ولـوك أن أي تعريـف لـلأسرة ينبغـي أن يحيـط بالنقـاط التاليـة: تتكـون الأسرة مـن مجموعـة مـن أشـخاص يرتبطـون معًـا بروابـط الـزواج، أو الـدم أو التبـني. المعيشـة تحـت سـقف واحـد مهمـا كان صغـيرًا، تتفاعـل الأفـراد وفقًـا

٧٨ مرجع سابق، ١٢٩-١٣٠

لأدوار محـددة بـدور الزوجـة والأب والأم والابـن. محافظـة الأسرة عـلى نمـط ثقـافي مسـتمد مـن النمـط الثقـافي العـام ومحاولتهـا تجديـد هـذا النمـط الثقـافي.

تختلـف أنمـاط الأسرة باختـلاف المجتمعـات الإنسـانية، وقـد درج الباحثـون في الاجتمـاع والأنثروبولوجيـا عـلي وضـع تصنيفات الأسرة وفقًـا لأشـكالها، وعـلى أسـاس قاعـدة الانتسـاب، ومحـور القرابـة والسـلطة، وموطـن الإقامـة كمـا يـلي:

مـن حيـث شـكل الأسرة النووية الـتي تعتبر النـواة الأولى للمجتمع الإنسـاني، ويطلـق عليهـا اسـم الأسرة الزواجيـة، أو الاسـم الصغـير، وتتألـف مـن الـزوج والزوجـة وأولادهمـا المباشريـن، ويحـدث هـذا الشـكل بمجـرد ولادة الطفـل الأول مـن الـزواج، وإن كان بعـض العلمـاء يذهبـون إلي أن الأسرة لا تعتـبر كاملـة إلا إذا كانـت تضـم أطفـالًا مـن كلا الجنسـين. ويحـدث في بعـض الأحيـان أن تعيـش عـدة أسر زواجيـة معًـا في وحـدة اجتماعيـة وسـكنية. ويكـون أسـاس الترابـط فيهـا وجـود زوج مشـترك بـين عـدة زوجـات، ويعـرف هـذا النـوع باسـم (الأسرة المتعـددة الزوجـات) وقـد يكـون أسـاس الترابـط وجـود زوجـة يشـترك في معاشرتهـا أكـثر مـن زوج، ويعـرف هـذا النـوع باسـم الأسرة المتعـددة الأزواج. ويحـدث أن تنضـم عـدة أسر زواجيـه في أسرة واحـدة تربـط بـين أفرادهـا رابطـة الـدم. ويعيـش أفرادهـا في وحـدة سـكنية واحـدة. يسـود بينهـم التعـاون الاقتصـادي، ويعـرف هـذا النـوع باسـم الأسرة الممتـدة أو الأسرة المركبـة أو

المتصلة، ويظهر هذا الشكل إلى الوجود حين يبقى الابن عضوًا في عائلة أبيه بعد زواجه وإنجابه أطفالًا.[٧٩] ومن خصائصها أنها تتميز الأسرة كنظام اجتماعي بالخصائص التالية هي أبسط أشكال التجمع، توجد في أشكالها المختلفة في كل المجتمعات وفى كل الأزمنة، ذلك بأن الطفل حين يولد يكون في حاجة إلى من يرعاه، النظام الذي يؤمِّن وسائل المعيشة لأفراده، أول وسط اجتماعي يحيط بالطفل ويمرنه على الحياة، كما يشكله ليكون عضوًا في المجتمع، الأسرة كنظام اجتماعي تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية، وتتأثر بها الأسرة وحدة إحصائية أي يمكن أن تتخذ أساسًا لإجراء الإحصائيات المختلفة كعدد السكان ومستوى المعيشة وظاهر الحياة والموت.

وتقوم الأسرة بعدد من الوظائف الهامة لا تقل أهمية عما فقدانه من وظائف، إذا لم تكن تفوقها ويمكن إجمالها فما يلي:

لا تزال الأسرة هي أصل نظام للتناسب، الأسرة هي المكان الطبيعي لنشأة العقائد الدينية واستمرارها، تعتبر الأسرة المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته القومية، تعتبر الأسرة بالنسبة إلى الطفل مدرسة الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية والسلوك وآداب المحافظة على الحفاظ والقيام بالواجبات.

٧٩ . آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق الدكتور نصر عازر، بيروت ١٩٥٩م، ص٩٦-١٠٠.

تعكس الأسرة على المجتمع صفاتها، فهي التي تكوِّن الطفل وتعمل على تكامل شخصيته أولًا، وتنظيم التصريف الجنسي بالطريقة المشروعة اجتماعيًّا ضمن إطار ثقافة المجتمع. تعطي الأسرة أخيرًا المراكز التي تُخلَع علينا من اسم وعنصر وجنسه وديانة ومهنة وطبقة محل إقامة. الأسرة وحدة اقتصادية متضامنة يعيل فيها الأب زوجته وأبنائه(٨٠).

الخطوبة: في معظم المجتمعات البدائية لا يختار الشاب شريكة حياته، وإنما من يؤدي تلك المهمة إما والداه وإما أحدهما، وكثيرا ما يشترك الأقارب مثل الأعمام والأخوال والعمات أو الخالات والجدود، أو جميعًا، في اختيار شريكة حياة الشاب، وفي كثير من المجتمعات البدائية التي تطبق نظام السكني مع الخال يحتم المجتمع على الفتي أن يتزوَّج ببنت خاله.٨٠ كان يوضع تبغ (التمباك) في جراب ويُسمى بلغة الميدوب (تابن توكي) ومعه (بان تاقي) ويظل يتردد هذا الجراب إلى بيت أم البنت إلى أن يبلغ ثلاثة جرابات، وكل جراب يحتوي على التبغ ولفة من قماش الدمورية نحو ٢٤ مترًا، ومعها بعض الأشياء من السكر والشاي إلى الخالات والعمات، وتقوم بها والدة الخاطب، وبعدها يجتمع أعمام البنت للنظر إلى كل الجرابات الثلاث، وبعد مشاورات يُختار واحد من الجرابات وتُقسَّم لفة الدمورية بينهم، ويختار أحدهم ليكون وليًّا للبنت في تزوجيها وإكمال

٨٠ .الرشداني، عبد الله، علم الاجتماع التربوي، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، شارع البتراء، ١٣٠-١٣٢

مراسـم الـزواج بـدلًا مـن الأب، ويُدخَّـن التبـغ في الاجتمـاع، ويُناقَـش هـل بـين العائلتـين خلافـات قديمـة أم لا؛ إن كانـت موجـودة تُحـلُّ قبـل البـدء في مراسـم الـزواج، وفيهـا عقوبـات ومنهـا يُحـدَّد يـوم الـزواج مـع ولي الـزوج، وتُسـلَّم البنـت إلى زوجهـا. ويتـم الـزواج للبنـت في مجتمـع الميـدوب في سـن الخامسـة عـشرة، وتؤهَّـل للـزواج مـن قِبـل والدتهـا وقريباتهـا، ويقـلُّ خروجهـا مـن البيـت والذهـاب أحيانًـا لجلـب المـاء مـع نسـاء الحـي. وقبـل اليـوم المحـدد للعـرس يُبـنى بيـت الزوجيـة في بيـت أهـل العـروس مـع تجهـيز المشروبـات البلديـة (كوقـر) والذبائـح مـن الإبـل والضـأن، ويـوم الـزواج تبـدأ بالرقصـات الشـعبية السـجو- الأيـري... إلـخ مـن الألعـاب الشـعبية عنـد الميـدوب ويحمـل العريـس مـن بيتـه مـع أصدقائـه عـلى ظهـور الجمـال البشـاري، وتتقدمهـن أخـوات العـروس وقريباتهـا، وعنـد الاقـتراب مـن مـنزل العـروس يبـدأ سـباق الهجـن، وفي أثنـاء الدخـول إلى قطيـة العـروس يمتنـع العريـس عـن الـنزول مـن ظهـر الجمـل، فيمنـح إخوتـه ووالدتـه وأخوالـه وأعمامـه وأصدقـاؤه الهدايـا مـن الإبـل والضـأن، وبعدهـا يـنزل عـن ظهـر جملـه، وأيضًـا يُمنـع العريـس مـن الدخـول إلى قطيـة العـروس، ويقـدم والـدة العـروس وأخواتهـا وعماتهـا الهديـة للعـروس، ومنهـا يسـمح للعريـس بالدخـول معلنًـا انتهـاء الـزواج بالدعـاء بالذريـة الصالحـة مـن الأبنـاء.

وتتـم الخطوبـة عنـد الميـدوب منـذ اللحظـات الأولى لـولادة الطفلـة، وذلـك بربـط خيـط في يـد المولـودة أو سـوار مـن

الخـرز في خـصر الطفلـة المولـودة حديثًـا بمعـنى هـذه زوجـة ابـني المسـتقبلي.

الحمـل: تختلـف موروثـات الشـعوب والأمـم في العـادات والتقاليـد الاجتماعيـة المتعلقـة بالحمـل والميـلاد والـزواج والوفـاة.

يقيـم الـزوج في بيـت والـد العـروس البنـت بعـد زواجهـا مـدة عـام كامـل، وخـلال هـذه المـدة إن لـم يحـدث حمـل فعليـه الـزواج بأخـرى. وعنـد حـدوث الحمـل تُخفـي حملهـا عـن زوجهـا كنـوع مـن الـدلال، وتتحـاشى الحامـل ملاقـاة أهـل زوجهـا وتختـبئ منهـم خجـلًا، وخاصـة عندمـا تـلاقي في طريقهـا الشـخص الـذي سـفك دمًـا في السـابق ويُسـمى (المرقـوب) بمعـنى القاتـل، عليهـا الاختبـاء منـه لـكي لا تنظـر إليـه، وإذا نُظِـر إليـه فهـذا نذيـر شـؤم لـلأم والجنـين، وربمـا تـؤدي إلى الإجهـاض، لـذا تحسـبًا لمثـل هـذه الحـالات تعـد مشروبًـا مخلوطًـا بدقيـق الدخـن الأحمـر ومجففـة من بـاقي ماء الشـخص القاتـل، حـتى إن كان فـردًا مـن أفـراد الأسرة، بحيـث ترعاهـا الأم وتحضِّرهـا لهـا لشربهـا، وعمـل الكثـير مـن الطقـوس لحمايتهـا مسـتقبلًا.

الميـلاد: عنـد شـعور البنـت بألـم المخـاض تبلـغ والدتهـا الدايـة بالحضـور ودعـوة المقربـين مـن الخـالات والجـيران، وتذبـح شـاة وتدعـو الله أن تحـل بالسـلامة مـع طفلهـا باللغـة الأم. ولا تسـمع أنـين البنـت في أثنـاء الـولادة، لأن ذلـك يـؤذي

والديها وكل أفراد أسرتها ويجلب لهم العار بين الأهل، خاصة أهل الحي، حفاظًا على كرامة وسمعة أبيها، ولا يسمح لوالدة الزوج وبناتها بدخول قطية الولادة، وتكونن في الخارج مع بقية النساء لأن من العيب أن ترى والد الزوج ما بين فخذيها. وعند تعثر الولادة تقرع النساء أغطية حلل الطعام لتصدر أصواتا، والغرض من ذلك تسهيل عملية المخاض العسير للبنت، وتوضع ذرة بيضاء (قدم الحمام) في ماء وتنثر على الأرض مع الدعاء والتوسل إلى الله أن تكون الأم بسلام مع جنينها. بعد عملية فصل الحبل السري للطفل تسلم المولودة أو المولود لوالدة الأم "الحبوبة"، لكي تدهنه بالزيت وتلفه في قماش نظيف. وتزغرد إحدى النساء بإعلان المولودة أو المولود لتعم الفرحة والسرور للكل. وتُقدَّم الهدايا للأم والداية إضافة لفخذ الذبيحة يوم السماية، ويُقدَّم للأم النفساء الشاي الأخضر الساخن ولبن الإبل، إضافة إلى مديدة الدخن مع العسل والسمن مدة أربعين يومًا.

بعد خلو المنزل وهدوء حركة الناس، تحمل أم النفساء أو جدتها الوعاء الذي حفظت به مخلفات الأم المشيمة وتحفر حفرة في خلفية البيت الذي ولدت به الأم النفساء، وتستحم الأم وتربط حول عنقها أحجبة للتحصين من العين والحسد، وبعد أن يتم اليوم السابع تُساوى الأرض وتُنثر الذرة أو الدخن فوقها ورشها بالماء إلى أن تنبت مع الدعاء والتوسل بأن يكون المولود من حامي القبيلة وفرسانها إن

كان ذكـرًا، وتكـون الدنيـا عليهـم خـيرًا وبركـة وبارين بوالديهمـا.

ميـلاد التـوأم: تختلـف المـرأة الـتي تنجـب التـوأم كغيرهـا مـن النسـاء في المعاملـة، بحيـث يلازمهـا الـزوج مـدة ثلاثـة أشـهر، ولا تمـارس أي نشـاط مـن الرعـي والأعمـال المنزليـة، وينـوب عنهـا أقاربهـا وبنـات خالتهـا، اعتقـادًا أن خـروج الزوجـة مـن المـنزل قبـل المـدة المحـددة يجلـب النحـس ويجفـف الـزرع والـضرع. بحيـث يعلـن طوطـم أهـل الزوجـة وليمـة كبـيرة بنحر الإبـل وذبـح الذبائـح تُسـمَّى باللغـة المحليـة (أوكي أولان) أي إخراجهـا مـن البيـت، وتقديـم الهدايـا للتوائـم والأم، وتُفـرَز الهدايـا المقدمـة عـلى حـدة مـن جانـب أهـل الـزوج والزوجـة، وتشـاهد النسـاء. بعـد صـلاة الصبـح ينحـر الشـباب الإبـل ويذبحـون الذبائـح ويطهونهـا. ويحلـق والـد التـوأم شـعرهما، ثـم يسـتحم ويرتـدي الملابـس الجديـدة خاصـة، ويصطـف أهـل الـزوج والزوجـة في صفـين متوازيـين لاسـتقبال الضيـوف مـع أصدقائهـم يسـمى (تابـار) بمعـنى الوزيـر، حاملًا معه سـيفًا ودرقـة، وتبـدو أقـرب للرقـص، وتزغـرد النسـاء عـلى إيقـاع الكـير النقـارة. وبعدهـا تبـدأ سـباق الهجـن إلى وقـت وجبـة الغـداء وفي هـذه الأثنـاء يختفـي الـزوج فجـأة مـن مـكان الاحتفـال تـاركًا الشـباب في حلقـة المبـارزة، وعندمـا تعلـو الزغاريـد مـع صـوت النقـارة يتوقـف الشـباب عـن المبـارزة إيذانًـا بإعـلان قـدوم الأم مـع التـوأم، ويعـم المـكان الهـدوء والصمـت، وبعـد مـضي وقـت قليـل تتقـدم الأم حاملـة أحـد التـوأم، ويرافقـه الوزيـر متقدمًـا الـزوج حاملًا أحـد التـوأم وخلفهـم

أهـل الزوجـة والشـباب والشـابات مـن المعـارف وأهـل الحـي يحملـن فروعًـا خـضراء يلوحـن ويرقصـن ويسـتمر الموكـب في التقـدم مـع إيقـاع النقـارة والزغاريـد والأدعيـة بحفظهـم حـتى يصـل الموكـب إلى سـاحة الرقـص يتقـدم شـخصان مـن أهـل الـزوج والزوجـة حاملـين قماشًـا أبيـض، ولـف التـوأم بقمـاش ذي لـون أبيـض، وتمـضي اليـوم بأكملـه في الرقـص والمبـارزة، وصبـاح اليـوم التـالي تتجمـع الصديقـات والأهـل والجـيران وهـنَّ يحملـن جـوالات فارغـة للتـبرك.

ايريـدني أوود: الإيـرد نـوع مـن الأعشـاب البريـة الـتي تنمـو في مناطـق جبـال الميـدوب وتمتـاز بالمتانـة والقـوة، وتنسـج في شـكل بـروش ويُبـنى بهـا البيـت، وهـذا البيـت معـد خصوصًـا لأم التـوأم خـلال العـام، لزامًـا عـلى الـزوج أن لا يمـارس الجنـس حـتى تكتمـل مراسـم إخـراج الزوجـة وتوائمهـا.

وفي اليـوم الـذي يُحـدَّد لإخـراج الزوجـة والتـوأم، يُدعـى الـكل مـن الجانـب الأمومـي والأبـوي، والاحتفـال والوليمـة يقـوم بهمـا الجانـب الأمومـي للزوجـة، وتكـون الزوجـة والتـوأم في داخـل بيـت الإيـرد مـع وزيراتهـا والأب خـارج البيـت، ويكـون مرتديًّـا اللـون الأسـود ويتقلـد السـيف والدرقـة، وقبلهـا يُختـبَر الـزوج بأنـه لـم يمـارس الجنـس طيلـة هـذه المـدة، وذلـك بـأن يذبـح شـاة سـوداء اللـون ويسـلخها وحـده مـن دون أن يعاونـه أحـد، فـإذا فعـل ذلـك فيعـني هـذا أنـه لـم يمـارس الجنـس، وإذا امتنـع فيكـون قـد مـارس الجنـس ويعاقـب بعقوبـة ماليـة

بعـدد مـن الـثروة الحيوانيـة نتيجـة الخيانـة. ويبـدأ الاحتفـال بـضرب النقـارة ولعـب رقصـة البـازا ويحـاول الـزوج دخـول بيـت الإيـرد، فيُمنَـع بالقـوة مـن أهـل الزوجـة، وتتـم المبـارزة بالسـيف ويقتحـم البيـت، وبدخولـه تخـرج الزوجـة ومعهـا وزيراتهـا، ويتقدمهـم الـزوج ويـدورون حـول البيـت ثـلاث مـرات.

السماية أو السبوع: في اليوم السابع تُذبح الذبائح على حسب الوضـع المـادي والاقتصـادي والاجتماعـي، وتقـدَّم الدعـوة للجميـع وللأحيـاء المجـاورة، يسـمى المولـود ذكـرًا كان أم أنـثى، ويحتفلـون بقـدوم الإنـاث أكـثر مـن الذكـور اعتقـادًا منهـم بـأن البنـت تزيـد مـن أعـداد طوطـم الأهـل وتُكـبِّر القبيلـة، والمثـل السـوداني يقـول: "المـرأة تنجـب ألـف قبيلـة، أمـا الرجـل فـلا"، وتنحـر لهـا الإبـل.

الكورونـدي: المولـود الـذي يـأتي بعـد التـوأم ذكـرًا أم أنـثى، وتتشـاءم منـه كل القبيلـة، ويذهـب بـه والـده بعـد الـولادة مبـاشرة إلى مـكان نـاءٍ في أطـراف القريـة لا توجـد بهـا حيـاة لدفنه ورص الحجـارة عليـه خوفًـا مـن أن تُصـاب القبيلـة بالنحـس والنذيـر الشـؤم.

ختـان الذكـور: يُخـتَن الولـد الذكـر في عمـر السـبعة أعـوام في البيـت وليـس عنـد الطبيـب في مجموعـة كبـيرة بواسـطة شـخص متخصـص كل مـا يحملـه أمـواس جديـدة يضعهـا في جيبـه لإخفائهـا مـن الصبيـان الذيـن سـيُختَنون، وفي اليـوم المحـدد

يُجمعـون في بيـوت إحـدى الأسر بعـد أن ارتـدوا الملابـس الجديـدة، وكل حمـل سـيفه وتـروي لهـم قصـص الشـجاعة وبطـولات الأجـداد، وتبـدأ عمليـة الختـان واحـدة تلـو الأخـرى في غرفـة مغلقـة يُدخَلـون واحـدًا بعـد واحـد بعيـدًا مـن الصبيـة الآخريـن، ولا يُسـمع لهـم صراخ، ويحمـل بعـد ختانـه مـن بـاب آخـر حـتى لا يـراه بقيـة الصبيـة. ويربـط لـه في سـاعده الأيمـن سـكينًا إيذانًـا بأنـه أصبـح رجـلًا كامـلًا، وعنـد التبـول يُغـرس لـه السـيف أو الحربـة في الأرض، وعليـه أن يتبـول في خـط مسـتقيم كالسـيف، ولـكي يفتخـر بـه أولاده الأخـوال يُهـدى إليـه الهدايـا مـن الإبـل والبقـر والضـأن، وبعدهـا يتقـدم الأعمـام كذلـك بتقديـم الهدايـا رافعـين سـيوفهم إلى الأعـلى، وهديـة الخـال أقيـم مـن هديـة الأعمـام أمـا القرابـة مـن الدرجـة الثانيـة يقدمـون الهدايـا الـتي لا تسـاوي هديـة الخـال والعـم.[٨١]

المبحـث الثـاني: الطقـوس العـادات والتقاليـد عنـد الميـدوب الكنوس

نجـد تأثـير التيـار المسـيحي في بعـض العـادات والتقاليـد عنـد الميـدوب، فمـا زالـوا في بعـض عاداتهـم نجـد قداسـة الصليـب في بنـاء البيـت، في البـدء تأخـذ شـكل الصليـب، وفي الأعيـاد يمسـحون عـلى جبـاه الأطفـال بالزيـت، ويتسـابق الأطفـال في الصبـاح إلى أخـذ البركـة خوفًـا مـن الحسـد وأن يباركـه الله، وتمارسـه النسـاء المسـنات في العمـر باللغـة الأم (تـلي نيـه نـان

٨١ عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ص ١٨٧

أيرتين أوريه أوليه) أي يجعلك الله موفقًا دائمًا أمام أقران أقرانك. ومن آثار المسيحية أيضًا في العادات السودانية الاجتماعية الحرص على الاحتفالات بأعياد شم النسيم، جنازة الأربعين، والمسيحيون ولا سيما الرهبان والأساقفة يلبسون الملابس السوداء، وما زالت بعض القبائل السودانية تلبس السواد في الحداد على موتاهم تأثرًا بهم.

طقس تجليد الكير أو النقارة:

نسبة إلى الطقوس المشتركة بين طوطم التستي (الذئب) والإيرديدي (الخنفساء) ويغلِّفونه بجلدين؛ الأول من جلد شاة من التستي، وذكر الماعز من الإيرديدي، الجانب الأكبر يُغلف بجلد الذكر والجانب الأصغر بجلد الشاة، لأنه في بداية فصل الخريف إن كان هناك ثقب سوف تأتي بالأعاصير والرياح الهوجاء وذهاب المطر، وكانوا حريصين جدًّا على تغليفه حتى لا تذهب به الأمطار.

طقس إنزال المطر:

ويؤديه شيخ يدعى (إيسي أينقرو) ويربط رأسه بقطعة من القماش ولا ينزعها إلا بعد موسم الأمطار التي تستمر نحو الأربعة أشهر قبل نزول الأمطار بالمنطقة. تستعد كل أفراد القبيلة قبل موسم الأمطار بحفر الآبار والبرك؛ تسمى محليًّا بـ(الكورنجي) لاستقبال مياه الأمطار وحفظها، وتوفر لهم الثمار البرية من الكلأ والعلف الوفير لحيواناتهم، فعند

بدايـة موسـم الأمطـار يبـدأ (التويـدي) العـراف (سـينقرا) في تحديـد نـوع معـين مـن الثـور، ولـشيء كان يعلمونـه إنهـا تظهـر سـنويًّا في وسـط ثروتهـم الحيوانيـة كقربـان، فعندمـا يُحـدَّد مـن قبـل العـراف يتحـرك وحـده مـن دون أن يقـود أحـدًا إلى أعـلى قمـة جبـل (تـورتي آنـدو)، وكل القبيلـة مجتمعـة عـلى أعـلى قمـة الجبـل، فعنـد رؤيـة الثـور مـع العـراف يعـم الصمـت كل أرجـاء المـكان، ويُقـدم الثـور مـن الأسـفل إلى الأعـلى حـتى القمـة دون إرشـاد، ويبـدأ الجميـع بدعـاء طقـس المطـر، ويـضرب ضاربـوا النحـاس إيقاعـات محـددة، ويشـيد البعـض زريبـة مـن القـش والحطـب حـول الثـور، وآخـرون يتراقصـون عـلى إيقـاع النحـاس وترانيـم الدعـاء حـتى منتصـف الليـل، وفي تلـك الأثنـاء ينضـم ضـاربي الكـير (النقـارة) ويلتهـب الرقـص الطقـسي الخـاص بإنـزال المطـر، ويُذبـح الثـور ويُشـوى لحمـه، ويُقطـع إلى قطـع ويُـوزع لحمـه عـلى كل الحضـور، ويُقطـع جلـده إلى سـيور رفيعـة وتربـط في الأيـدي، وتتشـابك الأيـادي ويبـدأ الرقـص الطقـسي مـرة أخـرى والتوسـل إلى الإلـه بإنـزال المطـر حـتى صبـاح اليـوم.

بعـد نـزول الأمطـار وهطولهـا يـأتي العـراف ومعـه أعوانـه لإنـزال الدلـو في البـئر ومعـه زوجتـه، ولديهـم طقـوس معينـة يؤديهـا، وإذا لـم تنجـح هـذه الطقـوس سـوف تمـوت كل الحيوانـات بتسـمم العشـب.

طقس تذوق الماء (أوشي تنقرا):

وتتـم في منطقـة شـخاخة، وتوجـد بهـا بـئر، فيذهـب الجميـع إلى البـئر والمبيـت عندهـا وإغلاقهـا بمنـع الـشرب منهـا، وفي الصبـاح الباكـر يـأتي شـخص يُدعـى (تيميـد) بمعـنى زراف، وهـو يحمـل دلـوًا ينزلـه في البـئر وسـحب المـاء منهـا وتذوقهـا، ثـم تتقـدم زوجتـه جميـع الحضـور وتتـذوق المـاء كمـا فعـل زوجهـا، وهـي تحمـل سـعنًا مـن جلـد أنـثى الماعـز، وتسـكب المـاء المتبقـي مـن الدلـو في حـوض مصنـع مـن الخشـب لسـقي صغـار الماعـز السـخل، وفي الآخـر للبهائـم، وذلـك حمايـة للحيوانـات مـن التسـمم.

طقس قربان العشب (بارون باه):

وهـي قربـان خـاص لمطـر الصيـف، وتعـرف بقربـان العشـب، وبذبـح سـخل الماعـز بالقـرب مـن حجـر إلـه المطـر، وعنـد إراقـة الـدم يبـدأ الجميـع بالتوسـل إلى إكثـار العشـب بالإنبـات وثمـار الأشـجار البريـة فقـط. ولزيـادة ثمـار القضيـم واللالوبـة والنبـق يُذبـح كبـش ذو لونـين بالأسـود والأبيـض في بداية هطول موسـم الأمطـار لمكافحـة الحـشرات والآفـات الزراعيـة وشـح الأمطـار، ويقـوم بـه شـخص معـين يسـكن بالقـرب مـن جبـل (آوآر) المقـدس، ولا يخـرج مـن مسـكنه ولا يتحـدث مـع أحـد، طعامـه وشرابـه اللـبن الحامـض فقـط، ويُذبـح كبـش أو حمـل أسـود اللـون، وتبـدأ بـضرب النقـارة ضربـة واحـدة، ثـم تليهـا إيقاعـات متكـررة (كـر، كـر، كـر)، وفي اليـوم الثـاني نفسـه تبـدأ الأمطـار بالهطـول بغـزارة أكـثر مـن سـابقتها. عندمـا تصيـب

الآقات الزرع والأعشاب يحمل وعاءً مصنوعًا من الخشب، ويحمل فيه لبنًا حامضًا حُلِبَ من بقرة معينة، والخروج فجرًا قبل شروق الشمس ويخرج معه عصاه والنظر إلى أكبر قندول للدخن أو الذرة المصابة والنقر عليه بعصاه بنقرة واحدة ولا يكررها، والطريقة الثانية تقوم بها امرأة وتعرف عندهم باسم (سي إن إيدي) أي امرأة الخريف، مهمتها محاربة الديدان، تبدأ صومها من الليل ولا تكلم أحدًا وفي الصباح تحمل عصاها، وتذهب إلى الزرع وهي على صومها، وتكسر عددًا من القناديل المصابة وتضربها ضربًا شديدًا حتى تختفي كل ديدان الأرض.

طقس (باندنقا):

وهو طقس خاص بالرعاة في منطقة (بطران) في بئر (كندول) بالقرب من منطقة السريف بعد غزو المهدية لجبال الميدوب بإيعاز من الأمير بقيادة عثمان جانو ونهب كل ثرواته، فوجدوا في إحدى الأودية سخلة (بارون) وحيدة جائعة تبحث عن أمها، فذبحوها قربانا للإله (بارون باه) أي غير معروفة المصدر أكانت إلى الله أم إلى إبليس، وارتبط السخل من ذلك الوقت بطقس العشب، وفي منطقة بطران توجد تماثيل ضخمة تشبه الإنسان في هيئتها. أما الأحجام فهي ضخمة والأخريات تشبه الأحذية بأحجام مختلفة وتسمى (تلي أولي) تلي الله أولي بضم الألف بالتشديد أي بمعنى حجر الإله، وسكب اللبن له طقس، سكب اللبن

يمارسه الأطفال الذين يمارسون رعي الأغنام عند ذهابه إلى البئر للسقي بهائمهم إلى يومنا، هذا بالرغم من تحذيرات رجال الدين بذلك.

طقس قربان جبل أوريا:

يُختار كبش، وبعد سقايته في أسفل الجبل، يصعد الكبش وحده دون عون من أحد في المكان المخصص لتقديم القربان ويذبحها الحضور، عظامه تترك في أعلى الجبل ويؤكل لحمه بشوائه وليس بطبخه، بغرض جلب الأمطار ومضاعفة الثمار.

طقس التيس الرمادي:

يقام الطقس في رهد وادي السنيط بالقرب من جبل مقرآن، ويؤديه شخص من طوطم القرد (آرنقيدي) وهو لزيادة معدلات مياه الأمطار، يُشقُّ بطن التيس حيًّا ويُلقى في داخل الوادي، وفي صباح الغد يجف ماء الرهد وتبتعد الحيوانات من الزرع الأخضر.(٨٢)

طقس إله الثور (كوود كوجو):

وهو طقس خاص بالصحة والعافية للبشر والحيوانات، يقام الطقس في أعلى قمة جبل (كوود كوجو)، بالقرب من (جبل آدرور) في شخاخة المقر الملكي للميدوب، ومقر

٨٢ . هدى مبارك ميرغني، مدخل دراسة الثقافة السودانية، ص ٧٩.

للعبادات في معبد بوهين، ويعني العبادة بلغة الميدوب، وتأتي مسؤولية تقديم قربان الثور طوطم (الإيرديدي) أم الجعران، فيُؤتى بالثور تحت أسفل الجبل فيصعد طوعًا دون تقييد أو يرافقه شخص للعود للجبل، فيجتمع الناس في قمة الجبل لقضاء الليل وممارسة طقس الثور، فيتحرك الثور ويتغير لونه بتأثير النور الساطع القادم من السماء، وتُراقب تحركات الثور إلى أن يصل قمة الجبل، وعند ظهور النور الساطع يعم الصمت الرهيب كل أرجاء المكان، ويبدأ الجميع بالدعاء لاعتقادهم بظهور الإله أو قدومه من الأعلى، ويُسمى إله الثور (البادنقا) فيسقط النور على جسم الثور فيقع مغشيًّا عليه، ويُذبح بسرعة ويلتف الجميع من حوله وتبدأ إيقاعات النحاس وتصاحبها الرقص الطقسي بالدعاء والصحة والعافية للجميع وللمرض، والذين لم يتمكنوا من الحضور تحمل لهم قطعة من جلد الثور ويرتدوها في المعصم أو الرقبة، ويدعون بالخير الوفير وكثرة الأمطار، وكل من له حاجة في نفسه يدعوا بها في أثناء ظهور الإله، وبمجرد انتهاء الطقس في الصباح يبدأ سباق الخيل والهجن، وبعدها يأتي ويعم الخير والرخاء كل أرجاء جبال الميدوب. فالذين شاهدوا النور الساطع يكونون في شكل دائري بحجم الشمس لدرجة تأثيره في العين، حتى الرعاة في الخلاء الذين لم يتمكنوا من الحضور شاهدوا النور الساطع الذي بدأ يظهر اليوم في أماكن من جبال الميدوب، ففي الاعتقاد المجتمعي أن إله البادنقا ارتحل من جبل كوود كوجو

إلى أماكـن أخـرى. وفي لقـاء أجـراه طالـب الماجسـتير بجامعـة الخرطـوم معهـد الدراسـات الآسـيوية والإفريقيـة المرحـوم عـلي يوسـف آدم مـع الشـيخ أبكـر إبراهيـم سـليمان شـيخ منطقـة بطـران في مـارس عـام ١٩٩٨م عـن الكنـوس، ذكـر لـه أنـه لا بـدَّ مـن تقديـم الكنـوس لـه لمـرض الكثـير مـن النـاس وموتهـم، وكذلـك البهائـم، وجفـت الـزروع والينابيـع لقلـة الأمطـار، ولهـذا اضطـروا إلى تقديـم قربـان لهـا أسـفل الجبـل، وفعـلًا ظهـر الإلـه واسـتقر في جسـم الثـور، وذُبِحَ وقُطِّعَ جلـده للجميـع، ولكـن مـع منظومـة الدولـة الإسـلامية أجـبر وأرغـم النـاس عـلى عـدم ممارسـة كل الطقـوس (الكنـوس) وأصبـح بالأعـلى الجميـع بالمـرض والقحـط. وتحـدث مالينوفسـكي في نظريتـه في تفسـير الثقافـة وعلاقتـه بلـب المجتمعـات المحليـة ومعتقداتهـا والقائمـة أساسًـا عـلى الحاجـات الأساسـية والاحتمـالات المتعـددة والمتنوعـة لإرضائهـا، وإشـباعها مـع الاهتمـام بوجـه خـاص بالجانـب الوظيفـي الـذي يمـيز الظاهـرة في كل مجتمـع، وفي نظـره مـا هـي إلا مجموعـة كبـيرة مـن الوسـائل الماديـة وغـير الماديـة الـتي تعـين الشـخص عـلى مواجهـة ومعالجـة المشـكلات الـتي تقابلـه في الحيـاة، وتلـك المشـكلات تبـدأ برغبـة الإنسـان في تحقيـق وإشـباع حاجاتـه الأساسـية كالطعـام والإشـباع الجنـسي، والوقايـة مـن الأخطـار وغيرهـا مـن الحاجـات الضروريـة والثانويـة الـتي لا يمكـن أن تتحقـق إلا في بيئـة الثقافـة ذات الاسـتمرار والـدوام والتجديـد

والطـرق والممارسـات المرئيـة ذات المعايـير الخاصـة ([٨٣]) الـيت ترسـخ مفاهيـم النـاس ومعتقداتهـم تجـاه الصحـة والمـرض في المجتمعـات المحليـة. فـكان الملـك (بـارن بـاه) ملـكًا مـن ملـوك الميـدوب، ويسـمى اللاعـن، ويسـتمد قوتـه مـن الكنـوس، ويُـروى عنـه أن شـخصًا سرق بهائمـه، فأغضبـه ذلـك بشـدة وأخطـروا النـاس السـارقَ ونصحـوه بـأن يذهـب ويعتـذر لـه حـتى لا تصيبـه اللعنـة، وأنـه اليـوم في البـئر يسـقي مـع الرعـاة بهائمـه، ذهـب إليـه وسـاعدهم في السـقي وأسـعد ذلـك الملـك كثـيرًا وشـكره، فطلـب منـه أن يعفـي عنـه، لأنـه في السـابق سرق بهائمـه وذبحهـا، فبصـق عـلى أحـد الأحجـار الموجـودة بالقـرب منـه، فانشـطر إلى نصفـين والحجـر موجـود إلى يومنـا هـذا، ومعـروف باسـم حجـر الملـك بـارن بـاه في منطقـة (أنجـرو).

جرس الرونقا:

وهـو جـرس موجـود عنـد شـخص معـين، والغـرض مـن ذلـك إذا سرق أحـد مـا أو ارتكـب جنايـة أو جريمـة يُحـضَر المتهـم أمـام جمـع غفـير مـن النـاس في جلسـة كبـيرة تحـت ظـل شـجرة السـيال في داخـل الـوادي في منطقـة بطـران، وعليـه أن يعـترف حـتى لا يُقـرَع لـه الجـرس. في حالـة جريمـة الزنـا يجتمـع الجميـع تحـت الشـجرة ويُتـلا القسـم التـالي: تميـدا كورينيـه كشـيديه أونانـو، أوجـي تويـن أوريـه تيـدي أونانـو، بـولا توقوجـودي بـوزا كورتيـه أونانـوا، أورهنجـي بوليـه آشـيدي أونانـو، كـودي

٨٣ ١. إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية، الجامعة الأردنية عمان، ١٩٨٢م، ص١٩٠.

سارا توقجانون كول آديه أونانو. الفيل من كبره ليس له دقن، الحمار دومًا في مقدمة القطيع وليس له إناء يُحلَب به، الكلب من نحافته جلده لا يمكن أن تصنع فروة منه، شجرة المخيط لامعة ولا لحاء لها، جلد الثعبان لا يُصنع منه السوط أو الكرباج، الفخار الذي يُغلَى به اللبن لا يوجد تحت الإناء قشرة، الحمار الأعرج ذو الخشم الأسود يضيع البلد. وبعدها تُسلَّم الجلسة للرئيس ويقول له: أنت الآن أمام الجميع، وتُلِي عليك القسم، ارتكبت الجريمة أم لم ترتكبها؟ إذا قال نعم واعترف تُخفَّف عنه العقوبة. وأذا أنكر يُحضر له (سوزي تي) وهي القلة التي يُصنع منها زيت القطران من بذرة الحنظل البري، يقسم به ويقول: هذا الكهف أو المغار وحده يراك. وفعلًا إذا كان مرتكبًا للجريمة في لحظتها ينتفخ بطنه وبالموت البطيء تدريجيًّا حتى لو طال أيامًا.

المبحث الثالث: طقوس البازا

يعتبر من أكبر وأهم الطقوس المندثرة عند الميدوب وأقدم رحلة حج إفريقي، وأوقفت من قبل الملك محمد الصياح جامع تقريبًا في العام ١٩٣٧م، وتصنف من طقوس العبور، ويُعمَّد الشباب الذين بلغوا سن الرشد وعليهم تحمل أعباء الأسرة والقبيلة، والبازا تعني بلغة الميدوب الرقص، والكلمة تتكون من مقطعين (با - ازا) وتعني لن يلحق الابن مقام الأب ما لم يجتز مهرجان البازا. والبازا

مهرجـان طقـسي عنـد الميـدوب الهـدف منـه تأهيـل الشـباب لمرحلـة الرجولـة والنضـج. عندمـا يقـارب عمـر الصـبي السـابعة عـشر يسـتعد للمشـاركة في طقـس البـازا قبـل أن يُعتمـد رجـلًا وفارسًـا مـن فرسـان القبيلـة ولمـرة واحـدة في حياتـه، ويرتبـط الطقـس بقيـم اجتماعيـة وسـلوكية وبطابـع طقـوسي قرابيـني، ولزامًـا عليـه أنـه لـن يـتزوج إذا لـم يعـبر بطقـس البـازا، وخاصـة عنـد موتـه تقـل مراسـم تشـييعه لعـدم ذهابـه إلى البـازا، وتصـل إلى حـد التجاهـل، ويبـدأ الطقـس في موسـم الحصـاد وينتهـي بقـدوم فصـل الشـتاء، ويسـتمر الطقـس مـدة شـهر كامـل، وتكـون في الليـالي المقمـرة مـن أغسـطس، ويُسـتعدُّ لـه قبـل ثلاثـة أشـهر، إذ يطـوف المشـاركون خلالهـا عـلى مختلـف مناطـق جبـال الميـدوب الحـارة، جبـل، عيـسى، دار ضيفـة... إلـخ. وبإطالـة شـعر الـرأس ويضفـر في ضفائـر طويلـة تنسـدل عـلى الكتـف، وعـلى كل الشـباب المشـاركين لبـس زي خـاص بالطقـس، عـدم ارتـداء اللبـاس الداخـلي، الابتعـاد عـن النسـاء، وأن لا يذبـح أي حيـوان إلا عنـد نهايـة طقـس البـازا، وضـع قـرط في الأذن، خروبـة في الأنـف، ويضعـون الأسـورة ذات الألـوان الحمـراء حـول معصـم اليـد بمختلـف الألـوان، والحجـول الفضيـة في الأرجـل، إضافـة للزمـام في الأنـف، ويرتحـل الصـبي المشـارك الارتحـال مـن بيـت ذويـه والتوجـه إلى معسـكر في البريـة مـع المشـاركين الآخريـن تسـتمر مـدة شـهر أو شـهرين، يعتمـدون فيهـا عـلى الإعاشـة عـلى أنفسـهم. ويلتقـي الصـبي بذويـه في المهرجـان الطقـسي وتبـدأ الاحتفـال بتقسـيم شـهر

أغسطس إلى اثنين (باسي) وتعني الليالي المقمرة و(أوري) الليالي المظلمة، وفي توقيت البازا يحرص الشباب المشاركين عدم المشاجرة، لاعتقادهم بأن المشكلات تعرض صبي البازا لمستقبل سيئ، وكذلك الحضور عدم شرب الخمر وممارسة الجنس أو التحرش أو قتل طير أو أي حيوان آخر سوى القرابين التي تقدم كقرابين للإله في الجبل المقدس.

ومن الصفات الالتزام بالقيم الأخلاقية، وتعد مرحلة البلوغ والمراهقة التي يمر بها صبي البازا من أصعب المراحل العمرية لما تحيط به الكثير من المشكلات النفسية والتربوية، ولا يجمع صبيان البازا القرابين من أحيائهم بل من قرى أحياء أخرى مجاورة وهم ينشدون أغاني البازا.

والقرية التي يأتي إليها صبيان البازا ويمرون بها يتفاءلون بهم. ويقدمون لهم الضأن والماعز تبركًا بهم وخوفًا من أن تُصاب ماشيتهم وحيواناتهم بالمرض أو يصيبهم الفقر. حين مقدمة صبيان البازا على الحي أو القرية يبدأ قرع النقارة بإيقاعات محددة يعرفها الجميع في كل مناطق جبال الميدوب بمنزلة إعلان قدوم صبيان البازا ويرقص الصبية برقصات على طريقة معينة بضعة من الوقت مع إيقاع النقارة كناية عن النحس الذي سيصيب أهل القرية في عدم تقديم القرابين. ومن الشيء المتبع عادة أن يعد أهل القرية أجود ما لديهم من الضأن والماعز تقربًا وتيمنًا في زيادة الخير.

وترقـص فتيـات القريـة مـع صبيـان البـازا وهـن يحملـن المـاء ويتراشـقن بهـا مـع صبيـان البـازا، ولصبيانهـم حـق اختيـار مـن تـروق لهـم مـن الفتيـات لخدمتهـم، وذلـك بلمس الفتـاة بطرف العصـا، ولا أحـد يعـترض ذلـك بقولهـم جميعًـا (اختارتـا البـازا) ولزامًـا عليهـا الذهـاب، والفتيـات الأخريـات ينضممن ويُشـاهدن واللعـب (السـيربا) وأكثرهـنَّ معجبـات بصبيـان البـازا. يجتمـع أهـل الحـي، خاصـة الفتيـات الـلاتي يرغـبن في الـزواج، والنسـاء الـلائي يرغـبن في الحمـل والمـرضي الذيـن يطلبـون الشـفاء، وكل يحملـن أوعيـة بهـا دهـن تسـمى كـبروس البـازا، تصنـع مـن السـعف، فتضـع الدهـن حـول جسـمها ويدلكهـن صـبي البـازا ويمسـح الدهـن في أجسـادهن للتـبرك مـن حيـث الاعتقـاد في صبيـان البـازا.

نموذج من أغاني البازا:

جئنا لنرش أنفسنا بالماء تذكارًا للأجيال السابقة

من أجل التراشق بالماء

نحتفل هذا العام

في سبيل الإله الذي نبحث عنه

ولا نعرف ابن الإله الأكبر

نكتفي بالأهل والعشيرة

تعد زريبة كبيرة من القش وأعواد الأشجار في منطقة (أوشير) لحفظ القرابين من الضأن والأغنام ويأخذ رئيس البازا لكل فريق من صبيان البازا وتقديمها كقربان، وينقسم صبيان البازا المشاركين حسب كل منطقة في مكان مخصص ومحدد. ويجتمع كل الصبيان في منطقة شخاخة في (تومن قودي) وتعني المقر لصبيان البازا. في (بازا كريكا) وتبدأ السباق من مكان تجمعهم قاصدين خور (كركي) ويحمل المشاركون معهم قطعًا من الأحجار الصغيرة لقذفها في الخور. وفي المساء يجتمع الصبيان لتناول وجبة العشاء ولا يتناولون بعدها شيئًا مدة أربعة وعشرين ساعة، ثم يذهبون إلى مقر البازا ملتحفين بقطعة من القماش تستخدم كغطاء للرأس والنوم. يجتمع صبيان البازا مرة أخرى في أوشير، ويختار بعض صبيان البازا ثلاثة منازل يلقون علامة البازا وعلامة البازا عصا صغيرة يلقونها أمام منازل المشاركين السابقين، ويتسابق الثلاثة الذين اختيروا لأخذ العصا لتحديد رئيس المجموعة والمساعدين له ورئيس البازا يُسمى (تونقال) ومعه مساعده مسؤولون عن التنظيم والإشراف على الصبيان. صبي البازا يحمل معه مجموعة من العصي تكون مزركشة بريش النعام، أعدوها في أثناء إقامتهم في الخلاء.

يجتمع جميع المشاركين في خور أوشير ويُسمى (سونقاري) أي بمعنى المحار الأحمر، لما تشتهر به من الحمار الأحمر. وتتوجه الفتيات اللائي اختارهن البازا إلى الخور لجلبه وسحنه حتى تصبح مسحوقًا، وتقدم للمشاركين لتلوين وطلي

أجسامهم باللون الأحمر وكل مشارك له وزيره يساعده في استخدام السونقاري. وعلى جانب الخور المراقبين للإشراف على السونقاري، حتى لا يفكر المشاركون في الهروب في الرفض في استخدام السونقاري، وكل من يخالف ذلك يُجلد ويُعاقب. ويمضون اليوم في أوشير حتى صباح الغد إلى تاد. إلى جبل أوار للدعاء والإنجاب وأنا أيضًا أتمنى الزيارة لأوار وهي جبل كبير بها كهوف ومغارات والدخول إليه كزحف الرضيع، ويقولون "تلي تلي" أي بمعنى الإله أعطني الكثير من الإبل والماشية والأولاد، وذلك بلمس الرسوم الجدارية في داخل الكهف، وبعدها يتجه الجموع المشاركة إلى خور تاد مكان تقديم القرابين ويتجمع المشاركين في (أكي) بمعنى مكان مبيت البازا، والطريق وعر وطويل بين تاد وأكي، وتوجد في تاد خور عميق وضيق وتبدأ سباق الجري من أكي ركضًا بالأقدام إلى خور تاد، وعند اقترابهم من خور تاد يبدأون بالقفز فوق الخور، ويقفزون فوق خور آخر يسمى (بودين تاد) أي خور الدم بعد القفز يرمي المتسابقون سبعة حصيات صغيرة من البعد في بودين تاد، ثم يهللون ويتراشقون بالماء، ويعود بعدها الشباب عدوًا إلى الزريبة التي حفظت فيها القرابين الحيوانية، عندما يقترب الصبيان من الزريبة تُفتَح أبواب الزريبة لتطلق الماشية، ويركض الصبيان بأقصى سرعة خلف الماشية التي انطلقت من الزريبة الماشية، وتأتي أمهات الصبيان ويرقصن حول الزريبة، ويحمل كل صبي شاة فوق كتفه للعودة بالخراف لخور تاد. يختار رئيس

البـازا التنقـال صبيًّـا مـن صبيـان البـازا رئيسًـا لـكل مجموعـة ويُسـمى (سـيرقي) بمعـنى الملـك أو القائـد، وتكـون المجموعـة مـن عشريـن إلى خمسـة وعشريـن صبيـا. ويبـدأ سـباق الجـري وتشـجع كل منطقـة صبيانهـا بزغاريـد النسـاء، والصـبي الـذي يـأتي الأول يحظـى بالاحـترام طـوال العـام والفخـر لقريتـه، أمـا الذيـن لـم يحالفهـم الحـظ يشـعر ذووهـم بالخجـل. ويبـدأ الاحتفـال بقيـادة (التنقـال) عنـد السـاعة العـشرة صباحًـا بسـباق الخيـل والهجـن، ويُعتـبر البقـر كائنًـا مقدسًـا في الديانـة الهندوسـية(٨٤) وفي المسـاء يـأتي (التـورتي) بالبقـرة المقدسـة مـن منطقـة أنجـرو مـرورا (بتورتنانـدو) ويحـضره شـخص معـين اسـمه (كـوت تجـي) مـن التـورتي توارثوهـا أبًـا عـن جـد، والشـخص الـذي يحـضر البقـرة مـن (مراحهـا) لـه مكانـة، ولا يأخـذ مقابلـه شـيئًا عينيًّـا أو نقديًّـا، وتظهـر البقـرة المقدسـة(٨٥) معًـا في وسـط أصحـاب الذيـن يمتلكـون البقـر، ومـن صفاتهـا أن تكـون أنـثى تتمـع بصحـة كاملـة وجيـدة، وتميـل إلى اللـون البـني مـع البيـاض. وتُذبَـح البقـرة المقدسـة في قمـة الجبـل، ويُشـوَى اللحـم ويقتسـمه صبيـان البـازا، ويُقطـع الجلـد إلى سـيور رقيقـة تزيـن بهـا رؤوس الفـؤوس والعـصي، وتصاحبهـا رقصـة البـازا بإيقـاع محـدد داخـل حلقـة الرقـص والقفـز عاليًّـا والفـؤوس عاليـة، وتبديلهـا مـن يـد إلى يـد أخـرى، والتحـرك

٨٤ محمد يوسف أحمد المصطفى، مقدمة الى الأنثروبولوجيا العامة، هيئة التعريب جامعة الخرطوم، ٢٠٠٨م، ص١١٠-١١١

٨٥ إسماعيل سلطان تكراس، معلم بالمعاش، مقابلة الخرطوم، جبل أولياء، ٢٠١٨/٩/١٠م

تدريجيًّا في شكل دائري، تُضيَّق الدائرة على ضاربي النقارة، وتنغلق تدريجيًّا حتى لا تظهر إلا الرؤوس والفؤوس مشرعة إلى أعلى، ويبدأ المشاركون بالطواف حول جبلين متباعدين عن بعضهما بعضًا يسمى (إله الحجر) وذوو الحاجات الخاصة يهرولون بين جبلين أحدهما للإنجاب والآخر لإنجاب الإناث، وتُذبح الشاة التي حملها صبيان الباشا ركضًا إلى قمة الجبل، ويذبحها بنفسه تحت إشراف التنقال، ويُقطع جلدها ويربط في أعلى ساعد اليد، ويبدأ صبيان البازا بالقفز فوق القرابين، وتؤخذ ثلاثة عظام من جسد القربان وتلبس في الرسغ وفي الكتف الأيسر، والمرأة التي تعبر ابنها طقس البازا لا تأكل تلك القرابين، وتُعدُّ نار كبير فوق خور التاد، ويقفز الصبيان من فوقها يصاحبه الرقص والغناء حتى الفجر، والهرولة بين الجبلين قبل بزوغ الشمس حتى يأتي وقت القيلولة في مكان يُسمى (دوقات)، ويبدأ ذبح القرابين التي جُمِعَتْ من القرى وتُوزَّع على الحضور، وتعتبر قربانًا لإله الجبل المقدس (تلي كود).

في بداية الشهر يخرج الجميع لرؤية القمر الجديد (الهلال) وتصاحبه التوسلات إلى الإله قائلين:

يا إله يا إله يا إله

ظهر الإله في جبل أوار

في سبيل الإله الذي نبحث عنه

نحن في يد الإله

وفي عناية الإله وفي عناية الإله

يا إله نحن في عناية الإله

ونسقي جبلك المقدس أوار

ليسهل الإله السبيل للدخول للبازا

وهـذا إعـلان نهايـة طقـس البـازا، ويسـتعد الصبيـان إلى حلـق شـعر رؤوسـهم وخلـع كل أدوات الزينـة وارتـداء السراويـل الداخليـة والاسـتعداد لسـباق العـدو في طريـق العـودة إلى قراهـم وعندمـا يقتربـون مـن قراهـم يضعـون فـراء القرابـين المدبغـة بالمحـار الأحمـر، وتسـتقبلهم النسـاء والفتيـات بالرقـص والغنـاء عـلى إيقـاع النقـارة، وعنـد مرورهـم بالقـرب مـن النسـاء يقفـزون قفـزات عاليـة، وترشـقهنَّ النسـاء بمسـحوق المحـار الأحمـر وتحمـل أمهـات المتسـابقين (التيـدي) مصنوعًـا مـن السـعف، وتحتفـظ بهـا فـأس الصـبي المشـارك في طقـس البـازا، والفتيـات الـلائي يـردن الإنجـاب أيضًـا يقدمـن (كـبروس) صغـيرًا فيـه زيتًـا مـن السـمن ولـبن، وتقدمـه للصـبي وتضـع إصبعهـا وترسـم علامـة الصليـب في جبهـة الصـبي، وبعدهـا يمسـح الصـبي جسـم المـرأة لـكي تحصـل البركـة بالحمـل والإنجـاب، وأول فتـاة تقـدم الكـبروس لصـبي البـازا يُهـدى إليهـا الفـرو المزيـن بالمحـار، ولا بـدَّ أن تكـون مـن الاتجـاه الأمومـي، وتُحفَـظ جلـود القرابـين والفـؤوس في منازلهـم وتظـل ذكـرى

خالـدة لأحفـاده، والجميـع اليـوم يتمنـون عـودة الكنـوس الـتي تخلـوا عنهـا بتعاليـم الديـن الإسـلامي، ليعـمَّ الخـير والرخـاء، ولرفـع محـن الحـروب والفقـر والمـرض الـذي تعانيـه البـلاد اليـوم(٨٦).

المبحـث الرابـع: الديـن عنـد الميـدوب والأماكـن الدينيـة والأماكـن الأثريـة

لـكل المجتمعـات الإنسـانية اعتقـاد وإيمـان بقـوة خارقـة تتحكـم بالطبيعـة، ولهـا ممارسـاتها وطقوسـها الدينيـة، إلا أنهـا لـم تؤسـس البنيـات والنظـم الدينيـة.(٨٧)

كان الديـن عنـد الأقدمـين أهـم شـأنًا ممـا هـو عـادة عنـد شـعوب العالـم الحديـث، فقـد كان الديـن في رأيهـم يشـمل كل مـا يحسـون أنـه أحـق الأشـياء وألزمهـا لهـم، وكان جـزءًا أساسـيًّا مـن نظامهـم الاجتماعـي والسـياسي، فجميـع الشـعوب الكـبرى الـتي تتناولـه حيـاة الشـعوب كان مظهـرا دينيًّـا.(٨٨)

سـبنسر وتايلـور إلى أن الأنيميزيـم، أو عبـادة الأرواح في المجتمعـات البدائيـة هـي الصـور الأوليـة للديـن، أمـا ماكـس مولـر (١٨٢٣م-١٩٠٠م) فقـد ذهـب إلى أن هـذه الصـورة الأوليـة تتمثـل في الطبيعـة أو عبـادة قـوى الطبيعـة. غـير أن دوركايـم رفـض هـذه النظريـات، لأنهـا في نظـره لـم تسـتطع أن تمـيز

٨٦ .المرجع نفسه، ص ١٨٣

٨٧ المرجع نفس، ص ٢١٣

٨٨ أحمد عبد القادر الجمال، مقدمة في أصول النظم الاجتماعية والسياسية. ص ٦٣-٦٤

بـين مـا هـو مقـدس، ومـا هـو علمـاني، والـذي يمثـل عنـده نقطـة بدايـة حقيقيـة في دراسـة الديـن.[٨٩]

المجتمـع الميـدوبي ابتكـر مؤسسـاته الدينيـة مـن خـلال وظيفتـه الدينيـة، ومـن طقوسـه الـتي تقيمهـا بالقـرب مـن الجبـل المقـدس في (آوار- أوريـا) في انتظـار الإلـه وابنـه في شـهر (أغسـطس) مـن كل عـام في أدرور كنـدول وبطـران ومـن داخـل الكهـوف والمغـارات في جبـال مقـرات والمصـورات وجبـال أبـو قـران الـتي كانـوا يقصدونهـا لطلـب الحمايـة للتـبرك والـثروة، وكذلـك مـن الأحجـار الـتي كان يسـمونها (تـلي) طلبًـا للإنجـاب وسـكب اللـبن لـه في طريـق دخولهـم للبـئر للسـقي، وفي معبـد (بوهـين) أي بمعـنى العبـادة في لغـة الميـدوب.

ويتجلى الدين في ثلاثة أشكال:

١. الخبرة الدينية الفردية

٢. الدين الجمعي

٣. المؤسسـة الدينيـة ويعتقـد (كارل جوسـتاف يونـج) عـن السـيكولوجية والديـن بوجـود علاقـة لا غـنى عنهـا بـين الديـن المؤسـس اجتماعيًـا وبـين الخـبرة الدينيـة. وتطـور العقـل البـشري كثـيرًا في غضـون الأجيـال، وبلغـت ضروب المعـارف

٨٩ تيماشيف نيقولا، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، دار المعارف القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٧٧

مـن كـثرة النمـو. ظلـت قـدرة الآلهـة محـدودة زمنًـا طويـلًا، وتشـير بعـض القصـص إلى حـدود القـدرة الـتي كان الإنسـان يعزوهـا إلى آلهتـه، فالإنسـان وإن كان يخشـاها كثـيرًا ويتـضرع إليهـا في الغالـب، كان يجـرؤ عـلى مقاتلتهـا في بعـض الأحيـان. ولأهميـة الديـن عنـد القدمـاء، فقـد كان يشـمل كل مـا يحسـون أنـه أحـق الأشـياء وألزمهـا، وكان جـزءًا أساسـيًا مـن نظامهـم الاجتماعـي والسـياسي، فجميـع الشـؤون الكـبرى الـتي تتناولهـا حيـاة الشـعوب كان مظهـرًا دينيًّـا. إذ لا بـدَّ للديـن أن يسـد إلى حـد مـا حاجـات البـشر الـتي لا غـنى لهـم عنهـا، حـتى يكـون مقبـولًا منهـم. (فوسـتيل دي كولنـج) يقـول إن الديـن كان سـيدًا مطلقًـا للحيـاة الخاصـة والحيـاة العامـة، وأن الدولـة كانـت جمعيـة دينيـة، وأن الملـك كان حـبرًا والقـاضي كاهنًـا، والقانـون نصبًـا مقدسًـا، والوطنيـة إحسـانًا، والنفـي حرمانًـا.

إذ كانـت الـروح الدينيـة لـم تصـل بالإنسـان إلى إجابـة قاطعـة فيمـا يختـص بالحيـاة ونشـأة الكـون... إلـخ، فالـروح سـلكت بالإنسـان طريقًـا قادتـه بعـد جهـود دامـت عـدة قـرون إلى المعـارف الـتي تنعـم بهـا اليـوم، والـروح الدينيـة ليسـت الأسـاس الوحيـدة للمعتقـدات الدينيـة مـن العنـاصر العاطفيـة كخـوف الإنسـان مـن القـوى الهائلـة الـتي يحـس إحاطتهـا بـه أمـرًا طبيعيًّـا، كرجائـه في نيـل حمايتـه بالصلـوات والهبـات، كمـا أن الأمـل في اسـتمالتها مـن الشـعور الطبيعيـة الـتي تتفـق وفـق طبيعـة الإنسـان. لا يبـدو الخـوف والرجـاء في الأديـان البدائيـة وحدهـا، بـل هـو موجـود في الأديـان السـماوية الكـبرى، ففـي

الإسلام والمسيحية نار جهنم ونعيم الدنيا.

الصوم: عند بداية دخول مجتمع الميدوب في الإسلام كانوا يذهبون في جماعات ويقدمون العزاء للشخص بمناسبة صومه، كان الصوم عندهم في شهر رمضان يتم بإحضار ثلاثين شخصًا ويصومون، وبذلك انتهى صيام الشهر، وبعدها أصبح كل شخص يصوم ثلاثة أيام والسبعة والعشرين الباقية من الشهر لا صوم فيها، وآخر شخص قامت بها العجوز (أكياريه).[٩٠]

علاقة الاحترام: تعني العلاقة ربط شيء بشيء آخر، وعلى الصعيد الإنساني نجد أن كل فرد مرتبط بالآخر تحت مسميات مختلفة (آباء، إخوة، أصدقاء، زملاء، جماعات، مؤسسات... إلخ)، فهو مندمج في نسيج وفضاء اجتماعي يقوم على شبكة من التبادلات المعقدة التي توجه أفعاله وتنشئته الاجتماعية، فهذا الربط بين عنصرين أو اكثر يعني وجود نوع من التأثير المتبادل، وهذا يؤدي بنا إلى مفهوم التفاعل، فلا يمكن تصور وجود تفاعل بين طرفين اجتماعيين دون أن نقول بوجود علاقة.[٩١]

لذا تنشأ الحياة الاجتماعية نتيجة للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد، فإذا تقابل عدد من الأفراد وجهًا لوجه بدأ

٩٠ .العمدة أحمد الدومة، مقابلة المالحة، ٢٠١٨/٨/٢م

٩١ .حسام الدين فياض – نحو علم اجتماع تنويري - ص١

٨٨.جفري، ترجمة إمام عبد الفتاح، المعتقدات الدينية لدى الشعوب.

مرجع سابق، ص٦٣-٩٧.

الاتصال والتفاعل فيما بينهم، وعن طريق هذا التفاعل تنشأ العلاقات الاجتماعية. فالعلاقات الاجتماعية هي ذلك الموقف الذي من خلاله يدخل شخصان أو أكثر في سلوك معين، واضعًا كل منهما في اعتباره سلوك الشخص الآخر، بحيث يُوجَّه سلوكه على هذا الأساس، وعلى ذلك تشمل العلاقات الاجتماعية إمكانية تحديد سلوك الأفراد بطرق خاصة، فمحتوى كل علاقة اجتماعية يختلف على أساس التعاون، التنافس، الصراع، العداوة، التجاذب، الصداقة، الشهرة، بناءً على ما تقدم يمكننا تعريف العلاقات الاجتماعية بأنها: "الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع التي تنشأ نتيجة اجتماعهم، وتبادل شعورهم واحتكاكهم ببعضهم بعضًا ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع" أو "هي صورة عن الآخر والتي تؤثر سلبًا أو إيجابًا على حكم كل منهما للآخر، ومن صور هذه العلاقات الصداقة والروابط الأسرية والقرابة وزمالة العمل والمعارف والأصدقاء"، وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناءً على تفاعلهم مع بعضهم بعضًا، بصرف النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية، من أهم ضرورات الحياة الاجتماعية، وعليه فإن موضوع العلاقات الاجتماعية أصبح يحتل مكانة هامة في العلوم الاجتماعية. وقد أشارت الدراسات التحليلية التي تناولت بالدراسة والبحث موضوع العلاقات الاجتماعية إلى أنها تبدأ بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من

شخص آخر، ويطلق على التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل اصطلاح التفاعل. لذا لا بدَّ أن نفرق بين الفعل الاجتماعي وبين الإنساني حسب "ماكس فيبر".(٩٢)

فالفعل الإنساني "هو (فقط) ذلك السلوك أو النشاط، الذي يمكن أن ننسب إليه قصد أو معنى ذاتي لتبرير ما قام به الفاعل من نشاط". أما الفعل الاجتماعي "هو أحد أنواع الفعل الإنساني، إذ له خصوصية تميزه عن غيره من الأفعال، وهو يعتبر الأساس الذي تقوم عليه "السوسيولوجية الفيبرية"، ويأخذ صفة الفعل الاجتماعي، إذا تعلق معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعلية بسلوك الآخرين، الذين يوجهون حدوثه". إذًا الفعل الاجتماعي هو الذي يتوجه بسلوك الغير، ويرتبط بمعنى مشترك معه، فالمعنى الذي يفكر فيه الفرد ويقصده هو الذي يجعل الفعل الذي يقوم به اجتماعيًّا، والتفاعل الاجتماعي بما ينطوي عليه من علاقات ناشئة في إطاره، يقوم على أساس مجموعة من المعايير التي تحكم هذا التفاعل من خلال وجود نظام معين من التوقعات الاجتماعية في إطار الأدوار والمراكز المحددة داخل المجتمع، ونظرًا إلى أن التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات، فإنه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين، وتؤدي العلاقات الاجتماعية إلى ظهور مجموعة من التوقعات الاجتماعية الثنائية، الأمر الذي أدى

٩٢ . حسام الدين فياض، مرجع سابق، ص ٢

بالباحثين في هذا الصدد إلى تصنيف تلك العلاقات إلى عدة أقسام متمايزة في شكلها، فقد تكون العلاقات الاجتماعية مؤقتة أو طويلة الأجل وقد تكون ممتدة ومتشبعة أو على النقيض محددة النطاق... إلخ، كما أنها تنطوي على قدر متفاوت نسبيًّا من الاتصال الهادف، بل وإمكانية المعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر في إطار ذات العلاقة.

تتجسد مظاهر الاحترام التي يبديها التي يبديها الشخص إزاء أمه وأخواله أكثر من اتجاه أبيه. فليس من المقبول اجتماعيًّا أن يتصرف الشخص مع والديه خصوصًّا أمه أن يتحاور معها في مسائل تتعلق بالجنس أو الجلوس معها في فروة واحدة، وغيرها من الأشياء التي تقلل الأدب والاحترام، وكذلك خالاته وعماته.

علاقة الألفة:

تتمثل هذه العلاقة في الممازحة والتآلف بين الأقرباء والأنداد المتقاربين في العمر بقدر كبير من الممازحة والسخرية اللاذعة، وتحصل أحيانا بين الأخوة وأبناء العمومة.

علاقة التحاشي:

تقوم هذه العلاقة في حظر وتحريم أنواع محددة من التفاعلات الاجتماعية بين الأقارب بعينهم، كحالة حظر التفاعل بين الشخص وأهل الزوجة، خاصة أم الزوجة وأخواتها وأن لا يشرب ويأكل معها في إناء واحد، أو الاحتكاك

معهـا في مسـألة مـن المسـائل الـتي تـؤدي إلى الخلافـات والخصـام، وإن حصـل فالشـخص يتعـرض لعقوبـة ماليـة تقـدر قيمتهـا بناقـة أو خـروف حسـب الوضـع الاجتماعـي للشـخص، وهـذا يخلـق أعـلى درجـات الاحـترام والتبجيـل في مجتمـع الميـدوب. حـتى عند مصافحـة الشـخص الأكـبر سـنًّا مثـلًا بـين الابـن وخالـه وأعمامـه حـتى الخـالات والعمـات أن لا يصافـح يـدًا بيـد أو لمـس كتفـه بيـده، بـل يصافـح وراحـة يديـه اليمـنى بشـكل ملتـوٍ لا بكـف اليـد، لأن ذلـك يعتـبر نوعًـا مـن قلـة الأدب وعـدم الاحـترام، ويعـرض للمسـائلة والمحاسـبة.

والمـرأة عندمـا يمـر الرجـل مـن أمامهـا تجثـو عـلى ركبتيهـا مطأطئـة رأسـها، وتنظـر إلى الأرض، ولا ترفـع رأسـها بالنظـر إلى الشـخص المـار أمامهـا.

حيـث إن العلاقـات الاجتماعيـة تشـبع مجموعـة مـن الحاجـات النفسـية الهامـة لـدى الفـرد مثـل (الحاجـة إلى الأمـن، الحـب، الانتمـاء)، ودونهـا لا يشـعر بالمتعـة وسـعادة في صحبـة الغـير. ووجـود علاقـات اجتماعيـة، تربـط بـين الأفـراد والجماعـات، وهـذا مـا يفـرز نوعًـا مـن الاهتمامـات والأهـداف العامـة والمشـتركة الـتي يتعـاون الجميـع مـن أجـل تحقيقهـا.

الاعتمـاد المتبـادل في حقيقـة الأمـر لا تسـتطيع الجماعـات الاجتماعيـة تحقيـق الاكتفـاء الـذاتي معتمـدة عـلى إمكانياتهـا الذاتيـة. بـل لا بـدَّ مـن الاعتمـاد المتبـادل بينهـا وبـين الجماعات الاجتماعيـة الأخـرى لأحـداث العلاقـات الاجتماعيـة بـين هـذه

الجماعـات، ومـن ثَـمَّ اسـتقرار المجتمـع وتطـوره.

المعتقـدات الدينيـة، ومنهـا الديـن، يطالـب الأفـراد بالتعـاون والتالـف، وكذلـك تشـجيع العمليـات الاجتماعيـة الإيجابيـة كالتوافـق، والانسـجام والتناسـق والمـؤازرة والافتخـار.

القـوة مـع العلاقـات الاجتماعيـة في الغالـب تحتـاج إلى هـذا العنـصر، وذلـك باعتبـاره كعمليـة اجتماعيـة ضابطـة لسـلوك الأفـراد والجماعـات مـن أجـل سـيادة علاقـات سـوية.

السـفر: عنـد الاسـتعداد للسـفر يُعـيَّن شـخص فيـه صفـات القيـادة والحكمـة ويسـمونه صاحـب المـاء، وعندمـا يذهبـون نحـو الصعيـد لجلـب الدخـن والحبـوب الغذائيـة بمعـنى (بانقـي) أي جالـب العيـش الـذي منه اسـم "بعانخـي" بالعربية، فهـذا الرجـل المختـار لهـم كقائـد لـه معرفـة جيـدة بالصحـراء والطـرق والمـشي ليـلًا بتتبـع النجـوم. وهـذا الشـخص يتصـف بصفـات منهـا الصبـر الهـدوء وكبـر السـن، متمثلـين بالطاعـة في كل مـا يصـدر منـه مـن أوامـر ويُسـمَّى بلغـة الميـدوب (أوشـين بـاه)، صاحـب المـاء، لأنهـم كانـوا يحملـون قربًـا كبـيرة صُنِعَـتْ مـن جلـود البقـر والضـأن لحفـظ المـاء في سـفرهم البعيـد، ويضعـون حجـولًا مـن خواتـم الفضـة في تلـك القـرب المملـوءة بالمـاء، لاعتقادهـم أنهـا تعمـل عـلى تبريـد المـاء ووقايتهـم مـن الأمـراض المسـتعصية، ولا تجلـب لهـم العطـش وعنـاء الطريـق. وبعـد مغادرتنـا الفـاشر حططنـا الرحـال للمبيـت قـرب آبـار مدجـوب، وهـي تقـع في منتصـف الطريـق إلى قبـة، فلمَّـا

خيـم الظـلام خرجـت أتمـشى نحـو الآبـار، وكانـت ملابـسي تشـبه ملابـس الجنـود، فلـم يكـن مـن السـهل معرفـة شـخصي، وقعـدت قريبًـا مـن الآبـار أنظـر إلى النسـاء وهـنَّ يسـتقين، وجـاء بعـض الخيالـة لـكي يسـقوا خيولهـم وطلبـوا مـن النسـاء أن يعطيهـنَّ دلائهـنَّ، فرفضـت النسـاء وقلـن لهـم سـنملأ جرارنا أولًا ثـم نعطيكـم الدلـو. فقـال أحـد الجنـود لكأنكـنَّ تحكمـن علينـا بالعقـاب مـن الله وهـذا جـزاء منـح الحريـة للبلـد، والله لـو لـم يكـن سـلاطين معنـا لأخذناكـنَّ أنـتنَّ وجراركـنَّ ملـكًا لنـا، فأجبنـه قائـلات: الله يطـول عمـره. فرجعـت وأنـا في غايـة السرور لأني سـمعت بـأذني شـهادة السـودانيين بارتياحهـم لي.(٩٣)

زفة الميت:

وتُسـمَّى بلغـة الميـدوب اكريـه فتقـام قبـل الدفـن، يـضرب بعـض الرجـال والشـباب البالغـين النقـارة الكـير وتحمـل النسـاء العـصي وترقـص عـلى إيقـاع النقـارة في شـكل قفـزات إلى الأعـلى وتسـتمر الاكريـه إلى أن يحمـل الجثمـان ويتقدمهـم ضاربـو النقـارة والزفـة خلـف الجثمـان المحمـول. بعـد الدفـن يعـود الجميـع عـلى إيقاعـات النقـارة إلى أن يصلـوا بيـت الشـخص المتـوفى وتسـتمر الاكريـه وتبـدأ بقـرع بيـت المتـوفى وباللغـة المحليـة مطالبـين منـه الخـروج، لأن فـلان بـن فـلان قـد أتى لزيارتـك وابـن خالتـك وابـن عمـك أيضًـا قـد حـضروا لزيارتـك اخـرج لاسـتقبالهم منادين باسـمه والتوسـل إليـه بشـدة

٩٣ سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، دار الحياة، الطبعة الأولى، مطبعة البلاغ، ١٩٣٠م، ص ٤٣

للخـروج والقيـام بواجـب الضيافـة وإكـرام الضيـوف. قـم لهـم بالذبـح والنحـر للإبـل كمـا كنـت تفـرح بقـدوم ضيوفـك لبيتـك. مكرريـن النـداءات للميـت بالخـروج والاسـتقبال وتقديـم الضيافـة للضيـوف. وعنـد قـدوم المعزيـن للعـزاء مـن الأماكـن والقـرى الأخـرى مـن كل مناطـق جبـال الميـدوب تبـدأ الاكريـه مـرة أخـرى عـلى إيقـاع النقـارة والمناحـة بصـوت خفـي في شـكل همهمـة ورثـاء يذكـرون فيهـا الصفـات الجميلـة للميـت كشـجاعته وكرمـه.

في اليـوم السـابع تذبـح الذبائـح وتنحـر الإبـل ويذهـب الشـباب لجمـع الحـصي تسـمى أكاكارو وتشـبه حـصي رمـي الجمـرات، وبعدهـا يحملـن النسـاء والشـباب الطعـام الـتي المُعـدُّ لمقـبرة المتـوفى ويـوزَّع عـلى كل مـن يقابلهـم في الطريـق إلى مقـبرة الميـت، وعنـد وصـول الجميـع للمقـبرة تجلـس النسـاء ويرششـن المقـبرة بالمـاء ويسـاوين تـراب سـطح المقـبرة مـن فـوق ويدعـين لـه بالتوفيـق في حيـاة العالـم الآخـر، وبعدهـا يبـدأ الشـباب بـرص تلـك الحـصي الـتي جُمِعَـت وتوضـع فوقهـا جـذوع الأشـجار المخـضرة، وتسـتمر مراسـم العـزاء أربعـين يومًـا، وفي اليـوم الأربعـين تُعـدُّ وليمـة كبـيرة تذبـح فيهـا الشـياه وتنحـر فيهـا الإبـل وتـوزع عـلى كل أهـل القريـة، ومـن ثَـمَّ يتفـرق الجميـع إلى أعمالـه الخاصـة.

الدفـن: عـادة مـا يدفـن الميـدوب موتاهـم تحـت الجبـال ولا يدفنـون في الأراضي السـهلية، ونجـد قبورهـم الـتي يطلقـون

عليها اسم (الرُّوما) بتشديد ضم حرف الراء، وتتفاوت من حيث الشكل والحجم، وهذا يؤكد لنا المكانة الاجتماعية للميت، ويكون الدفن بشكل قرفصائي مع رص الحجارة حوله وإغلاق الحفرة عبر بناء مسقوف يمنع من تسرب التراب إلى الداخل، وتأخذ المقبرة الشكل الهرمي للفرد أو لكل أفراد الأسرة. وقد كان المصريون القدماء يحرصون على دفن موتاهم بالقرب من المعابد ويقيمون عليها البنايات اعترافًا منهم بمكانة الميت وتخليدًا له، ولا سيما إن كان الميت من الملوك. وما زال بعض سكان السودان يحرصون على دفن موتاهم حول شيوخهم، ويقيمون عليهم البنايات ويشيدون القباب على مشايخهم، ويقدمون له النذور والهدايا والصلوات، فالأضرحة والمقامات عندهم أماكن مقدسة للصلوات والدعاء. وعند الميدوب نجد كلمة "بوهين" أي بمعنى العبادة في لغتهم، وكانت مكانًا للتبرك والعبادة في منطقة شخاخة. ونجد العديد من الرسومات الجدارية للحيوانات والتبرك بها طلبًا للمال، فقد كانت مناطق أدرور وكندول وبطران وأنجرو وأبو قران مركزًا للعبادة الدينية وممارسة العقائد الطقسية للميدوب، والتي سعت لتنظيم الحياة الدينية في كل مناطق جبال الميدوب وربطها بعامة الشعب.

المبحث الخامس: الميدوب والمهدية

لـم يكـن الميـدوب والزيادية الزغـاوة والماهريـة بأقـل إعراضًـا مـن البقـارة أو الفـور عـن الإذعـان لدولـة المهديـة، فهـذه القبائـل تسـكن أرضًـا صحراويـة أو شـبه صحراويـة، ومـن أهـم مقومـات الحيـاة في الصحـراء التجـوال ومـا يتبعـه مـن انطـلاق وحـب عميـق للحريـة، وكـره شـديد للقيـود. فـإذا سـعى الخليفـة لفـرض سـلطانه عليهـم رأوا في ذلـك منكـرًا وضنـوا عليـه بحريتهـم ورفضـوا تدخلـه في تكييـف حياتهـم. فالصحـراء رغـم غفرهـا وخشـونة العيـش فيهـا سـحرها الـذي انطبـع في قلـوب أهلهـا وأفئدتهـم حـتى خُيِّـلَ ألا حيـاة دون رمـال وريـح تهـب بـاردة جافـة أو تحـرق الوجـوه والأجسـام، إنـه بالطبـع وحكـم العـادة، ومـا ألـف الإنسـان يصعـب التخـلي عنـه.

وسـبب ثالـث يفـسر عـلى وجـه الخصـوص موقـف الميـدوب مـن المهديـة هـو ضعـف العقيـدة الإسـلامية عندهـم، وتغلغل شـعائر الوثنيـة وتقاليدهـا في نفوسـهم، لهـذا لـم تجـد الدعـوة المهديـة صـدى بينهـم، فمـا ورد مـن رسـائل المهـدي وإنـذارات الخليفـة لهـم مـن ذكـر للجهـاد في سـبيل الله وإشـارات الجنـة وثوابهـا، والنـار وعذابهـا بـدا للميـدوب كلامًـا غامضًـا بعيـد المدلـول، كأنـه سراب الصحـراء. وصـف عثمـان آدم جانـو الميـدوب مـرة بأنهـم قـوم مجـوس لا ديـن لهـم. وأعطـى مـرة أخـرى مثـالًا حيًّـا للخرافـة والوثنيـة في حياتهـم، إذ أفـاد الخليفـة بـأن محمـد بشـارة حـين غـزا جبـال الميـدوب اسـتولى

بعـد لأي عـلى سـيف مـن ملكهـم الأكـبر شـايبو، وكانـت لهـذا السـيف عنـد الميـدوب قداسـة فاتخـذوه مـن دون الله إلهًـا، فـإن جاءهـم خطـر أو حـل بهـم مكـروه دفنـوه في الأرض وأقامـوا عنـد مدفنـه الطقـوس، ثـم سـألوه النصـح في الـذي يصنعونـه درءًا للخطـر وصـدًّا للمكـروه. أمـا الميـدوب فكانـوا أكـثر قبائـل شـمال دارفـور نفـورًا مـن المهديـة، وقـد وجـدوا في جبالهـم القصيـة معتصمًـا يلـوذون بـه مـن سـطوة الفـاشر وجبروتهـا، فصعـب لذلـك إخضاعهـم في عهـد زقـل، ولكـن عثمـان جانـو وُفِّـقَ في إخراجهـم مـن معتصمهـم، وإن فشـل في إدخـال الإيمـان بدعـوة المهـدي عـلى قلوبهـم الـتي ازدادت صلابـة بفعـل مـا حـل بهـم مـن نكبـات عـلى يـد الأنصـار. كتـب الخليفـة إلى الميـدوب بعـد مـوت المهـدي بشـهر يقـول: "هـذه الدنيـا خيـال سراب والآخـرة هـي دار الـسرور.. اعلمـوا أن المكاتبـة منـا إليكـم بطلـب الحضـور للهجـرة تعـددت ومـا رأينـا منكـم إجابـة، وهـذا لا يصـح وإلى الآن مطلـوب منكـم الحضـور. وكل مـن يتأخـر وتغـره الدنيـا يخـشى عليـه أن يكـون مـن أتبـاع الدجـال والعيـاذ بـالله."[٩٤] ومـا للميـدوب وللجنـة وسرورهـا وهـم قـوم مجـوس، وكيـف لهـم يدركـون أن نعيـم الآخـرة خـير متـاع الدنيـا الـتي يحبونهـا، وليـس للآخرة حسـاب في تصورهـم، طبيعـي إذًا أن يخفـق الخليفـة في مخاطبـة الميـدوب بلغـة يفهمونهـا، فصـدُّوا عـن كلامـه.

ثـم خاطبهـم بلغـة السـيف. فبعـد أن دخـل عثمـان آدم

٩٤ . مهدية:١/١١/٣/٢٦٤/٢٥رجب ١٣٠٥ الموافق ٧ أبريل ١٨٨٨(عثمان إلى الخليفة).

جانـو الفـاشر أرسـل في طلـب ملـوك الميـدوب فتثاقلـوا عليـه، فنـدب محمـد بشـارة وكـرم الله شـيخ محمـد عـلى رأس حملـة لتأديبهـم[٩٥]. ففهـم ملـوك الميـدوب مدلـول اللغـة الجديـدة، واسـتقبلوا الحملـة طائعـين قبـل أن تتوغـل في جبالهـم[٩٦] وسـاق محمـد بشـارة جمـوع الميـدوب إلى الفـاشر وملوكهـم شـايبو وتكـراسي وأحمـد أنجـري. عـلى أنهـم لـم يستسـلموا فشـجع تكـراسي هـروب عشـيرته مـن الفـاشر سرًّا حـتى لـم يتبـقَّ مـن الألـوف الـتي جـاء بهـا الأنصـار غـير خمسـمائة قـرر عثمـان آدم تهجيرهــم إلى أم درمـان، فغـادروا الفـاشر في ٢٤ يونيـو ١٨٨٨وفي مقدمتهـم الملـكان شـايبو وأحمـد انجـري. ولـم يكـن تكـراسي في الركـب لأن عثمـان آدم قتلـه يـوم هجـرة أهلـه جـزاءً وإرهابًـا لبقيـة زعمـاء الميـدوب. ولمـا بلـغ الركـب الأبيـض انتهـز الميـدوب هطـول مطـر غزيـر فهجمـوا عـلى حراسـهم في ظـلام الليـل وجردوهـم مـن بنادقهـم ثـم هربـوا. ولمـا جـاء الصبـاح تعقبهـم الأنصـار دون طائـل. فرجـع شـايبو وأحمـد أنجـري بمـن معهمـا إلى جبالهـم[٩٧].

وتحـدث العـم عثمـان آدم دردوق سـبليه ممـن عاصرهـم مـن أجـداده وكانـوا حضـورًا ممـن قادتهـم الحملـة كل مـن (درقـة كـوزي وتعـني بلغـة الميـدوب الـدرع، سـدي، أرا) بالروايـة الشـفاهية أنـه في عهـد الملـك أحمـد أنجـري قامـت المهديـة

٩٥ . مهدية :- صادر٢ص٣٢-٨شوال١٣٠٢الموافق٢١يوليو١٨٨٥(الخليفة إلى الميدوب).

٩٦ . مهدية:-١/١١/٣/٢٦٤-د٢رجب١٣٠٥ الموافق ٧ابريل ١٨٨٨ (الخليفة الى الميدوب).

٩٧ . مهدية ١/١١ب/٦٣/-٤رجب١٣٠٥ الموافق ١٧ مارس ١٨٨٨(الخليفة الى الميدوب).

بشـن غـارة عـلى مناطـق جبـال الميـدوب وأخِـذوا إلى الفـاشر بمجموعـة كبـيرة بوجـود كل مـن الملـك أحمـد أنجـري وتكـراسي وجامـع. وعنـد وصولهـم إلى الفـاشر حُكِـمَ بإعـدام تكـراسي لأنه يُحـرِّض أهلـه للرجـوع، وفي أثنـاء تنفيـذ الحكـم طلـب الملـك •أحمـد انجـري مـن الرجـال عـدم القتـال في داخـل المدينـة؛ ليـس خوفًـا منهـم، وكذلـك طلـب مـن النسـاء عـدم البـكاء، وعـلى كل واحـدة إمسـاك طفلهـا، وحُرِّكـوا إلى أم درمـان، وكان الرجـال في صـف طويـل بأعـواد في رقابهـم وأياديهـم مربوطـة بسـيور مـن جلـد البقـر، وفي أثنـاء الاسـتراحة في رهـد (أرقـو) بين الفـاشر والأبيـض كانـوا يضربـون الرمـل لاختيـار (أوشـين بـاه) أي صاحـب المـاء، فوقـع الرمـل ثـلاث مـرات عـلى جامع الـذي تولى السـلطة مـن أحمـد أنجـري لاحقًـا، فطلـب منهـم رفـع أياديهـم إلى السـماء (تـلي بوهـين) ليخلصهـم الـرب وأن يرجعهـم إلى أرض الأجـداد والأسـلاف جبـال الميـدوب، ومـا هـي إلا لحظـات حـتى عـم السـماء غبـار مـع غمـام كثيـف وهطلـت الأمطـار وامتـلأت الأرض بالمـاء وبللـت كل السـيور الـتي كانـوا مربوطـين بهـا في أعناقهـم وتحدثـوا بلغتهـم الأم بإنـزال الأعـواد عـن رقابهـم وتبقـى السـيور الـتي ربطـت أياديهـم بهـا، وفي سـاعات متأخـرة مـن الليـل طلـب موسًـا لقطـع هـذا السـيور، وكانـت بينهـم امـرأة تدعـى (أور أولجـي) بأنهـا لديهـا مـوس قـد ربطتهـا في طـرف (السـيري) مصنوعـة مـن جلـد الماعـز لحمـل الطفـل الرضيـع. وطلـب منهـم جميعـا أخـذ الحـذر والحيطة، لأنـه كان معهـم عبـد يجيـد لغـة الميـدوب وجُنِّـدَ مـن المهديـة، وأُغـرِيَ

بـكل مـا يريـد مـن نسـاء ومـال حـين وصولهـم إلى الأبيـض ليراقـب لهـم كل صغـيرة وكبـيرة ونقلهـا إليهـم، حـتى لا تؤثـر في سـلامة الجنـد في الطريـق، وفي أثنـاء انشـغاله قُطِّعَـتْ السـيور مـن الأيـادي بالتنـاوب، وعـلى النسـاء إمسـاك أطفالهـن جيـدًا لبـدأ القتـال والعـودة إلى أرض الأجـداد والأسـلاف، وطلـب مـن الملـك جامـع بعـد أن امتطـى حصـان قائـد الجهاديـة لتقفـي أثـر نجـدة المهديـة، إذ اسـتولى الميـدوب عـلى سـلاحهم.[٩٨] ولم يجـد أثـرا لقـوة قادمـة وتحركـوا قافلـين إلى جبـال الميـدوب، واسـتقبلهم في الطريـق (بيـل أسي والـد سـيرقي).[٩٩]

ذلـك أن دارفـور لـم تكـن أرضًـا صالحـة لبـث الدعـوة المهديـة وغرسـها، وتعتـبر ثـورة أبي جميـزة أقـوى حـركات المقاومـة الثوريـة الـتي شـنها أهـل دارفـور في وجـه الأنصـار وهـذه هـي الصـورة الإيجابيـة لكفـاح شـعب دارفـور عـلى مـر التاريـخ، وكان وجـود أفـكار منافسـة كالسنوسـية أو تمسـك الميـدوب بديـن وعبـادة الأسـلاف والأجـداد، أو لغلبـة الطمـوح السـياسي عـلى غـيره كالفـور. والارتبـاط الوثيـق بـين جغرافيـة دارفـور وتاريخهـا ظـلَّ قائمًـا عـلى مـر العصـور، وسـاعدت هـذه المعالـم الطبيعيـة في اسـتمرارية المقاومـة وفي مضاعفـة المتاعـب للأنصـار وللمليشـيات الحكوميـة وجيوشـها في أحـداث دارفـور. وأقـوى هـذه المعالـم الطبيعيـة جبـل مـرة وجبـال الميـدوب الـتي تعتـبر درعًـا يقيهـم مـن شر كل الهجمـات، وبحـق كانـت

٩٨ أحمد عبد القادر أرباب، تاريخ دارفور عبر العصور، ج٢

٩٩ عثمان آدم دردوق (سبلي)، المهنة راعٍ، مقابلة في سوق المالحة ٢٠١٩/٨/٢٠م

وما تـزال جبـال الميـدوب ترسًـا لبعدهـا مـن عاصمـة الإقليـم وكذلـك الصحـراء.

الفصل السادس: مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي عند الميدوب

لقد توالت التغيرات الاجتماعية والثقافية على المجتمعات في العقود القليلة الماضية، وخاصة على المجتمعات العربية، ولعل من أبرز هذه التغيرات ظهور ظاهرة العولمة وما رافقها من ثورة معلوماتية، إذ أحدثت تغييرًا في المواقف والاتجاهات والقيم الإنسانية لدى أفراد المجتمع وجعلت العالم أكثر اندماجًا، وجعلت التحولات سريعة هي التي ساهمت في انتقال المفاهيم والقناعات والمفردات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات، وهي التي نقلت العالم من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة، ومن ثَمَّ في دخوله إلى عصر العولمة، إنَّ هذه التغيرات كان لها دور في تغير الثقافة الموروثة للمجتمعات، إن ثورة المعلومات والاتصال قد أثرت وستؤثر في حياة الأفراد، أو هي اليوم من أهم العوامل التي. تعقد تشكيل خيارات وثقافة وأذواق وسلوكات الأفراد والمجتمعات، وهذا ما أكده عويدات إذ يقول: "لقد ترتب على هذه الثورة المعلوماتية حدوث تغير اجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والانفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة"([100]).

---

١٠٠ . منى حيدر الطائي- مظاهر التغير الاجتماعي ودوره في مظاهر القيم – ط٢٠٠٦م –ص٢

إلا أن العولمة تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، وتكوين ما يُسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية التي تركز على حرية التعددية الفكرية واحترام حقوق الإنسان وتقبل الآخر، وتعمل وسائل الاتصال على زيادة التفاعل الثقافي على المستوى العالمي، إلا أنَّ الدول التي تمتلك القدرات التكنولوجية سوف تملك القدرة على بث ونشر الرسائل الإعلامية الثقافية بكل ما فيها من قيم، وقد تحمل في بعض الأحيان غزوًا ثقافيًّا قد يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات. ومن مظاهر التغيير في ضعف الروابط الأسرية والتواصل الأسري، إذ تشهد الأسرة العربية مزيدًا من التفكك بسبب تراجع سلطة الوالدين في السيطرة على ضبط سلوك الأبناء. فعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الرجل بالمرأة كانت تحدد على أساس النظام الأبوي الذي يتمثل في هيمنة الرجل على المرأة وهيمنة الكبار على الصغار، بما يعني توزيعًا هرميًّا للسلطة على محوري الجنس والسن، وتمثل قيم الشرف والاحتشام والجماعية والطاعة عناصر أساسية في هذا النظام، وتتصل قيمة الشرف بسلوك الفرد ولكنها لا تقتصر عليه، بل تمتد لتشمل العائلة كجماعة تتحد فيها المسؤولية وتتماثل فيها الذات مع الجماعة، وعلى وجه التحديد تربط هذه القيمة سلوك المرآة بشرف الرجل، فهذه القيم تلاشت وتغيرت النظرة إلى المرآة من خلال وسائل الإعلام من أجل تسويق المنتجات وجني الأرباح، وقد وافق ذلك كله تهميشًا

متعمـدًا مـن قبـل الإعـلام لصـورة المـرآة المثقفـة العاملـة، والمنتجـة، المربيـة والمناضلـة، كمـا تأخـر سـن الـزواج عنـد الأبنـاء وإلى حـين إتمـام دراسـتهم والحصـول عـلى وظيفـة وتأمـين البيـت واسـتئجاره أو بنائـه، ثـم إن القيمـة الاجتماعيـة اليـوم للشـباب ليسـت بالزراعـة والمسـاحات الأرضيـة مـن المـواشي، ولكـن بمـا يحصِّلـه الواحـد منهـم مـن علم وشـهادات ومـا يملكـه مـن رصيـد بنـكي، فأصبـح الأفـراد يقيسـون بعضهـم بعضًـا عـلى أسـاس حجـم ثروتهـم وممتلكاتهـم الماديـة. وعليـه فنـوع اللبـاس والسـيارة وقيمـة المـنزل وتأثيثـه، هـي معايـير مهمـة جـدًّا لكسـب مركـز محـترم في أعـين الآخريـن كمـا ظهـر الانحـراف الأخـلاقي والسـلوكي لـدى الشـباب في ظـل ضعـف الـوازع الديـني والأخـلاقي، وضعـف سـلطة الأبويـة، فقـد ظهـرت عـلى الأسر ظواهـر جديـدة كالسرقـة والانحـلال الخلقـي والاعتـداء والسـطو وتعاطـي المخـدرات... إلـخ، إذ يذكـر سـليمان عدنـان أن ٢٠ بالمئـة مـن الشـباب الجامعـي تعاطـى أو يتعاطـى المخـدرات، وظهـرت في نهايـة هـذا القـرن في مؤتمـر السـكان بالقاهـرة ومؤتمـر بكـين مفاهيـم جديـدة لـلأسرة، فقـد أقـروا البنـاء الأسري القائـم عـلى الرابطـة الزوجيـة أو مـن دونـه، وأقـروا الـزواج القائـم بـين الرجـل والمـرأة أو بـين الرجـل والرجـل، أو بـين المـرأة والمـرأة، وقـد عمـل عـلى إضفـاء أكـبر قـدر مـن الشرعيـة والحمايـة لمثـل هـذه العلاقـات الشـاذة والاعـتراف بهـا كذلـك عمـل عـلى تعزيـز المصطلحـات المسـتخدمة في هـذا النـوع مـن الدراسـات لمسـخ القيـم الـتي

تمثـل خصوصيـة المجتمـع، والـتي هـي نابعـة مـن الإسـلام والإتيـان بأخـرى بديلـة لهـا مقاصـد مختلفـة. فمثـلًا إن هـؤلاء الذيـن يرفضـون فكـرة الـزواج ويفضلـون حريـة العيـش الثقـافي أصبحـوا يلقبـون بالأشـخاص المتفرديـن، والفتيـات الصغـيرات الـلائي يمارسـن الجنـس منـذ الطفولـة ويحملـن فإنهـنَّ يتمتعـن بقـدر مـن الاحـترام والرعايـة ويلقـبن بالمراهقـات الحوامـل، أمـا مـن تـتزوج زواجًـا شرعيًّـا وهـي في مثـل هـذا السـن فـإن هـذا الـزواج يلقـب بانتهـاك الطفلـة الأنـثى، ومـن مظاهـر التغيـير انتقـال الأفـراد مـن المناطـق الريفيـة إلى المناطـق الحضريـة الـتي فيهـا الاتصـالات بـين الأفـراد تقـل وتحـد مـن إمكانيـات كل فـرد معرفـة الآخـر شـخصيًّا، فالاعتمـاد عـلى النفـس صفـة تمـيز سـكان المناطـق الحضريـة، وضعـف العلاقـات الوديـة يـؤدي إلى إضعـاف الضبـط الاجتماعـي التقليـدي في المنطقـة الحضريـة، ومـن ثَـمَّ تتغـير كثـير مـن القيـم لـدى الأفـراد بمجـرد انتقالهـم مـن الريـف إلى الحـضر، وتكـثر الانحرافـات السـلوكية والجريمـة، والقطيعـة مـع التقاليـد، والـذي يـؤدي عـلى عـدم الاسـتقرار الثقـافي والتعـرض إلى المعايـير الاجتماعيـة المتناقضـة، ويـرى تـوبي بـأنَّ البلـدان المصنعـة والسـائرة في طريـق التصنيـع تـزداد فيهـا الهـوَّة بـين المراهقـين (Toby) والكبـار، فالتوجهـات والإرشـادات الموجهـة إلى الأبنـاء مـن قبـل الوالديـن والجـدات تكـون غـير مجديـة، ولا يخضعـون لهـا؛ هـذا كـون الجيـل الجديـد معرضًـا لتأثـيرات جديـدة تعكـس معايـير وقيـم التحـضر والتصنيـع، ويصبـح الشـابُ أو المراهـق

معرضًا لتأثيرات الأصدقاء وجماعة الرفاق وتوجيهاتهم، ويقل الارتباط بالأسرة الممتدة أو العائلة الكبيرة، وتقل مكانة المسن، ويذهب الأبناء إلى المدارس ويتعلمون فيها المعايير الحضرية الجديدة ويحملون خواص وصفات ومعرفة العالم المعاصر والحديث داخل المجتمع تظهر تشكيلات (Urbanisation) فعندما يحصل التحضر جماعات ثانوية من الأصدقاء والزملاء والمعارف لا تقام على علائق القرابة، بل على أساس قيم حضارية، وتظهر هذه التشكيلات في مجال مكاتب العمل والمدارس والتنظيمات المحلية، إزاء ذلك لم يصبر الفرد أو يلزم بمعايير اجتماعية تنتقل عبر الأجيال لتنظيم سلوكهم، حتى إن لم تكن مسايرة مع المتغيرات الجديدة، بل يختار ما يتناسب مع مؤهلاته أو رغباته أو مزاجه أو هواياته، أي يتحرر من التماثل مع أنماط عيش عاشها آباؤه وأجداده، وهذه الحالة لم تكن سائدة من قبل التحضر، إذ كانت الجماعة الاجتماعية الأولية تمنحه الدفء والحنان والمساعدة والدعم المادي والمعنوي، تسنده في السراء والضراء فيكون محصنًا نفسيًّا واجتماعيًّا.(١٠١)

ومن مظاهر التغير أنه أتاح المجتمع الصناعي الحديث والتقنية الحديثة الفرصة أمام المرأة للالتحاق بالعمل خارج البيت، والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير هذا العمل، بعدما كانت المرأة التقليدية إما ماكثة بالبيت وإما تعمل في الزراعة لتساعد زوجها وإما تعمل عملًا حرفيًّا

١٠١ . منى حيدر الطائي، مرجع سابق، ط٢٠٠٦م، ص٣

كالتطريـز والخياطـة وهـي في بيتهـا، فكانـت القيـم السـائدة أن تتفـرغ الزوجـة لرعايـة الـزوج والمـنزل والأولاد، وخـروج المـرأة إلى العمـل كان لـه تأثـير في الحيـاة الزوجيـة والعلاقـات الأسريـة، وتأثـر الأبنـاء بعمـل المـرأة في العـصر الحديـث.

كمـا فتـح التحـاق المـرأة بالعمـل أمامهـا مجـالات واسـعة مـن النشـاط الاجتماعـي وأحـدث تغـيرات هامـة في مكانتهـا في المجتمـع، فأخـر عمـل المـرأة عـدَّة تغـيرات؛ منهـا إرسـال الأولاد إلى دور الحضانـة والاسـتعانة بالخادمـات، واسـتخدام الأدوات المنزليـة الحديثـة، والعمـل عـلى تنظيـم النسـل، والإقـلال مـن الزيـارات العائليـة واسـتقبال الضيـوف مـن أهـل الـزوج والأقـارب بسـبب عـدم وجودهـا في البيـت في أغلـب الأوقـات، وطـرح مشـكلات جديـدة كالـصراع الظاهـر أو المسـتتر بـين الـزوج والزوجـة عـلى السـيادة والميزانيـة والادخـار ومعاملـة الأطفـال والصلـة بالنسـق القـرابي. وتمضيـة وقـت الفـراغ وغـير ذلـك مـن المسـائل الـتي طرحهـا وأفرزهـا التغـير الاجتماعـي، وقـد أدى خـروج المـرآة إلى العمـل والتعلـم إلى أن تـنزع اللبـاس التقليـدي وتقتـني ألبسـة تواكـب العـصر والموضـة، وهـذا مـا جعـل كثـيرًا مـن النسـاء يصرفـن جـزءًا كبـيرًا مـن رواتبهـن عـلى أدوات الزينـة والملابـس الغاليـة، فأصبـح كثـير مـن الأسر يتبـنى قيـم الاسـتهلاك بـدلًا مـن قيـم الإنتـاج، إلا أن هـذه الظاهـرة لا نسـتطيع أن نعممهـا عـلى كل النسـاء، لأن كثـيرات منهـنَّ خرجـن إلى العمـل لأنهـنَّ كـنَّ مضطـرات إلى أن يعملـن بعدمـا أصبحـت العائلـة الكبـيرة لا تتكفـل بهـنَّ في حالـة موت الـزوج أو الطلاق أو

الفقـر، لأن قيـم التكافـل الاجتماعـي أصبحـت شـبه معدومـة في زمـان العولمـة والإنترنـت، ولقـد انعكسـت هـذه التغـيرات الـتي تعرضـت لهـا المجتمعـات عامـة عـلى مجموعـة مـن العوامـل المتداخلـة والمتشـابكة والـتي أحدثـت تأثـيرات مبـاشرة أو غـير مبـاشرة في البـنى الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسـية والثقافيـة، فضـلًا عـن تأثيراتهـا الواضحـة في بنيـة الأسرة بوصفهـا مـن أهـم النظـم الاجتماعيـة، خاصـة في مجـال التنشـئة الاجتماعيـة وإعـداد الأجيـال القادمـة وفي أسـاليب التنشـئة الاجتماعيـة، وهـذه التغـيرات الـتي تعرضـت لهـا المجتمعـات، خاصـة الأسرة لـم تكـن فقـط تغـيرات عـلى المسـتوى الخارجـي المـادي، وإنمـا جـاءت هـذه التغـيرات عـلى مسـتوى القيـم الاجتماعيـة.(١٠٢)

وقـد أثـرت الهجـرة إلى ليبيـا في ضيـاع الكثيريـن مـن أبنـاء مجتمع الميـدوب، ومـن ثَـمَّ مشـكلة دارفـور والتجنيـد العسـكري، وتلتهـا تجـارة البوكـو الـتي أدت إلى أن تكـون المنطقـة مفتوحـة مـن دون أن تكـون هنالـك رقابـة مـن قبـل الدولـة، والمتمثلـة في مؤسسـتها إدارة الجـوازات والهجـرة الـتي بدورهـا تـؤدي إلى مهـدد خطـير للأمـن القومـي ككل عـلى المجتمـع المحـلي، بصفـة خاصـة الداخلـين أو الخارجـين منهـم مسـجلي إجـرام أو مطلوبـين دوليًّـا في دولهـم، وأصبحـت المنطقـة بوابـة للهجـرة غـير الشرعيـة، والـتي بدورهـا تـؤدي إلى الاتجـار بالبـشر

١٠٢ . لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، جامعة الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العددالثامن٢٠١٢م، ص٤١٦، ٤٢٦

والمخـدرات وغسـيل الأمـوال الـتي تؤثـر في الاقتصـاد القومـي. ومجموعـة الإشـكاليات المتشـابكة لوصـف مظاهـر التغـير الاجتماعـي في هـذا المجتمـع قضايـا الهجـرة وأنماطهـا، وهـي كثـيرة مرتبطـة بظـروف سياسـية، ولكـنَّ واقعًـا آخـر يفـرض منهـا الواقـع الاقتصـادي في البحـث عـن الأفضـل متعلقـة ببرامـج التنميـة، ولهـا انعكاسـاتها عـلى الريـف والمدينـة ومـن ناحيـة أيكولوجيـة ارتبـاط مصالـح تشـكل دوافـع، ومنهـا خـروج المـرأة إلى سـوق العمـل وتـردي وسـائل الإنتـاج وموجـات الجفـاف الـتي ضربـت المنطقـة في السـبعينيات والثمانينيـات مـن القـرن المنـصرم أدت إلى هـلاك كميـات كبـيرة مـن الـثروة الحيوانيـة.

الختام

قبيلة الميدوب تمارس عاداتها وتقاليدها من خلال طقوسها ككيان اجتماعي على أرض أسلافها وأجدادها وبلغتها الخاصة بها، والتي تجتمع فيه كل أفراد القبيلة على تنوع تقسيمها الداخلي الكارقدي – الأورتي - التورتي لنسقهم الثقافي، وهذه الطقوس تحوي بداخلها العديد من العادات والتقاليد والشعائر الدينية، وغيرها من المعتقدات الطقسية التي تسمى بلغتهم الأم الكنوس، والنابع من فكر ميثولوجي معقَّد، وكذلك من حيث الوظائف قبل الإسلام، ودُمجِت مع بعض العادات الإسلامية في الحاضر القريب بالتدرج في المنظومة الطقسية الأصيلة كعلامة الصليب الله الأب الروح القدس على الجبهة بزيت معطر في أعياد الفطر والأضحى بواسطة الحبوبات.

الوظيفة الدينية تمثلت من خلال طقوس مهرجان البازا أقدم رحلة حج إفريقي إذ يُعمَّد فيه الشباب البالغين وفيه ينتقل الإنسان من وضع قلق وغير مرتب ذهنيًّا إلى وضع الاطمئنان في قالب قدسي خارج الإطار الدنيوي.

الوظيفة الاجتماعية ينخرط الجميع من دون تمييز، إلا الأطفال وكبار السن والمرضى وذوي الحاجات الخاصة عند ممارسة الطقس، وفيها يحرم التحرش الجنسي وشرب الخمر

وقطع الأشجار طيلة مدة أداء الطقس.

والسؤال الرئيسي الذي يتبادر إلى الأذهان لماذا اندثرت هذه الطقوس كلها وتبقى القليل هل لأنها تنافي تعاليم الدين الإسلامي؟ وما زال وضع الأسورة والخرز على الأيادي والرقبة، وكما كانت تُثقَب الأذن والأنف، ولاحتوائها على العديد من الطقوس الوثنية والمسيحية. ويتمنون من ممارسة هذه الطقوس لأن الأرض امتلأت بالظلم والجور والأمراض والحروب وبها تزول. العمل على تشجيع المتنقلين من مجتمع الدراسة على الاستقرار، وذلك من خلال أماكن إقامتهم بخلق بدائل لمهنة الرعي التقليدي والعمل على بذل الجهود في جعل التعليم والتعلم متاحًا.

تدريب رجالات الإدارة الأهلية ورفع قدراتهم وكفاءاتهم واحترام سيادة القانون في ظل السلام والعدالة الاجتماعية.

الاهتمام بالنظام الصحي وسط مجتمع الدراسة، وتأهيل المستشفيات الشفخانات بالدواء والكوادر الطبية المؤهلة، وتكملة بعض الأقسام التشخيصية والمعاونين الصحين، وتوفير الرعاية الصحية الأولية والاهتمام بصحة الأمومة والطفل، وذلك بتدريب القابلات والزائرات الصحية للتخلص من نظام ولادة الحبل.

تأهيل وتوسعة مصادر المياه والاهتمام بتقديم الخدمات بما يتلاءم مع رغبات المجتمع وفي إطار خطط وسياسات

الدولـة المركـزي والإقليمـي والمحـلي.

توزيـع الاسـتثمارات وبرامـج التنميـة وتفعيـل التعـاون والعمـل بـين المجتمـع المحـلي ومنظمـات المجتمـع المـدني والحكومـة مـن خـلال عميلـة التنميـة المسـتدامة.

الاهتمـام بمشروعـات التنميـة المحليـة وتنفيذهـا يتطلـب وضـع خارطـة في ضـوء الاحتياجـات والمـوارد والأولويـات.

تشـجيع ودعـم حرفـة الزراعـة وسـط مجتمـع الدراسـة مـن خـلال مـشروع أم بياضـة الزراعـي القومـي، وبـث أهميـة العمـل الزراعـي والزراعـة. زراعـة النخيـل في مناطـق العطـرون وواحـات النخيلـة والسـلم مصـدات الريـاح منعًـا للزحـف الصحـراوي.

تحويـل المجتمـع مـن مجتمـع رعـوي متنقـل إلى مجتمـع رعـوي وزراعـي متنقـل وزيـادة الإنتاجيـة مـن الـثروة الحيوانيـة مـع وجـود الوحـدات البيطريـة الثابتـة والمتنقلـة بالمنطقـة.

ضبـط ومراقبـة الحـدود المفتوحـة مـع ليبيـا وتشـاد، حـتى لا تهـدد الأمـن القومـي وتؤثـر في تدمـير المجتمـع المحـلي وتنظيم قوانـين ولوائـح للهجـرة والانتقـال للأيـدي العاملـة مـع تشـجيع التجـارة الحدوديـة في الصـادر والـوارد، وفتـح جمـارك المالحـة وربطهـا مـع عاصمـة الإقليـم الفـاشر بطريـق أسـفلت.

المراجع باللغة العربية

١. أبـو القاسـم ابـن حوقـل، مسـالك الممالـك (صـورة الأرض) جغرافيـة شـاملة دار صـادر للطباعـة والنـشر، القاهـرة، ١٩٢٧م.

٢. إبراهيـم نـاصر، الأنثروبولوجيـا الثقافيـة، الجامعـة الأردنيـة، ط ١٩٨٢م.

٣. إيفانـز بريتشـارد، الإثنولوجيـا الاجتماعيـة، ترجمـة الدكتـور أحمـد أبـو زيـد، منشـأة المعـارف، ط٢ ١٩٦٠م.

٤. الفـارابي أبـو النـصر آراء أهـل المدينـة الفاضلـة، تحقيـق الدكتـور نـصر عـازر، بـيروت ١٩٥٩م.

٥. أركل، تاريخ السودان.

٦. انتصـار الزيـن صغـيرون، دراسـات إفريقيـة، مجلـة بحـوث نصـف سـنوية، العـدد الثامـن والعشريـن، ديسـمبر ٢٠٠٢م.

٧. التجاني مصطفى محمد صالح، الصراع القبلي في دارفور.

٨. الحسـن مـوسى المبـارك، تاريـخ دارفـور السـياسي ١٨٨٢م-١٨٩٨م، ط الثانيـة ١٩٩٥م، دار الخرطـوم للطباعـة والنـشر والتوزيـع، الخرطـوم.

٩. الحسيني الحسيني، الأساطير النوبية والسودانية، كنوز للنشر والتوزيع.

١٠. أحمد عبد القادر أرباب، تاريخ دارفور عبر العصور، الجزء الأول.

١١. أحمد عبد القادر الجمال، مقدمة في أصول النظم الاجتماعية والسياسية.

١٢. الشيخ محمد بن عمر التونسي، رحلة إلى وداي، تحقيق ودراسة أ. د عبد الباقي محمد، شركة مناكب للنشر، ٢٠٠١م.

١٣. الرشداني، عبد الله، علم الاجتماع التربوي، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، شارع البتراء.

١٤. آدم عبد الله حسن، الميدوب تحت المجهر، كتاب غير منشور.

١٥. أوفاهي ر. س، ترجمة عبد الحفيظ سليمان عمر، الدولة والمجتمع في دارفور الطبعة الأولى ٢٠٠م، مركز الدراسات السودانية، القاهرة.

١٦. أبو سن، علي عبد الله، مذكرة أبي سن عن مديرية دارفور ١٩٥٥م -١٩٥٨م. دار الوثائق السودانية.

١٧. أبو سليم محمد إبراهيم، أدوات الحكم والولاية في السودان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت.

١٨. الأسـواني، عبـد الله بـن أحمـد ابـن سـليم الأسـواني، أخبـار النوبـة وعلـوة والبجـة والنيـل، تحقيـق مصطفـى مسـعد، ج١، المطبعـة الأميريـة، القاهـرة، ١٢٧٠هـ.

١٩. أحمـد وهبـان، الأقليـات والجماعـات والحـركات القوميـة، الـدار الجامعيـة، الإسـكندرية، الطبعـة الأولى ٢٠٠٣م-٢٠٠٤م.

٢٠. بهـاء الديـن خليـل تركيـة، علـم الاجتمـاع العائـلي، دار المسـيرة للنـشر والتوزيـع والطباعـة، الطبعـة الأولى ٢٠١٥م.

٢١. تيماشـيف نيقـولا، نظريـة علـم الاجتمـاع طبيعتهـا وتطورهـا، دار المعـارف القاهرة.

٢٢. حسـام الديـن فيـاض، نحـو علـم اجتمـاع تنويـري، ب تاريـخ طبعـه.

٢٣. حسـين عبـد الحميـد أحمـد رشـوان التغـير الاجتماعـي والمجتمـع، كليـة الآداب جامعـة أسـيوط، ط٢٠٠٧.

٢٤. جـورج ريـنز، رواد علـم الاجتمـاع، ط ١٩٩٣م، مراجعـة محمـد الجوهـري، دار المعرفـة الجامعيـة.

٢٥. جفـري، ترجمـة إمـام عبـد الفتـاح، المعتقـدات الدينيـة لـدى الشـعوب.

٢٦. سـبيل آدم يعقـوب، قبائـل دارفـور، دار عـزة للطباعـة والنـشر.

٢٧. سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، دار الحياة، الطبعة الأولى، مطبعة البلاغ ١٩٣٠م.

٢٨. سوزان الأمين مبارك، ورشة تطوير اللغات المحلية وكتابتها، قسم اللغويات، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، بالتعاون مع مركز الدراسات للمجتمعات الإفريقية، كيبتاون – جنوب إفريقيا، ٧-٨ ديسمبر ٢٠٠٦م.

٢٩. شيخ أنتاديوب، مقال أصل المصر القدماء- تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني النسخة العربية اليونسكو ١٩٨٥م.

٣٠. عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

٣١. عبد الغني ناصر حسين القرشي، المداخل النظرية إلى علم الاجتماع، ط١، ٢٠١١م، دار صفاء للنشر والتوزيع.

٣٢. علي يوسف آدم، ملامح من تاريخ وتراث الميدوب، المكتبة الوطنية للنشر، ٢٠١٦.

٣٣. فاروق زكي يونس علم الاجتماع الأسس وأساليب التطبيق، عالم الكتب:١٩٧٢م.

٣٤. فليو ثاوث فرج، النعمة امرأة، ط ٢٠٠٧م.

٣٥. قباري محمد إسماعيل، علم الإنسان، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٧٣م.

٣٦. لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، جامعة الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن ٢٠١٢.

٣٧. محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل مصطفى عساكر.

٣٨. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسها لمدخل إلى علم الاجتماع، مكتبة الأنجلو المصرية، تاريخ الطبعة ٢٠٠٦م.

٣٩. محمد مصطفى مسعد، سلطنة دارفور، تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد(١١)، ١٩٦٣م.

٤٠. محمد محمد الزلباني، مدخل للنظم الاجتماعية، الجزء الأول، الأسس البيولوجية والسيكولوجية في الإنسان وعلاقتها بإنتاج الحضارة.

٤١. محمد سعيد فرح، نظرية علم الاجتماع، تأليف جوناثان تيرنر، دار المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

٤٢. محمد سليمان محمد، السودان حروب الموارد والهوية، تحقيق صلاح آل بندر، ط٢، الخرطوم دار عزة للطباعة للنشر والتوزيع ٢٠٠٦م.

٤٣. محمد عباس إبراهيم، الثقافة الشخصية، دار المعرفة

الجامعيـة، الطبعـة الأولى ٢٠٠٨م.

٤٤. محمـد عـوض محمـد، الشـعوب والسـلالات الإفريقيـة، سلسـلة دراسـات إفريقيـة، ط١، الـدار المصريـة للتأليـف والترجمـة.

٤٥. محمـد عـوض محمـد، السـودان الشـمالي سـكانه وقبائلـه، ط٢، لجنـة التأليـف والترجمـة والنـشر، القاهـرة، ١٩٥١م.

٤٦. محمـود عسـاكر ومصطفـى مسـعد، الهيئـة المصريـة للكتـاب، القاهـرة، ١٩٥٤م.

٤٧. محمـد قبـاري إسـماعيل، أصـل الأنثروبولوجيـا العامـة، دار المعرفـة الجامعيـة، ١٩٨٠م.

٤٨. محمـد يوسـف أحمـد المصطفـى، مقدمـة إلى الأنثروبولوجيا العامـة، ط١، الهيئـة العامة للتعريـب، ٢٠٠٨م.

٤٩. مـنى حيـدر الطـائي- مظاهـر التغـير الاجتماعـي ودوره في مظاهـر القيـم ط٢٠٠٦م.

٥٠. نعـوم شـقير، تاريـخ السـودان القديـم والحديـث وجغرافيتـه، دار الثقافـة بـيروت

١٩٦٧م.

٥١. نعـوم شـقير، جغرافيـة وتاريـخ السـودان، مطبعـة النجوى، دار الثقافـة بيروت.

٥٢. هـدى مبـارك ميرغـني، مدخـل لدراسـة الثقافـة السـودانية، مركـز محمـد عمـر بشـير للدراسـات السـودانية، جامعـة أم درمـان الأهليـة، ط١، ١٩٩٨م.

٥٣. وليم آدمز النوبة رواق إفريقيا.

المراجع باللغة الانجليزية

,27.Arkell.A.J. "Darfur Antiquates" , SNR, vol 105.p ,1946

A. J. Ark ell, A history Of the Sudan, Oxford 1949-press

4e ,Notice suree I.e. Darfur.BSC.1854.Cunny. C 120-81 ,serie, vii

Correspondence .(1963) .Henderson, K. d. D (Story on Traditional origin of Midob).KUSH. 323.pp

the Geology of Malha Crater.(1986).NIjs, R 110 ,(Darfur) Sudan).GEO-ECO.TROP10

MacMicheal, H.A, NubianElements in Darfur. 1918 ,1.Sudan Notes and Rcords, vol

Mac Michle.H, Nubian Elements in Darfur, 1921.7 London

Nubian Elements in" (1918)MacMicheal, H.A Darfur", SNR.vol. Stone Antiquities at the jabel marra

Mac Gregor, Andrew James, The Stone Monument AD 1750-and Rregion, Darfur, Sudan c1000

Aph.D.thies submitted at the Department of. Near and Middle East civilization, University of 2000 ,Toronto

Recent environmental Nicoll, cathleen2004 change and Prehistoric Human Activates in Egypt an Northern Sudan Quaternary Sciences Pachur H. j and j. 580-561 2004 23 ,Review KropelinWadiHower

Newbold, D and Desert of Odyssey of Thousand .192492 ,Miles Sudan Notes and Record. Vol, V11 Oliver, Roland and fagon, Brain,.192812 ,11.Vol A. D) 400 B.C to 500 500) Africa in the Stone Age 1975 Cambridge University Press

Trigger B.G, History and Settlement in Lower 1965 ,Nubia, Yale University Press

R.Said:General History Of Africa, Methodology and African Prehistory.Heninemann International Literature and Textboxs, Oxford

The African conception of low.in the international 1934PD.and comparative low quarterly, Nov

المجلات المقالات والدوريات:

١. الخطاب الثقافي للحزب بالشيوعي السوداني.

٢. البطاقة الفكرية لحزب الأمة.

٣. الميثاق الثقافي لحزب الأمة.

٤. النشرة التوضيحية لمحلية المالحة, ٢٠١١م.

٥. حسن رمضان خريف، ورقة بعنوان الخدمات الاجتماعية والسكان، ورشة عمل.

٦. عبد الله علي إبراهيم، الماركسية ومسألة اللغة في السودان.

٧. مجلة الآثار السودانية (أركماني)،العدد الأول، أغسطس ٢٠٠١، حلقة: رؤية مجددة في تاريخ كوش الثقافي.

٨. مجلةAfrica، المجلد ٤٩، العدد الثالث، ١٩٧٩م.

٩. رشاد عبد الرحيم، مقال عن الأثر النوبي في البيت الميدوبي، ٢٠٠٨.

١٠. دراسة تنمية المجتمعات الرعوية بمحليتي المالحة ورحل كتم، الفاشر مارس ١٩٩٧م.

المقابلات:

١. أحمد شطة أحمد، غفير بالمعاش، العمر٩٠ سنة، مقابلة في منزله بالمالحة ٢٠١٨/٨/٣م.
٢. إسماعيل سلطان تكراس، العمر ٨٥ سنة، معلم بالمعاش، مقابلة بمنزله بالمالحة ٢٠١٩/٨/١م.

٣. جامع محمد الصياح جامع، وكيل أول نائب ملك الميدوب، مقابلة بمنزله المالحة، ٢٠١٨/٨/٢م.

٤. حسين دلو، راعي، العمر٩٤سنة، مقابلة في سوق جمبقلي، ٢٠١٨/٧/٥م

٥. سليمان دلدوم أرفي، ضابط متقاعد، مقابلة الخرطوم، حدائق الشهداء، ٢٠١٨،٩،١٣م.

٦. عباس إسحاق أبكر بيديه، عضو مجلس تشريعي، مقابلة الفاشر بتاريخ ٢٠١٧،٨،٢٠م.

٧. عثمان آدم دردوق (سبلي)، المهنة راعي، مقابلة في سوق المالحة ٢٠١٩/٨/٢٠م

٨. عمر جدو ونصر، نظامي متقاعد، مقابلة المالحة بيت الملك بالتنسيق مع مركز تراث دارفور بجامعة الفاشر.

الفهرس

تقديم ٩

مقدمة المؤلف ١٣

الفصل الأول: مجتمع الدراسة ١٩

الفصل الثاني: النشاط الاقتصادي ٤٧

الفصل الثالث: النسق القرابي ٦٧

الفصل الرابع: النظام السياسي ٨٥

الفصل الخامس: النسق الثقافي ١٣٩

الفصل السادس: مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي عند الميدوب ١٨٧

الختام ١٩٥

المراجع باللغة العربية ١٩٩

المراجع باللغة الانجليزية ٢٠٧

المجلات المقالات والدوريات ٢٠٩

المقابلات ٢١١

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس
WH
™